# عُلُومُ الْقُرْآن

## مِنْ خِلالِ

# مُقَدِّمَاتِ التَّفَاسِير

الدكتور
محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المجلد الأول

مؤسسة الرسالة

# علوم القرآن

من خلال

# مقدمات التفاسير

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع وطى المصيطبة – شارع حبيب أبي شهلا– بناية المسكن، بيروت–لبنان
تلفاكس:٣١٩٠٣٩-٨١٥١١٢ فاكس:٦٠٣٢٤٣ص.ب:١١٧٤٦٠

Al-Resalah PUBLISHERS

BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:603243-P.O.Box:117460
Email:Resalah@Cyberia.net.lb

# إهداء

إلى الأمير الشاب

الذي أدرك مبكراً أن الرجولة في الخصال الطيبات

صاحب السمو الملكي

الأمير سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

شكراً وتقديراً ووفاءً

د. محمد صفاء حقي
أبو سلمان

# المقدمة

إن الحمد للّه نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ ونستهديه، ونعوذ باللّهِ من شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله وصفوته من خلقهِ. وبعد:

فإن علوم القرآن من أشرف العلوم وأجلّها، وأفضلها على الإطلاق وأنفعها، لكون موضوعها كتاب اللّه، ولكون غايتها الاعتصام بكلام اللّه، ولهذا الأمر اهتم الصحابة والتابعون، ومن جاء بعدهم، وسار على هديهم بهذا العلم، فأقبلوا على كتابِ اللّه مفسرين ألفاظه، موضحين معانيه، كاشفين عن علومه وحقائقه، مظهرين إعجازه وبيانه، مُجَلّين محاسنه........إلى غير ذلك من أنواع الاهتمام التي أطلقوا عليها متأخراً مصطلح «علوم القرآن».

وقد تفاوتت اهتمامات العلماء بهذه العلوم، فمنهم من فسر القرآن كله، ومنهم من اقتصر على تفسير سورٍ أو آياتٍ منه، ومنهم من صرف

اهتمامه إلى جانب من جوانبه، فتناوله بالبحث والتحقيق والتدقيق، حتى أصبحت هذه العلوم خير عونٍ للباحثين من أهلِ القرآن الذين يريدون الغوص في بحره الزاخر، واستخلاص شيء من الدرر والجواهر.

ولما كان موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير بعنوان (الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي، من بداية الكتاب إلى نهاية النوع الخامس والأربعين دراسة وتحقيقاً). وكان من فضل الله عليَّ أن هيأ لي سبل التسجيل في مرحلة الدكتوراه، رأيت أن أتابع المشوار الذي بدأته، وآثرت أن يكون موضوع رسالة الدكتوراه أيضاً في هذا الفن، أقصد علومَ القرآن، ولذا يمَّمت شطر خزائن المكتبات المخطوط منها والمطبوع أبحث في كتب علومِ القرآن، لعلي أحظى بموضوع لم ينل حظه من البحث والدراسة فوجدت أن علماءنا قد تركوا لنا تراثاً علمياً ضخماً، فلا تكاد تجد موضوعاً من موضوعات علوم القرآن إلا وقد بُحث وكُتب فيه على تفاوت في الذي كُتب، فعدت أدراجي إلى ما كان يدور في خلَدي أيام الماجستير من أهمية دراسة علوم القرآن دراسة تاريخية موضوعية، واستقر العزم على وضع مخطَّط تفصيلي لذلك، فأنشأت مخططاً للموضوع من أربعة أبواب، كان الأخير منها بعنوان: **علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير**.

وكعادة الطلبة والباحثين عرضت المخطط قبل تقديمه إلى القسم المختص على نخبة من أساتذتي وأشياخي الأفاضل من الذين أعلم عنهم الاهتمام والجدية، والمنهجية العلمية، فكانوا بين مشجع عليه، لأهمية

الموضوع، ورافض له ظانٌّ أن الموضوع مطروق، حتى عرضته على أستاذَيَّ الفاضلين، فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، وفضيلة الأستاذ الدكتور علي بن سليمان العبيد - يحفظهما اللّه - وكنت على علم بعظيم اهتمامهما بالمخططات والموضوعات، فاختلف رأيهما مع من عرضت عليهم، إذ لم يشجعا ولم يرفضا، بل لفتا انتباهي إلى زاوية منه، وأشارا إلى الاكتفاء بمقدمات التفاسير، ومحاولة وضع مخطط لذلك.

وقد ترددت بادئ الأمر فالموضوع حسب اعتقادي قاصر لا يكون لمرحلة الماجستير، فكيف أتقدم به للدكتوراة، ثم إنني قد وضعته باباً من ضمن أربعة أبواب للموضوع المقترح! غير أنني حملت الفكرة باهتمام، وأوليتها العناية، وما هي إلا أيام من التفكير الجاد، والبحث المستمر بين صفحات مقدمات التفاسير، حتى فتح اللّه قلبي للموضوع، وتوجه العزم إلى وضع مخطط مبدأي له، واستخرت اللّه وما خاب من استخار، وراجعت أهل المشورة من أساتذتي، وما ندم من استشار، فوجدتهم بين مرحب بالموضوع مشجع، ومثبِّطٍ للهمة غير مقتنع بانصرافي إلى هذه الجزئية وترك موضوعات أخرى هي أحوج إلى البحث والتحقيق.

وهكذا عشت فترة من الوقت بين تشجيع أولئك وتثبيط هؤلاء، أقدم رِجْلاً وأؤخر أخرى حتى وجدتني وبتعاون من أستاذَيَّ الكريمين قد وضعت مخططاً من ثلاثة أبواب رئيسة، ومقدمة وتمهيد وخاتمة، أحسبه محكماً، جمعت فيه بين تاريخ علوم القرآن ونشأته، وهو ما توخيته من

الموضوع الأول، وبين مقدمات التفاسير وهو الباب الرابع من المخطط السابق، وتقدمت إليهما بالمخطط بعد أن سميته: (**علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير**) فشجعا العمل وباركاه، وأيدا المخطط واعتمداه، وأوصياني بتقديمه إلى مجلس القسم، فكانت الموافقة بفضل الله.

ولما رُفعَ المخطط إلى مجلس الكلية للتصديق عليه واعتماده، تهيبت الأمر في البداية،خاصة كلما تذكرت تلك المجلدات العظام التي ألزمت نفسي بدراستها وتحليل محتوى مقدماتها، فقد بلغ عدد التفاسير المرشحة للدراسة نحواً من ثلاثين تفسيراً بين مخطوط ومطبوع، وقديم ومحدث، هن أمهات كتب التفسير، إلى أن جاءت الموافقة فكانت برداً وسلاماً، فقد رأى الشيوخ الأفاضل في مجلس الكلية صعوبة الموضوع وسعته، فكان التعديل بالاكتفاء بالقرون الثمانية الأول، مع عدم تعيين التفاسير التي كنت قد عينتها، والاكتفاء بالمطبوعة منها، فصار المخطط بعد إدخال التعديلات المطلوبة بعنوان: (**علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري**)، وهذا تفصيله:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس.

**المقدمة**: بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وخطة البحث.

**التمهيد**: أهمية مقدمات التفاسير، والتعريف بها ونشأتها.

**الباب الأول: علوم القرآن دراسة تاريخية:**

**الفصل الأول:** تعريف عام بعلوم القرآن ونشأته.

١- علوم القرآن بالمعنى اللغوي.

٢- علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.

٣- نشأة علوم القرآن.

**الفصل الثاني:** التأليف في علوم القرآن:

١- المرحلة الأولى: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

٢- المرحلة الثانية: من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر الهجري.

٣- المرحلة الثالثة: من بداية القرن العاشر إلى العصر الحالي.

**الباب الثاني: مقدمات التفاسير:**

تناولت في هذا الباب جميع التفاسير المطبوعة التي لها مقدمات من بداية التفسير إلى نهاية القرن الثامن الهجري.

وجعلت كل كتاب في مبحث مستقل، وتناولت فيه النقاط التالية:

١- التعريف بالتفسير والمقدمة والمؤلف.

٢- عرض موضوعات المقدمة.

٣- منهج المؤلف في مقدمته.

٤- مصادر المؤلف في مقدمته.

٥- مدى التزام المؤلف في تفسيره بما ذكره في مقدمته.

٦- أهم مزايا المقدمة.

٧- أظهر المآخذ عليها.

**الباب الثالث: الموضوعات التي تناولتها مقدمات التفاسير:**

**الموضوع الأول:** نزول القرآن.

**الموضوع الثاني:** جمع القرآن وترتيبه.

**الموضوع الثالث:** رسم المصحف ونقطه وشكله ووضع الأخماس والأعشار.

**الموضوع الرابع:** سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

**الموضوع الخامس:** أسماء القرآن وأسماء سوره.

**الموضوع السادس:** فضائل القرآن وخواصه وآداب تلاوته.

**الموضوع السابع:** المكي والمدني.

**الموضوع الثامن:** التفسير والتأويل.

**الموضوع التاسع:** بيان شرف التفسير والحاجة إليه.

**الموضوع العاشر:** أوجه التفسير وطرقه وأنواعه.

**الموضوع الحادي عشر:** العلوم التي يحتاجها المفسر.

**الموضوع الثاني عشر:** مراتب المفسرين.

**الموضوع الثالث عشر:** الاختلاف بين المفسرين وقواعد الترجيح.

**الموضوع الرابع عشر:** الأحرف السبعة التي أُنزل عليها القرآن.

**الموضوع الخامس عشر:** الظهر والبطن والحد والمطلع.

**الموضوع السادس عشر:** ما وقع في القرآن بغير لغة العرب.

**الموضوع السابع عشر:** الوقف والابتداء.

**الموضوع الثامن عشر:** إعجاز القرآن.

وتناولت هذه الموضوعات من خلال المقدمات، وذلك بدراستها دراسة موضوعية مقارنة.

**الخاتمة:** وفيها أهم النتائج.

الفهارس:

فهارس شاملة للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة، والأعلام، والأشعار، والأماكن والبلدان، والفرق والقبائل، والمراجع، والموضوعات.

منهجي في البحث:

أما المنهج الذي سرت عليه في تدوين هذه الرسالة، فلم آتِ ببدعة في شيء منه، بل اخترت من مناهج الكتابة ما يتفق وطبيعة الموضوع بإشراف وتوجيه من شيخي المشرف ومباركة منه، وقد كان يحفظه اللّه كثيراً ما يلجم قلمي فلا يتركه ينطق بكثير من الاستطرادات التي يلتجئ إليها مثلي، إذ الكتابة العلمية الدقيقة تستلزم خلفية علمية قوية، وهو أمر أحسبه للشيوخ، وأُدْرِك أن ما يوجه إليه فضيلته حق لا مراء فيه، ولكن ما حيلتي والبضاعة مزجاة، مهما يكن فقد استطاع الشيخ تسييس تلميذه الجموح، فجاء المنهج الذي رسمته تحت أنظار الشيخ وتوجيهاته، منهجاً معتدلاً، ليس بالطويل الممل ولا القصير المخل، اتكأت في الصياغة على أهل الأدب، فقد كنت أسعى بين الفينة والفينة إلى مطالعة كتاب لأديب من الأدباء، أو كاتب اشتهر قلمه، ومع ذلك لا أنكر بأنني كررت نفسي في كثير من المواطن، وخاصة في الباب الثاني من الرسالة، وهو أمر لم أجد عنه بُداً، فالبضاعة كما ذكرت مزجاة.

**هذا ويتلخص منهجي في النقاط الآتية:**

١) التوسط والاعتدال في النقول، وتوثيق النصوص من مصادرها الأصيلة قدر الإمكان، وفي توثيق النصوص أذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم المجلد والصفحة، فإن اعتمدت أكثر من طبعة ذكرت الطبعة في حينه بقولي: طبعة فلان، بذكر اسم المحقق أو الجهة التي طبعت الكتاب.

٢) وضع عناوين جانبية لرؤوس الموضوعات الجزئية والمسائل ضمن الموضوع الواحد.

٣) نسبة الأقوال إلى قائليها، وذلك إما بالتصريح باسم القائل في المتن، أو الاكتفاء بالإحالة إلى كتاب من كتبه.

٤) ترقيم الآيات القرآنية، وعزوها إلى سورها ضمن المتن وذلك بوضعه ضمن معقوفتين.

٥) تخريج الأحاديث والآثار من مظانها، وعزو الأخبار التاريخية إلى مصادرها.

٦) شرحت غريب الحديث واللغة معتمداً على المصادر الأصلية في ذلك.

٧) عرَّفت بالأعلام الواردة أسماؤهم في صلب الرسالة في الغالب، عدا المعاصرين منهم فلم أترجم لهم.

٨) أحلت القارئ إلى مواضع الأمثلة في كل ما ذكرته في الباب الثاني من منهج المؤلف أو مدى التزامه بما ذكره، دون سرد الأمثلة وذلك خشية الإطالة واكتفاءً بما سيرد في الباب الثالث.

٩) في الباب الثالث جمعت أقوال أصحاب المقدمات في مقدماتهم في مختلف الموضوعات بعباراتهم غالباً، مع التنسيق والترتيب، ولم أسقط من كلامهم إلا المكرر وما كان حشواً واستطراداً بعيداً، وذكرت في بداية كل موضوع مَنْ بحثه من المفسرين مرتبين حسب تواريخ وفياتهم، ليتبين تطور هذا العلم، وليظهر السابق من اللاحق، وليعرف مَن بحثه ممن تركه.

١٠) أعددت فهارس فنية للرسالة تساعد على كشف المضامين بسهولة ويسر.

وقد واجهتني في كتابة الموضوع صعوبات عديدة شأني في ذلك شأن أي باحث، تمكنت بفضل اللّه أولاً ثم بتوجيهات أستاذي المشرف فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع ثانياً، ثم بوقفات جادة ومخلصة من أخوين عزيزين كريمين هما الشيخ المهندس حمود بن صالح الجربا، والشيخ فهد بن علي العندس ثالثاً، من التغلب عليها والحمد للّه.

هذا والذين يُشكرون على مساعدتي في إتمام هذا العمل كثيرون، لا أعجز عن ذكرهم ولكن الموقف يتطلب الاختصار، فلهم مني الدعاء بعظيم الأجر والغفران.

وأجد لزاماً عليَّ أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، رئيس قسم القرآن وعلومه، والمشرف على هذه الرسالة على ما بذله من جهد، وصرفه من وقت، وأبداه من حسن توجيه وإرشاد في الإشراف على هذا العمل، وعلى ما لقيته منه - يحفظه اللّه - من سعة صدر، وحسن تقدير، وسؤال دائم عن كل ما يمكن أن يكون حائلاً دون إنجاز العمل، فله مني الشكر والعرفان، ومن اللّه الأجر والمثوبة.

وأشكر ثانياً أخي وزميلي الشيخ القدير والرجل النبيل الكريم فهد بن علي العندس، الذي كان لي خير معين في غربتي، فتح لي صدره يستمع إلى همومي وغمومي، وفتح لي مكتبته فكفاني هَمَّ التنقل بين المكتبات، ويعلم اللّه ما احتجت لشيء وسمع به إلا ووجدته لي سنداً بعد اللّه،ولن أستطيع شكره مهما فعلت، فأتركه للّه يجزيه على حسنِ تعاملهِ بفضلٍ منه ورحمة، ويدخله الجنان مع آل بيته، إنه تعالى سميع مجيب.

كما أشكر القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعلى كلية أصول الدين وقسم القرآن وعلومه، على ما بذلوه ويبذلونه من الجهد خدمة للعلم وأهله.

وفي الختام إن ما كتبته جهد مُقلٍّ يسعى ليتعلم، لا يكلف اللّه نفساً إلا ما آتاها، وقد قيل: الكتاب كالمكلَّف لا يَسْلَمُ من المؤاخذة، ولا يرتفع عنه القلم. فرحم اللّه من وقف على سهو أو خطأ فأصلحه، وما توفيقي

إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**أهمية مقدمات التفاسير:**

اهتم العلماء منذ القديم بمضامين مقدمات التفاسير، فقد ضمنوها خلاصة أفكارهم، وزبدة آرائهم حول كثير من مسائل علوم القرآن ومباحثه، وهي آراء لم تطرق بعضها للبحث والنقاش،وعلوم القرآن إنما يعتنى بها، وتعطى هذه المكانة والأهمية لأنها توصل إلى معرفة مراد اللّه تعالى من كلامه للعمل بمقتضاه، ولكون المفسر قد طرق هذه الأبواب، وأدلى بدلوه في بيان معاني الآيات،كان من الضروري دراسة هذه المقدمات دراسة جادة، ومحاولة الغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياها، ومن ثمَّ معرفة مواقف المفسرين من مسائل علوم القرآن ليتبيَّن مدى معرفة المفسر بالعلوم المُعينة على فهم كتاب اللّه الفهم الصحيح، وليتبين بالتالي مدى إصابة المفسر القول في بيان مراد اللّه.

ولهذه الدراسة أهمية أخرى تكمن في معرفة تطور علوم القرآن ومباحثه عند المفسرين، وذلك لأن المفسر قد ضمَّن مقدمته رأيه في بعض المسائل، فجاء اللاحق ليتابع السابق فيما قاله وأثبته، وليستدرك عليه ما لم يقله مما هو مطلوب قوله، كما يبين تأثر المفسرين بعضهم ببعض، وغير ذلك مما يتبين منه للقارئ تطور هذه المسائل عند المفسرين.

ثم إن المقدمات هي أول المصنفات التي جمعت أكثر من موضوع من

موضوعات علوم القرآن في موضع واحد، فهي النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن، وهذا جانب هام.

ولا شك أن بحثاً يضم مثل هذه المعلومات، ويبين ما كتبه علماؤنا الأجلاّء يسهل على طلبة العلم الراغبين في فهم القرآن كثيراً من الوقت والجهد، ويضع بين أيديهم بإذن اللّه جهداً جاداً في بيان بعض الموضوعات التي كثر الجدل حولها، وتباينت الآراء بشأنها.

وبإيجاز يمكن القول: إن أهمية مقدمات التفاسير تنبع من الآتي:

١) أنها النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن.

٢) أنها تضمنت كثيراً من الأحاديث والآثار المتعلقة بعلوم القرآن، والتي رواها المفسرون بأسانيدهم.

٣) أنها حوت أقوال وآراء المفسرين في كثير من علوم القرآن ومسائله.

٤) أنها تضمنت ردود ومناقشات المفسرين المتأخرين لآراء وأقوال أسلافهم المتقدمين، فكان في ذلك تحرير لكثير من المسائل المختلَف فيها، وسيمر بالقارئ في الباب الثالث - إن شاء اللّه - كثير من تلك المناقشات المفيدة.

٥) التسهيل والتيسير على القارئ في التفسير، حيث يجد القارئ مبتغاه وما أشكل عليه من مراد المؤلف بين يديه، فلا يلجأ إلى غيره لتوضيح ذلك.

٦) أنها تقوي المعارف لدى القارئ لحسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز، دون الحاجة إلى الخوض في غمار المطوّلات من المصنفات.

٧) أنها علامة هامة في بيان تطور علوم ا لقرآن.

# التمهيد:

## تعريف المقدمة، ونشأة مقدمات التفاسير:

### أ - تعريف المقدمة:

المقدمة: الناصية، وما استقبل من الجبهة والجبين، ومقدِّمة الجيش - بكسر الدال - الذين يتقدمون الجيش.[(١)]، قال ابن منظور: وقيل يجوز بالفتح (مقدَّمة).[(٢)]

وقال ابن فارس: القاف والدال والميم: أصل صحيح يدل على سبق ورَعْف (أي سبق وتقدم)، ومنه: مقدِّمة الجيش: أوَّلُهُ. ومنه أيضاً: قَيدُوم الخيل: أنفٌ يتقدم عنه.[(٣)] ومقدمة كل شيء: أوَّلُه. ومن مقدمة الجيش استُعير لكل شيء، فقيل: مقدِّمة الكتاب، ومقدِّمة الكلام، ومقدمة الإبل.[(٤)]

هذا في اللغة، أما في الاصطلاح، فقد عرفها التفتازاني بقوله:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٩/ ٤٧- وأساس البلاغة للزمخشري: ٤٩٦.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٣٤.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥ / ٦٥ - ومجمل اللغة له: ٣/ ٧٤٦.

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور: ٣ / ٣٤.

يقال: مقدِّمة الكتاب لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها، وانتفاع بها فيه، سواء توقف عليها أم لا.[(١)]

وفي «الكليات» لأبي البقاء: مقدمة الكتاب: ما يتوقف عليه الشرح على بصيرة.[(٢)]

وذكر التهانوي للمقدمة - بكسر الدال المشددة وفتحها - معاني كثيرة، ومن تلك المعاني: مقدمة الكتاب وعرَّفها بقوله: مقدمة الكتاب: طائفة من الألفاظ قدمت أمام المقصود لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود، سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم، أو لا، فيكون من معاني مقدمة الكتاب، من غير أن يكون مقدمة العلم.[(٣)]

وفي هذا المعنى استعمل القلقشندي مقدمة كتابه «صبح الأعشى»، فقد تحدث فيها عن مسائل أولية، وتعريفات تمهيدية، وقال: المقدمة للكتاب كالأساس من البنيان. ثم قال: والطريق إلى إصابة المعنى في هذه المقدمات أن تُجْعَلَ مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض.[(٤)]

---

(١) انظر: المطول على التلخيص مع شرح السيد الشريف: ١٣.

(٢) انظر: الكليات لأبي البقاء: ٦٣٦.

(٣) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٥/ ١٢١٦.

(٤) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: ٦ / ٢٦٧.

قلت: والذي قصده المفسرون هو تقديم طائفة من العلوم والمباحث المتعلقة بكتاب الله بين يدي الناظر في التفسير لفهمه على أتم وجه.

وقد أشار إلى ذلك ابن عطية بقوله: ولنقدم بين يدي التفسير أشياء قد قدَّم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم، مجتمعة لذهنه.(١)

ويقول أبو شهبة: إن بعض المفسرين في القديم والحديث صدَّروا كتبهم بمقدمات قيمة في علوم القرآن لتكون مفتاحاً لهذه التفاسير.(٢)

وتعرض المهتمون بمناهج البحث من المعاصرين بذكر عناصر التأليف، فذكروا المقدمة والتقديم، ومحتوى كل منهما من المادة العلمية، وكان الاهتمام منصباً على مقدمات الرسائل العلمية، وأقتصر هنا على إيراد نموذج من كلامهم، وأعرض عن الخوض في تفاصيل ذلك مكتفياً بالإحالة إلى بعض تلك المراجع لمن أراد الوقوف عليها.

يرى الدكتور يوسف القاضي أن المقدمة عادة ما يذكر فيها الأسباب التي دفعت للكتابة، والطريقة التي اتبعها، وفكرة موجزة جداً عن فصول المحتوى الذي يحوي المعلومات المسهبة لتعطي القارئ فكرة عما يتكلم

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١ / ١٢.

(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٥.

المرجع.[١]

### ب ـ نشأة مقدمات التفاسير:

يذهب المهتمون بعلوم القرآن وأصول التفسير إلى أن أقدم من صدَّر تفسيره بمقدمة في علوم القرآن هو شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، ثم تلاه غيره[٢]، وهو قول ربما كان من المسلَّمات عند أكثر الباحثين، والصحيح أن هناك من سبق ابن جرير في هذا المنهج بقرن كامل، غير أنه لم يكن على غرار ما فعله ابن جرير من التوسع والشمولية في المعالجة، أقصد عبد الرزاق الصنعاني، المتوفى سنة (٢١١هـ)، فقد اكتفى المتقدم بتقديم جملة من الآثار في بعض المواضيع المتعلقة بنزول القرآن، دون أي تعقيب، ثم تبعهما آخرون توسعوا في المواضيع، واتجهوا إلى جمع الأدلة والآثار وسردها ومناقشتها، كما اهتموا بالتعقيب على أقوال أسلافهم من المفسرين المتقدمين، وانتقل هذا الاهتمام بعلم المقدمات إلى أهل المغرب وبلاد الأندلس، فاهتموا بذلك أيما اهتمام، وكان أكثر من اهتم بذلك ابن عطية،

---

(١) انظر: مناهج البحوث وكتابتها ليوسف القاضي: ٦١. وانظر للمزيد من تعاريف المعاصرين: كتاب كيف تكتب بحثاً أو رسالة: ١٣٨- والدليل إلى كتابة البحوث الجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراة لبيكفورد وسميث: ١٠٩- ودليل الباحث: ١٠-.

(٢) انظر: المدخل إلى دراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ٣٥ - والسيوطي وجهوده في علوم القرآن لعبد الحليم الشريف.

والقرطبي وابن جزي وغيرهم.

وهكذا إلى أن جاء السيوطي في المشرق وشرع في تدوين تفسير كبير لكتاب اللّه سماه (مجمع البحرين ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية) ووضع كتاباً عليَّ الشأن، جليَّ البرهان، كثير الفوائد والإتقان، أسماه (الإتقان في علوم القرآن)[1] وجعله مقدمة لتفسيره السابق ذِكْره، وتم بذلك تدوين أوسع مقدمة لكتاب في التفسير، تلك أصل فكرته، ولكن الكتاب لسعته وعدم كمال أصله أخذ استقلاليته.

وتتابع تصدير التفاسير بمقدمات في علوم القرآن على مر العصور والأزمان، فلا تكاد تجد تفسيراً معتبراً إلا وقد احتوى على مقدمة في هذا الشأن، حتى أصبح ما بدأه عبد الرزاق وابن جرير سُنّة متبعة إلى يومنا هذا، فقد ظهرت مقدمات في غاية الإتقان والإجادة كمقدمة «التحرير والتنوير» لابن عاشور، ومقدمة «روح المعاني» للآلوسي، ومقدمة «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي، وغيرها.

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ١ / ١٦ تحقيق الدكتور البغا.

# الباب الأول

# علوم القرآن دراسة تاريخية

وفيه فصلان:

**الفصل الأول: تعريف عام بعلوم القرآن ونشأته.**

**الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن.**

# الفصل الأول

## تعريف عام بعلوم القرآن ونشأته

المبحث الأول: علوم القرآن بالمعنى اللغوي.

المبحث الثاني: علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.

المبحث الثالث: نشأة علوم القرآن.

# المبحث الأول
# علوم القرآن بالمعنى اللغوي

**مصطلح (علوم القرآن) مركب إضافي يتكون من جزأين هما: (علوم) و(قرآن)**، ويتضح المركب ويُعرف بتحليل جزأيه ومعرفتهما، فـ(العلوم) جمع عِلْم - بالكسر وسكون اللام - أصل صحيح يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، ومنه العلامة: السِّمة. والعَلَمُ: الجبل.[1] والمَعْلَمُ: الأثر يستدل به على الطريق. والعِلْمُ: نقيض الجهل، وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُهُ عِلْماً: عَرَفْتُهُ وخَبَرْتُهُ.[2]

وعَلِمَ الأمر: أتقنه وعرفه حق المعرفة[3]، وفي «المصباح المنير»: العلم اليقين، وعَلِمَ يَعْلَمُ: إذا تيقَّن.[4] وعَلِمَ بالشيء: شعر به وأدركه.[5]

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (علم): ٤ / ١٠٩، وتهذيب اللغة للأزهري (علم): ٢/ ٤١٥، والصحاح للجوهري (علم): ٥/ ١٩٩٠.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (علم): ٤ / ١١٠، وتهذيب اللغة للأزهري (علم): ٢/ ٤١٥، ولسان العرب لابن منظور (علم): ٢/ ٨٧٠ ط دار لسان العرب بيروت.

(٣) انظر: تاج العروس للزبيدي (علم): ٨ / ٤٠٥.

(٤) انظر: المصباح المنير للفيومي (علم): ١٦٢ ط مكتبة لبنان ١٩٨٧.

(٥) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (علم): ٢/ ٤١٥.

والعلم: المعرفة، وقد يفرَّق بينهما، فيقال: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع[١]، أو هو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، وهو اليقين.

وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به.

والمعرفة: إدراك الشيء بتفكير وتدبُّر لأثره.

وعليه فالعلم أخص من المعرفة.

وفرَّق ثُلَّة من العلماء بينهما من جهة اللفظ والمعنى، فقالوا:

إن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد، وفعل العلم يقتضي مفعولين، وإذا وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة.[٢]، هذا من جهة اللفظ، أما من جهة المعنى فالفرق من وجوه أهمها:

أن المعرفة تستعمل فيما تُدرك آثاره ولا تُدرَك ذاته، والعلم فيما يدرك ذاته، فتقولُ: فلانٌ عارفٌ با للهِ. ولا تقولُ: فلانٌ عالمٌ باللّهِ؛ لأن معرفته ليست بمعرفة ذاته، بل بمعرفة آثاره. وتقول: اللّه يعلم كذا، ولا تقول: اللّه يعرف، لما كانت المعرفة تستعمل في العلمِ القاصر المتوصَّل إليه بتفكُّرٍ.

والمعرفة في الغالب لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه فقد

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني: ٢٠٠.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني: ٢٠٠، والمصباح المنير للفيومي (علم): ١٦٢.

عرفه، بخلاف العلم، ولهذا كان ضد المعرفة: الإنكار، وضد العلم: الجهل.(١)

هذه بعض معاني (العلم) في كلام العرب، أما في الاصطلاح فقد تباينت أقوال أهل العلم في تعريفه وضبطه، وتنوعت هذه التعاريف كلٌ حسب مشربه ومعتقده ودائرة اهتمامه، فالحكماء يريدون به: صورة الشيء الحاصلة في العقل.(٢) وعلماء الكلام يعرّفونه فيقولون: صفة يتجلّى بها الأمر لمن قامت به.(٣)

وعرّفهُ الغزالي(٤) فقال: هو اعتقاد الشيء على ما هو به عليه.(٥)

والمنقول عن الآمدي(٦): أن العلم عبارة عن صفة يحصل بها لنفس

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء: ٤٤٦. والمفردات للراغب: ٣٣١.

(٢) انظر: الكليات لأبي البقاء: ٤٤٨.

(٣) انظر: الكليات لأبي البقاء: ٤٤٩.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي ،فيلسوف متصوف، أحد الأعلام المشهورين،بَرعَ في المذهب الشافعي، له «تهافت الفلاسفة» وغيره، توفي (٥٠٥هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٤/ ١٠٢. ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٢١٦.

(٥) انظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي: ١/ ٩٦-٣٤١، والكليات لأبي البقاء: ٤٤٦، وشرح مختصر الروضة للطوفي: ١/ ١٦٩.

(٦) هو علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي، أصولي باحث، اتُّهم بفساد العقيدة،=

المتصف بها التمييزُ بين حقائق المعاني الكلية حصولاً لا يتطرق إليه احتمال نقيض[١].

واختصره ابن الحاجب[٢] فقال: العلم صفة توجب تمـيُّزاً لا يحتمل النقيض[٣].

وهو في اصطلاح الشرع يطلق على معرفة اللّه تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] قال الزمخشري[٤]: أراد

---

=مصنفاته كثيرة، منها: الإحكام في أصول الأحكام، توفي (٦٣١هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٢٩٣- وشذرات الذهب لابن عماد: ٥/ ١٤٤.

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ١/ ١٣- وإتحاف السادة المتقين بشرح علوم الدين للزبيدي: ١/ ٩٧- وشرح مختصر الروضة للطوفي: ١/ ١٧٠- والقاموس الإسلامي: ٥/ ٤٥٨.

(٢) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي الدويني، المشتهر بابن الحاجب، كان رأساً في العربية وعلم النظر، له «الكافية» وغيره، توفي (٦٤٦هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٢٤٨ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٣/ ٢٦٤.

(٣) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي: ١/ ١٧٠.

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري، كبير المعتزلة، كان رأساً في البلاغة والعربية، له «الكشاف» وغيره، توفي (٥٣٨هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠/ ١٥١- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣١٤.

بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة[١] وما ورد منه في الشرع عاماً يشمل العلوم الدنيوية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال الراغب[٢]: العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:

**أحدهما**: إدراك ذات الشيء، ويتعدى لمفعول واحد، قال تعالى ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

**الثاني**: الحُكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، ويتعدى لمفعولين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال: وهو من وجه ضربان:

**نظري**: وهو ما إذا عُلِمَ فقد كَمَلَ، نحو العلم بموجودات العالم.

**وعملي**: وهو ما لا يتم إلا بأن يعمل، كالعلم بالعبادات.

ومن وجه آخر: سمعي وعقلي.[٣]

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري: ٣/ ٣٩٠.

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، أديب من الحكماء العلماء، اشتهر حتى كان يقرن بالغزالي، له «المفردات في غريب القرآن» وغيره، توفي (٥٠٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ١٢٠ - وبغية الوعاة للسيوطي: ٢/ ٢٩٧.

(٣) انظر: المفردات للراغب: ٣٤٣ وما بعده بتصرف، والكليات لأبي البقاء: ٤٤٨-٤٤٩.=

والعلم في عرف التدوين العام - وهو المراد هنا - يطلق على جملة من المسائل والقواعد المنضبطة بجهة واحدة موضوعاً أو غاية، كعلم التوحيد وعلم النحو وما إلى ذلك(١).

وبعبارة أخرى يطلق العلم على: المعلومات المنظمة والمنضبطة لموضوع واحد.

**الجزء الثاني من المركب (القرآن):**

**أولاً: (القرآن) في اللغة:** العلماء في بيان لفظة **(القرآن)** فريقان، فريق

---

=وقد عرض بعض المصنفين في مؤلفاتهم مجموعة من تعاريف أهل العلم لهذا المصطلح فذكر القنوجي للعلم سبعة عشر تعريفاً، وجاء مثلها في مرجع اليونسكو في تعليم العلوم، ومن قبلهم فعل أبو البقاء صاحب الكليات، والزبيدي في شرحه على الإحياء للغزالي، ومن هذه التعاريف: أن العلم هو البحث عن المعرفة. وهو استقصاء ذهني يبدأ بالمعرفة ويضيف إليها، وهو حصول صورة الشيء في العقل، وهو صفة يتجلّى بها المذكور لمن قامت به. وهو المعرفة المنظمة المتراكمة عبر العصور. وهو البحث عن الحقيقة، وغير ذلك.

انظر: الكليات لأبي البقاء: ٤٤٦-٤٤٩ - وشرح مختصر الروضة للطوفي: ١/ ١٦٨- ١٧١ وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي: ١/ ٩٥ - ٩٨ - وأبجد العلوم: ١/ ١١ وما بعده، واليونسكو في تعليم العلوم.

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٦ وما بعده - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١٦ - وانظر ما ألقاه فضيلة الشيخ مناع القطان على طلبة الدراسات العليا عام ١٤٠٧هـ ص٤.

يرى أنه مشتق، وآخر يرى أنه اسم علم غير منقول، وضعَ أولَ ما وضع اسماً لكتاب اللّه تعالى، فهو جامد غير مشتق.

**الفريق الأول**: الذين قالوا باشتقاقه، اختلفوا على قولين:

**القول الأول**: أنه مصدر مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه:

قيل: مصدر (قرأ) بمعنى (تلا) مرادف للقراءة، كالغفران والرجحان[1]؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي: فاتبع قراءته.

قال ابن عطية: قرأ الرجل بمعنى تلا، يقرأ قرآناً وقراءة. وفي التنزيل: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: قراءة الفجر. قال حسان بن ثابت[2] في عثمان بن عفان - رضي اللّه عنهما: -

ضَحَّوا بأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجود بهِ    يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسْبيحاً وقُرْآناً

أي: قراءة[3].

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (قرأ): ١/ ١٢٩ - وتاج العروس للزبيدي (قرأ): ١/١٠٣ - والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥٩.

(٢) هو حسان بن حرام بن عمرو، سيد الشعراء المؤمنين، شاعر رسول اللّه ﷺ وصاحبه، المؤيَّد بروح القدس، توفي (٥٤ هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٥١٢- والإصابة لابن حجر: ٢/ ٢٣٧.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ١/ ٩٧- وابن عطية: ١/ ٦٩ - والقرطبي: ٢/ ٢٩٨- وهو=

وقيل: مشتق من (قرأ) بمعنى (جمع)، تقول: قرأت الشيء قرآناً، بمعنى: جمعته، وهو من ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض.(١)

وقيل: مشتق من (القُرء).

وهو أيضاً بمعنى (الجمع) قال أبو إسحاق: القُرءُ في اللغة بمعنى الجمع.

قال الماوردي: ولهذا سمي قُرء العِدّة قُرْءاً؛ لاجتماع دم الحيض في الرحم(٢).

وعن قطرب(٣): قرأت الماء في الحوض: أي جمعته، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعاً.(٤)

---

=في ديوان الشاعر: ٤١٠.

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): ٩/ ٢٧١- ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ٢١١- والصحاح للجوهري (قرأ): ١/ ٦٥ - والمفردات للراغب: ٤٠٢- ولسان العرب لابن منظور (قرأ): ١/ ١٢٣- والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥٩- والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(٢) انظر تفسير الماوردي: ١/ ١٢٤.

(٣) هو محمد بن المستنير بن أحمد اللغوي، أديب لغوي يرى رأي المعتزلة، له معاني القرآن، توفي (٢٠٦ هـ)، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٣١٢- وتاريخ بغداد للخطيب: ٣/ ٢٩٨.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج: ١/ ١٧٠ و١/ ٣٠٥ تحقيق د/ عبد الجليل=

قال أبو عبيدة[١]: سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض.[٢] وقيل: لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض[٣] وعن الراغب قول بعضهم: سمي قرآناً لكونه جامعاً لثمرات الكتب بل لجمعه ثمرة جميع العلوم[٤]

**القول الثاني: أنه مصدر غير مهموز**، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه:

فقيل: مشتق من **(القرى)**، تقول: قريت الماء في الحوض: أي جمعته[٥] ومنه القرية لاجتماع الناس فيها.[٦] قال السمين الحلبي[٧]: وهو غلط

---

=عبده - ط عالم الكتب - والدُّر المصون للسمين الحلبي: ٢/ ٢٨٠ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(١) هو معمر بن المثنى التيمي، كان بحراً في العلم، غير ماهر بكتاب اللّه، ولا عارف بسنة رسول اللّه ﷺ، أول من صنّف في الغريب، وله مجاز القرآن وغيره، توفي (٢٠٩ هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٤٤٥- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٢٦.

(٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ١- والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٦٠- والبرهان للزركشي: ١/ ٢٧٧ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٤/ ٣٠- والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(٤) انظر: المفردات للراغب: ٤٠٢، والبرهان للزركشي: ١/ ٢٧٧.

(٥) انظر تهذيب اللغة (قرأ) : ٩/ ٢٧١- ومعاني القرآن للزجّاج: ١/ ٣٠٥، وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣.

(٦) انظر معجم مقاييس اللغة (قرى): ٥/ ٧٨.

(٧) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي ،لازم أبا حيان، واشتهر في النحو والقراءات=

لأنهما مادتان متغايرتان.(١)

ويقول فضيلة الشيخ مناع القطان - يحفظه الله -: إن في هذا الرأي تكلفاً ظاهراً لكونه يؤدي إلى أن يكون أصل الهمزة حرف علة، وأن تكون النون زائدة، مع ما فيه من إغفال معنى التلاوة.(٢)

وقيل: مشتق من (**قرنت الشيء بالشيء**): إذا ضممته، وهو رأي الأشعري(٣) سمي به لِقِران السور والآيات والحروف فيه، ومنه القِرانُ بين الحج والعمرة(٤)، ويجري على هذا القول من الاعتراض ما جرى على القول السابق من جعل النون أصلية وإغفال معنى التلاوة.

وقيل: مأخوذ من (القراين) وهو مروي عن القرطبي(٥)؛ لأن الآيات

---

=والأحكام، له الدر المصون، توفي (٧٥٦هـ)، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ٣٣٩- وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ١٥٢.

(١) انظر الدر المصون للسمين الحلبي: ٢/ ٢٨١.

(٢) انظر مذكرة الدراسات العليا، لفضيلة الشيخ مناع القطان، عام ١٤٠٧.

(٣) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من أئمة المتكلمين، ثم رجع عنه وجاهر بخلافه، له «مقالات الإسلاميين»، توفي (٣٢٤ هـ)، انظر: طبقات الشافعية: ٢/ ٢٤٥ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٣٠٣.

(٤) انظر تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): ٩/ ٢٧١- واللسان لابن منظور ١/ ١٢٩ - والبرهان للزركشي ١/ ٢٧٨.

(٥) هو يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي النحوي، أخذ عن الزمخشري وغيره،=

منه يصدق بعضها بعضاً[(١)] ويشابه بعضها بعضاً وهي قراين، واعترض الزجاج[(٢)] فقال: هذا سهو، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.[(٣)]

**الفريق الثاني**: الذين قالوا بعدم اشتقاقه، وقالوا: إنه غير مهموز، بل هو اسم علم غير منقول، وُضعَ أولَ ما وضع اسماً لكتاب اللّه، وبه قرأ ابن كثير.[(٤)]، وروي عن الإمام الشافعي[(٥)]، كما روي عنه أنه قرأ على

---

=كان بارعاً في العربية، بصيراً بعلل القراءات، له القرطبية في القراءات، توفي (٥٦٠ هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠/ ٥٤٦ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٦/ ١٧١- الأعلام للزركلي: ٨/ ١٤٧.

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٢٧٨.

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل، نحوي بصري، أخذ عن المبرد وثعلب، وعنه النحاس، له معاني القرآن وإعرابه، توفي (٣١٠هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ١/ ٤١١- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٧.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٧٨ قال: وقد أشار إليه أبو علي الفارسي في (الحلبيات)- والإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٢.

(٤) يقرأ ابن كثير ﴿قرآن﴾ و﴿القرآن﴾ المعرف وغير المعرف بنقل حركة الهمزة إلى ما قبلها وحذفها، وإلى ذلك يقول الشاطبي: ونقل قُرانٍ والقُرآنُ دواؤنا وفي..... انظر: حرز الأماني للإمام الشاطبي: ٤٤ ضمن مجموع إتحاف البررة.

وابن كثير هو عبد اللّه بن كثير الداري المكي، أحد القراء السبعة، كان عطاراً بمكة، قرأ على مجاهد وغيره، توفي (١٢٠هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٤٤٣، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٥/ ٣٦٧.

(٥) هو (محمد بن إدريس بن شافع القرشي الشافعي) المطلبي، أحد الأئمة الأربعة، ولد=

إسماعيل بن قُسطنطين.(١)، كان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من: قرأتُ، ولكنه اسم لكتاب اللّه مثل التوراة والإنجيل. قال: ويهمز: قرأتُ ولا يهمز القرآن.(٢)، وهو اختيار السيوطي (٣) في الإتقان.(٤)

ويعترض على هذا الرأي بأن العَلَم المرتَجل نادر جداً، وأن الغالب في الأعلام أنها منقولة، بل ذهب سيبويه إلى أن الأعلام كلها منقولة (٥)، كما يعترض عليه بأن معظم القراء السبعة قرأوا لفظ (القرآن) بالهمز.(٦)

---

=بغزة ثم حُمل إلى مكة، من تصانيفه الرسالة، توفي (٢٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥ - ٩٩ - وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٩/ ٦٣ - ومناقب الشافعي للرازي.

(١) هو إسماعيل بن عبداللّه بن قسطنطين المخزومي، مقرئ مكة، قرأ على ابن كثير، توفي (١٧٠ هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ١٦٥.

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): ٩/ ٢٧١، وانظر: تاريخ بغداد للخطيب، ترجمة الإمام الشافعي: ٢/ ٦٢ - والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٢٧٧ - وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ١٦٦.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، إمام محقق، صاحب تصانيف، برع في علوم كثيرة وله في أغلب الفنون مصنفات عظام، منها الدر المنثور في التفسير، والإتقان، والتحبير، وهما في علوم القرآن، توفي (٩١١هـ) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي: ١/ ٣٣٥- وشذرات الذهب لابن عماد: ٨/ ٥١.

(٤) انظر: الاتقان للسيوطي: ١/ ١٦٣

(٥) انظر: الكتاب لسيبويه: - وانظر ما كتبه فضيلة الشيخ مناع القطان، مذكرة الدراسات العليا عام ١٤٠٧.

(٦) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١٨.

والذي يترجح لديَّ - واللّه أعلم - بعد النظر في أقوال أهل العلم أن نقول:

القرآن مصدر مهموز مشتق من (قرأ) بمعنى (تلا). وهو رأي يسلم من الاعتراضات الموجهة إلى غيره، فالهمزة أصلية، وفيه معنى الجمع، ولم يغفل معنى التلاوة، والأهم من هذا أنه يستقيم تماماً مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] والمعنى: إن علينا جمعه وتلاوته، فإذا قرأناه فاتبع تلاوته واللّه أعلم.(١)

**ثانياً: (القرآن) في الاصطلاح، أو في تعريف أهل العلم:**

القرآن كلام اللّه المنزَّل على خاتم النبيين محمد ﷺ. وهو غير مخلوق، تكلم اللّه به ابتداءً، وكلامه تعالى قائم بذاته، ولم يزل عز وجلَّ متكلماً إذا شاء، والقرآن كلامه تعالى بحرف وصوت، تكلم به سبحانه بصوت نفسه وحروف نفسه، وذلك غير مخلوق.

والقرآن هو اللفظ والمعنى معاً، سمعه جبريل من اللّه عز وجلَّ، وبلَّغه إلى محمد ﷺ وسمعه(٢).

---

(١) وينظر هذا الرأي في مجلة لواء الإسلام العدد: ٢٨، مقال الأستاذ: عبد الوهاب حمودة.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١٧٩ ط المكتب الإسلامي - وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٢/ ٣٦-٤٠، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد اللّه الجديع: ٦٣.

والتعريف الحقيقي للقرآن هو استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهَدَاً بالحس كأن يشير إليه مكتوباً بالمصحف، أو مقروءاً باللسان فتقول: هو ما بين الدّفتين. أو تقول: هو ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ........﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(١).

وقد حاول العلماء وضع تعريف للقرآن ليميزوه عن الكتب السماوية السابقة والأحاديث القدسية، وليس بهدف رفع الجهالة عنه إذ الجهالة مرفوعة، ولهذا عرفوه بذكر بعض خصائصه، وتفاوتت اهتماماتهم بذكر هذه الخصائص، وتناوبت بين الإطناب والإيجاز، فمن أطنب كانت حجته أن مقام التعريف مقام إيضاح وبيان، ومن اختصر فأوجز فبحجة استحالة حصر خصائص القرآن، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه.

وفريق ثالث اقتصد فتوسط وقال: القرآن هو الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته.(٢)

ومن تعاريف الموجزين: هو اسم لهذا المُنزَّل العربي إذا عرِّف

---

(١) انظر ما كتبه فضيلة الشيخ مناع القطان - يحفظه اللّه - في هذا الخصوص، مذكرة الدراسات العليا عام ١٤٠٧ هـ.

(٢) هذا التعريف منسوب للأصوليين والفقهاء وعلماء العربية،انظر: الكليات لأبي البقاء: ٤/ ٣٤ - وروضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة: ١/ ١٨٠ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٢- ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ٢١.

باللام[١]. أو هو: اللفظ المنزَّل على النبي محمد ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس[٢].

ورأى آخرون أن القرآن ليس بحاجة إلى تعريف منطقي، فلا معنى لإضاعة الوقت حول طول التعريف أو قصره، ومدى إحاطته بصفات كتاب اللّه العزيز[٣]

ولا أرى مانعاً من ذكر تعريف يضم أهم خصائص كتاب اللّه لتمييزه لا لرفع الجهالة عنه، إذ الجهالة مرفوعة، وقد عرَّف تعالى القرآن في كتابه الكريم فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، وبحث العلماء في الصفات الخاصة لكتاب اللّه فوجدوها: في الإنزال على النبي ﷺ، والإعجاز، والنقل بالتواتر، والكتابة في المصاحف، والتعبد بالتلاوة.[٤]

فإذا أضفنا إليها صفة خامسة فقيدنا الإنزال على النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، نكون قد وضعنا قيوداً ضابطة بإذن اللّه، وعليه نقول في تعريف القرآن الكريم بأنه: **كلام اللّه المعجز، المتعبَّد بتلاوته، المنزَّل على النبي**

---

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء: ٤/ ٣٤.

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز للفيروزأبادي: ١/ ٨٤ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٢.

(٣) انظر: في علوم القرآن دراسات ومحاضرات للكفافي والشريف: ٢٢.

(٤) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٢٠.

محمد ﷺ بوساطة جبريل عليه السلام، والمنقول إلينا بالتواتر والموجود بين دفتي المصحف.

**كلام الله:** قيد يخرج به كلام غيره عز وجل من ملك وجان وبشر.

**المعجز:** قيد يخرج به ما عبَّر عنه الرسول ﷺ بلفظه من كلام الله، كالأحاديث القدسية، مع دلالة هذا القيد إلى خاصية هامة للقرآن الكريم.

**المتعبَّد بتلاوته:** قيد يخرج به ما لم يتعبد بتلاوته كالأحاديث القدسية وإن تواترت.

**المنزل على النبي ﷺ:** قيد يخرج به ما نزل على غيره من الأنبياء السابقين.

**بوساطة جبريل:** قيد يخرج به ما كان بواسطة غيره كالأحاديث النبوية والرؤى.

**المنقول إلينا بالتواتر:** خرج به ما لم يتواتر ما نسخت تلاوته أو ما هو منقول بالشهرة أو بالآحاد كقراءة بعض الصحابة.

**الموجود بين دفتي المصحف:** قيد يردُّ مزاعم الرافضة وغيرهم ممن يدعي النقص أو الزيادة في كتاب الله.(١)

---

(١) للمزيد عن هذا الموضوع يراجع: الكليات لأبي البقاء: ٤/ ٣٤- وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: ٢/ ٢٠٤ وما بعده - والمحلى لابن حزم: ١/ ١٣ -=

# المبحث الثاني

# علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي

أطلق أهل العلم هذا المصطلح (علوم القرآن) بلفظ الجمع لحاً للأصل ليشمل كل علم يبحث في القرآن الكريم في أيٍّ ناحية من نواحيه المتعددة، وليشمل أيضاً كل ما يخدم النص القرآني أو يستند إليه، وإن كان قد استعمل بلفظ الإفراد (علم القرآن)[١] قليلاً، وهو (نظير علم الحديث)[٢] مع اختلاف بين العلماء في إطلاقه.

وعلوم القرآن كثيرة، ذكر منها الزركشي في «برهانه» سبعاً وأربعين علماً، وأوصلها السيوطي إلى ثمانين نوعاً في «الإتقان»، وناف بها على

---

=والتحرير والتنوير لابن عاشور: ١/ ٧١ - وروح المعاني للآلوسي: ١/ ٨ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٧ -١٤ - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١٧ - ٢٣ - ومذكرة الدراسات العليا لفضيلة الشيخ مناع القطان، ألقاها على طلبة الدراسات العليا - كلية أصول الدين عام ١٤٠٧ - ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ٢١ - وفي علوم القرآن دراسات ومحاضرات للكفافي والشريف: ٢٢- والمرشد الوافي في علوم القرآن لبسيوني فودة: ٩.

(١) من ذلك ما صنفه أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم بن يعقوب المتوفى سنة (٣٦٢) هـ وسماه «الأنوار في علم القرآن». انظر الفهرست لابن النديم: ٤٩.

(٢) انظر: البرهان للزركشي: ١/ ٩، والإتقان للسيوطي: ١/ ٧.

المائة في «التحبير»، وفي «الزيادة والإحسان» لابن عقيلة المكي وصلت أربعة وخمسين بعد المائة، وليس المراد منها الحصر، فعلوم القرآن على ما أقره الزركشي لا تحصى ومعانيه لا تستقصى.(١)

وقد صنف العلماء في جوانب كثيرة من هذه العلوم كتابات مستقلة، كعلم القراءات والرسم العثماني والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول... وغير ذلك، ثم اختُصرت هذه العلوم والمباحث وجُمعت جُلُّ أصولها ومسائلها، ورُمز إلى بعض فصولها في مصنف واحد، ووضعت القواعد العامة لتلك المسائل، وضُربت عليها الأمثلة، وأشير إلى مواطن كل علم منها ومظانّه فكان كالفهرس والدليل، وأطلق عليه مصطلح عَلَمي هو (علوم القرآن)(٢) وهو مصطلح لم يعرّفه الأقدمون، وإنما حاول بعض المعاصرين تعريفه بمعناه العام.

وقد عرفه الأستاذ الزرقاني بقوله: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشُّبه عنه وغير ذلك.(٣)

وهو تعريف لم يَرُق لثُلَّة من الباحثين من أهل الاختصاص في هذا

---

(١) انظر: البرهان للزركشي: ١/ ٩.

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٤.

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٠.

الفن، فقد رأوا فيه تجوُّزاً ملحوظاً، يقول الأستاذ عدنان زرزور: إن التعريف الذي أطلقه صاحب «المناهل» ليس دقيقاً، إذ إن أكثر هذه العلوم تدور حول تفسير بعض جوانب القرآن الكريم، أو يمهد لشرحها وتفسيرها، فهي عنده (علوم التفسير)[١].

ويؤكد هذا المعنى بأن الحاكم الجُشَمي الذي عدَّ أنواع علوم القرآن في «تفسيره» إنما عنى بها في المقام الأول تلك الأمور والمعلومات التي لا بد من الوقوف عليها في تفسير كل آية، فهي والتفسير عنده - أو علوم التفسير إن صح التعبير - على حد سواء.[٢]

وما أقره الزرقاني تبناه الأستاذ فاروق حمادة، غير أنه تعقبه بالشرح فحصر المعنى المراد منه حين قال:

إن علوم القرآن تطلق في الاصطلاح على مجموعة من العلوم التي تستند إلى القرآن الكريم وتسهل للباحث فهمه على الوجه الصحيح،

---

(١) انظر: علوم القرآن لزرزور: ١٢٣.

(٢) انظر: الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير: ٤٥٥ بتصرف. ويعترض على هذا الرأي بأن التفسير له أنواعه واتجاهاته وألوانه، ولهذا فهو بحاجة إلى دراسة متخصصة جعلته فناً مستقلاً عن بقية علوم القرآن وأطلق عليه مصطلح (علوم التفسير)، وأفردت بدراسات مستقلة منفصلة عن علوم القرآن. وانظر: تاريخ علوم القرآن: ص١٠، رسالة ماجستير، إعداد: أحسن محمد أشرف الدين.، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٥ هـ.

وتكشف له أسراره ومعانيه، قال: وينضوي تحت هذا المصطلح علم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وعلوم إعراب القرآن والقراءات القرآنية، والإعجاز القرآني والرسم والخط والتفسير... إلخ، فهذه العلوم تقوم كلها لتحقيق غاية واحدة هي خدمة كتاب اللّه وتيسيره للذكر لمن ادَّكر.

ويتابع قوله: وما ضمناه التعريف من العلوم التي تستند إلى القرآن الكريم، وتهدف إلى المحافظة عليه ليس كل المعارف والعلوم التي تستنبط منه، بمعنى أننا لا نستطيع أن ندخل في مصطلح علوم القرآن كل أنواع المعرفة التي وجدت وستوجد، بل إن علوم القرآن أصبحت تنحصر في شعبتين اثنتين:

**أولاهما**: تاريخ القرآن الكريم، وما ينضوي تحته من نزوله وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ.... إلخ.

**وثانيهما**: الوسيلة الصحيحة لفهمه على الوجه الحق، وينضوي تحت ذلك علوم اللغة والإعجاز والمحكم والمتشابه... إلخ.

فإن على كل من يريد التعامل مع النص القرآني أن يطلع على هاتين المقدمتين اللازمتين تحت اسم علوم القرآن، وبمقدار ما يجانبهما سيجانب

الحقيقة ويبعد عن الصواب.[١]

وتوسع الأستاذ عبد السلام الكفافي في تعريفه للمصطلح حين عرفه بقوله: علوم القرآن بالمعنى هو كل ما يتصل بالقرآن الكريم من دراسات[٢].

ثم عاد ليقيد التعريف الذي أطلقه ليقول: إن كثيراً من هذه العلوم أصبح مستقلاً بذاته، لوفرة ما كتب من مؤلفات، ولغزارة المادة التي عالجتها حتى أصبحت عبارة (علوم القرآن) في مفهومها الخاص تطلق على جانب معين من هذه الدراسات. لقد أصبح مجالها مقتصراً على أبحاث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ونحو ذلك.[٣]

والتعريف الذي أطلقه الأستاذ الكفافي قبل تقييده يأتي على طريقة طائفة من أهل العلم كالسيوطي الذي توسع حتى أدخل علم الهيئة والطب والحساب.[٤] وابن العربي[٥] الذي ذكر في قانون التأويل أن علوم القرآن

---

(١) انظر: مدخل إلى علوم القرآن لفاروق حمادة: ٥.

(٢) انظر: في علوم القرآن دراسات ومحاضرات: ٢٩.

(٣) انظر: في علوم القرآن دراسات ومحاضرات: ٢٩.

(٤) انظر الإتقان للسيوطي: ٣/ ١٠٣٠، تحقيق مصطفى البغا.

(٧٧٤ ٥٠) علماً على عدد كَلِم القرآن مضروبة في أربعة، معللاً ذلك بأن لكل كلمة ظهراً وبطناً، وحداً ومطلعاً.(١)

هذا ونجد أن ابن حبيب النيسابوري(٢) قد حصرها في خمسة وعشرين وجهاً أو علماً، وأوقف فهم كتاب الله على معرفتها والتمييز بينها، بل لم

---

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، قاض من حفاظ الحديث، بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، مصنفاته كثيرة منها الناسخ والمنسوخ، توفي (٥٤٣ هـ). انظر: العواصم من القواصم: ٩ وما بعدها - ووفيات الأعيان: لابن خلكان: ١/ ٤٨٩.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٧، وهو ما ذهب إليه أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب: انظره:١/ ٧٧؛ وهذا التقسيم مأخوذ من رواية ضعيفة منسوبة إلى ابن مسعود أخرجها ابن جرير في تفسيره كما أخرجها غيره. وسيأتي في الباب الثالث من هذا البحث إن شاء الله.

وما ذكر تعليل بعيد «فالعلوم الكونية والمعارف والصنائع، وما وجد أو يجد في العالم من فنون ومعارف كالهندسة والحساب... لا يجمُلُ عدُّه من علوم القرآن، لأن القرآن لم ينزل ليدلل على نظريات الهندسة مثلاً، أو ليقرر قانوناً من قوانينها.. وإن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها وحذقها والتمهر فيها، وفرق بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصاته، وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه، أو يكون ذلك العلم خادماً للقرآن بمسائله، وأحكامه أو مفرداته.

ثم إن كلماتٍ كثيرة من كتاب الله لها مدلول واحد وهي مكررة في ثنايا كتاب الله، فهل يكون لكل كلمة أربعة معان مختلفة؟! انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٧.

(٢) هو الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم النيسابوري، مفسر واعظ، توفي (٤٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٢٣٧ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٤٠.

يحلّ التكلم في كتاب اللّه إلا بعد معرفتها.(١)

ولعل أجود التعاريف التي وقفت عليها أثناء البحث لهذا المصطلح هو ما أطلقه الدكتور حسن ضياء الدين عتر - يحفظه اللّه - حين عرفه بقوله: علم يضم أبحاثاً كلية هامة تتصل بالقرآن العظيم من نواحي شتى يمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً.(٢)

ويعترض على تعريفه هذا أنه عرَّف العلم بلفظة العلم، وتعريف الشيء بنفسه غيردقيق. ولهذا يحسن تعريف مصطلح علوم القرآن بأنه:

أبحاث (مباحث) كلية تتصل بالقرآن الكريم من نواحي شتى، يمكن اعتبار كل مبحث منها فناً مستقلاً متميزاً. وبذلك نكون قد دفعنا ما يعترض على التعريف السابق من تعريف العلم بالعلم.

**دخول علم التفسير في الاصطلاح:**

مما سبق تبين لنا أن بعض العلماء يطلقون (**علوم القرآن**) ليشمل علم التفسير إلى جانب العلوم المقصودة الأخرى، في حين يرى آخرون أنه لا ينبغي عدَّ التفسير من هذه العلوم.

---

(١) انظر: التنبيه على فضل علوم القرآن لابن حبيب النيسابوري: ٣٠٧، ضمن مجلة المورد العراقية العدد: ٧ - مجلد ١٧ - عام ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: المقدمة ص ٧١.

ويحصر الأستاذ الزرقاني تلك العلوم في العلوم الدينية والعربية، ويقول: إنها أنجبت وليداً جديداً هو مزيج منها جميعاً، وسليل لها جميعاً فيه مقاصدها وأغراضها وخصائصها وأسرارها (والولد سر أبيه)[١]؛ وهو لهذا عدَّ التفسير من تلك العلوم، وجعلها قسيماً لها. في حين أن الأستاذ فاروق حماده رغم أن ما انضوى تحت التعريف عنده يعارض ما حصره في الشعبتين المذكورتين، عدَّ التفسير من العلوم التي انضوت تحت المصطلح، والمفهوم من المقدمتين السابقتين عدم اعتبار التفسير. وهو ما قرره حين عاد ليقول: يمكننا أن نقول: إن عدَّ علم التفسير من علوم القرآن فيه تجوُّز.[٢]

والذي يبدو لي - تبعاً لبعض أهل العلم - أن عدَّ التفسير من علوم القرآن وجعله قسيماً أو نوعاً كسائر الأنواع مسألة فيها نظر، لأن غالب تلك العلوم أريد بها تيسير سبيل شرحه وتفسيره وفهمه. يعلل الأستاذ عدنان زرزور هذه الوجهة فيقول: إن أغلب التفاسير الكبيرة قد صُدِّرت بمقدمة أو مقدمات شملت أهم تلك العلوم، ولهذا لا يُعدُّ التفسير من علوم القرآن[٣].

وختاماً أقول: ينبغي النظر إلى هذا المصطلح باعتبارين:

---

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٤.

(٢) انظر: مدخل إلى علوم القرآن والتفسير لفاروق حمادة: ٦.

(٣) انظر علوم القرآن لعدنان زرزور: ١٢٣.

**الأول**: باعتبار كونه مركباً من جزأين، وبمعرفتهما يُعرف، وعلى ما سبق توضيحه يكون علوم القرآن: هو العلم الذي يبحث في القرآن الكريم في شتى أحواله. فيدخل فيه علم التفسير فضلاً عن غيره، ولهذا أطلق عدد من العلماء هذا الاسم على تفاسيرهم، كالحوفي[١] الذي سماه (البرهان في علوم القرآن) والأدفوي[٢] الذي سماه (الاستغناء في علوم القرآن) وكأبي الحسن الأشعري الذي سماه (المختزن في علوم القرآن)[٣].

**الثاني**: باعتباره علماً مستقلاً ظهر وتكامل لدى المتأخرين، ويعرف بأنه: أبحاث (مباحث) كلية تتصل بالقرآن الكريم من نواحي شتى، يمكن اعتبار كل مبحث منها فناً مستقلاً متميزاً.

ويطلق المصطلح على بعض تلك العلوم كما يطلق عليها جميعاً.

وتلك المباحث تدور حول ثلاثة محاور رئيسة:

---

(١) هو علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي، نحوي مصري، صنف في النحو والتفسير، له البرهان في تفسير القرآن، توفي (٤٣٠ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٢٥١ - وطبقات النحاة لابن قاضي شهبة: ٢/ ١٣٢.

(٢) هو محمد بن علي الأدفوي مفسر من أهل أدفو بصعيد مصر، ت (٣٨٨هـ) انظر: طبقات القراء لابن الجزري: ٢/ ١٩٨، وطبقات المفسرين للسيوطي: ٩٧، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٩٧.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٨٨ و٢/ ١٩٧، والحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير للأستاذ عدنان زرزور: ١٦٤.

**المحور الأول**: ما يتعلق بالجانب التاريخي، كعلم أسباب النزول، وجمع المصحف، والمكي والمدني، وغير ذلك.

**المحور الثاني**: ما يتعلق بجانب الأداء، كعلم القراءات، والوقف والابتداء، وغير ذلك.

**المحور الثالث**: ما يتعلق بالنص القرآني مباشرة، ويعين على فهمه، وهي بقية العلوم.

**الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير**: فيما سبق عرفنا مصطلح (علوم القرآن) من الناحية اللغوية لمفرداته، ثم التعريف الاصطلاحي واختلاف العلماء في وضع تعريف له.

وقد ظهر مصطلح آخر جعله بعضهم مرادفاً لمصطلح علوم القرآن، واستُعمل في موضعه عند كثير من المهتمين بعلوم القرآن، هذا المصطلح هو علم (أصول التفسير).

وقبل إيراد بعض تعاريف العلماء لهذا المصطلح أود الإشارة إلى أن أقدم كتاب يحمل هذا الاسم هو كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)] (مقدمة

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، شيخ الإسلام، فقيه إمام مجتهد، اعتقل في مصر والشام، تصانيفه كثيرة، منها منهاج السنة، توفي في معتقله بقلعة الشام (٧٢٨هـ).
انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ١٤٤- والبداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ١٣٥.

في أصول التفسير)، وما ذكره فيه من الفنون والعلوم هي من جملة الفنون التي كان السابقون يوردونها في مؤلفات علوم القرآن، وهي التي بقي المتأخرون كالزركشي[١] والسيوطي وابن عقيلة[٢] والزرقاني وغيرهم يوردونها في مؤلفاتهم الخاصة في علوم القرآن.

ثم جاء ولي الله الدهلوي[٣] وألّف (الفوز الكبير في أصول التفسير) وتبعه آخرون في العصر الراهن.

إن الناظر في مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية يجد أنه يُعرِّف أصول التفسير بقوله:

أبحاث تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، فقيه أصولي مفسر، انقطع للاشتغال بالعلم، له البرهان في علوم القرآن، توفي (٧٩٤هـ) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ١٧- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٥٧

(٢) هو محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود المكي، المشتهر والده بعقيلة، تلقى العلم عن علماء الحرم، ورحل في طلب العلم، له مصنفات منها الزيادة والإحسان في علوم القرآن، توفي (١١٥٠هـ). انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي: ٤/ ٣١- والمختصر من كتاب نشر النور والزهر للمرداد: ٢/ ٤١١.

(٣) هو أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي، قرأ على والده العلوم، برع في اللغة والفقه، صنف بالعربية والفارسية، له «الزهراوين» في التفسير، توفي (١١٧٦هـ) انظر: نزهة الخواطر: ٦/ ٣٩٨.

ومعانيه، والتمييز - في منقول ذلك ومعقوله - بين الحق والباطل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل.[١]

وهو تعريف يصلح إطلاقه على مصطلح (علوم القرآن)، ولهذا نؤكد أن المتقدمين كانوا يستعملون المصطلحين (أصول التفسير، وعلوم القرآن) لغرض واحد، يقصدون به كل القواعد والأبحاث التي تخدم كتاب اللّه وتعين على فهمه. غير أن المتأخرين قصدوا من هذا المصطلح أمراً أخص من الذي أراده المتقدمون منه إذ حصروه على: الأسس والقواعد التي يعرف بها تفسير كتاب اللّه، ويرجع إليها عند الاختلاف فيه. ويكوّن محور هذا الفن أمران:

**الأول**: كيف فُسِّر كتاب اللّه.

**والثاني**: كيف نفَسِّرُ كتابَ اللّه.[٢]

وعليه يكون بين المصطلحيْن خصوص وعموم، فعلوم القرآن مصطلح عام وأصول التفسير مصطلح خاص يطلق على بعض فنون علوم القرآن، مثل حكم التفسير، وأقسامه وأنواعه، وأسباب الاختلاف في التفسير، وقواعد الترجيح عند المفسرين، وغير ذلك من الفنون التي لها

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٣٣.

(٢) فصول في أصول التفسير للطيار: ١١.

اتصال مباشر بالتفسير، ولا يدخل فيها تلك المقدمات التعريفيـة والتاريخيـة التي هي من علوم القرآن. واللّه أعلم.

# المبحث الثالث

## نشأة علوم القرآن (١)

**تقـديـم:**

قبـل الحديـث عـن نشـأة علـوم القـرآن والخـوض في جزئيـات الموضـوع يحسن بنا التعرف على الجوانب العلمية عند الذيـن اختـارهم اللّـه الحكيـم لرسالته ، واصطفى منهم نبيه ﷺ لتبليـغ الأمانـة ، إذ الحديـث لا يسـتقيم إلا إذا عرفنـا الحالـة العلميـة للعـرب والمنـاخ العلمـي في الجزيـرة العربيـة الذي عاش فيه أولئك الذين احتضنـوا الدعـوة ، وخـير مـا يهمنـا في هـذا المناخ هو أمر القراءة والكتابـة ، فهـل كـانت العـرب تقـرأ وتكتـب؟ أم إن

(١) تطرق لنشأة علوم القرآن كثير مـن المهتمـين بعلـوم القـرآن، منهـم علـى سـبيل المثـال: الزرقـاني في منـاهل العرفـان: ١/ ٢١ -٣٣- وأبـو شـهبة في المدخـل لدراسـة القـرآن الكريم: ٢٦ - ٣٩ - والدكتـور صبحـي صـالح في مبـاحث في علـوم القـرآن: ١١٩ - ١٢٦ - وفضيلة الشيخ مناع القطان في المحاضرات التي ألقاها على طلبة الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - والدكتـور عدنـان زرزور في أصـول التفسـير وقواعده: ٣٢ - ٣٥، وعلوم القرآن له: ١٢٤- ١٢٦ - والأستاذ أبو الفضل إبراهيـم في المقدمة التي قدم بها كتاب الاتقان للسيوطي: ١/ ٧ - ٨- والدكتور حسن ضياء الديـن العتر في مقدمته لكتاب فنون الأفنان لابن الجوزي: ٧٢ - ٧٣- والدكتور فهـد الرومـي في دراسات في علوم القرآن الكريم: ٣٥ - ٥١ والأستاذ خالد السبت في دراسة تقويميـة لمناهل العرفان: ١٦ - ٢٨ وغيرهم.

الإسلام هو الذي علمهم ذلك؟

### أ ـ الكتابة في الجزيرة العربية قبل البعثة:

الذي يطالع أخبار الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية، يتبين له بوضوح ومنذ الوهلة الأولى أن القوم قد عرفوا الكتابة والتدوين، وأنهم مارسوا هذا الفن، وسيضع يده على أدلة كثيرة تؤكد هذه الحقيقة، وإن كانت الأخبار نفسها توحي بأن عدد الراغبين في القراءة والكتابة والمهتمين بالتعليم كان قليلاً نسبياً، والدليل أن انتشار الكتابة كان على نطاق محدود انحصر في أبناء الحاضرة ومراكز الحضارة كمكة والمدينة والطائف وغيرها[(١)]، وأن جُلَّ المهتمين بها كانوا من أبناء كبار الأشراف والعوائل العريقة التي رأت أن في التعليم ومعرفة الكتابة مزية ترفع من شأنهم، وتعلي من قدرهم، فهم الذين كانوا يطلقون اسم الكامل على من يجيد السباحة والرماية والكتابة، ويعدون ذلك من صفات الكمال في الرجل[(٢)].ولقب به عدد، منهم: رافع بن مالك[(٣)]، وسعد بن عبادة[(٤)]،

---

(١) انظر فتوح البدان للبلاذري: ٦٥٩- ٦٦٤.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٢/ ٩١ط ليدن- وعيون الأخبار لابن قتيبة: ٢/ ١٦٨، وفتوح البلدان للبلاذري: ٦٦٤ والأغاني لأبي الفرج: ٣/ ٢٧.

(٣) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري، أحد النقباء الذين شهدوا العقبة؛ وقيل: هو أول من أسلم من الخزرج. انظر: الطبقات الكبرى

وأُسَيْد بن حُضَير(١)، وعبد اللّه بن أُبيّ(٢)، وأوس بن خَولِي(٣)، وسويد بن الصامت(٤)(٥).ولهذا كانت الكتاتيب التي يتعلم فيها الصبيان أمور القراءة

=لابن سعد: ١/ ٢١٨ - والإصابة لابن حجر: ١/ ٤٩٩- وتهذيب التهذيب: ٣/ ٢٣٢.

(٤) هو سعد بن عُبادة بن دُلَيم بن حارثة، من بني ساعدة من الخزرج، شهد المشاهد مع رسول اللّه ﷺ، وخرج إلى الشام ومات بحوران سنة (١٤هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٥٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٢٧٠.

(١) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع من بني عبد الأشهل، أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أسلم قديماً، قال عنه ﷺ: نعم الرجل أسيد بن حضير. توفي سنة (٢٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٣٤٠- وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٣٤٧.

(٢) هو عبداللّه بن أبي بن مالك بن سلول الخزرجي المعروف بابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام، سيد الخزرج، أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية، مات سنة (٩هـ). انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٥/ ٣٤ - والأعلام للزركلي: ٤/ ٦٥.

(٣) هو أوس بن خولي بن عبداللّه بن الحارث الخزرجي الأنصاري، صحابي شهد بدراً وأُحداً والمشاهد مع رسول اللّه ﷺ، كان من الذين أدخلوا على رسول اللّه ﷺ حين وفاته ليغسله، ومن الذين أنزلوا معه القبر، توفي في خلافة عثمان بن عفان. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ٢٧٩و٣٠٠ط دار بيروت - وأسد الغابة لابن الأثير: ١/ ١٧٠ ط الشعب.

(٤) هو سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسي، شاعر من أهل المدينة، قيل: قدم مكة معتمراً فدعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام فلم يبعد، وقال إن هذا القول حسن، وقتل عند انصرافه، قال قومه: إنا لنراه مسلماً، انظر: الإصابة لابن حجر: ٢/ ١٣٤- والأعلام للزركلي: ٣/ ١٤٥.

(٦) انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٢/ ٩١ و٣/ ٢/ ١٤٢ط ليدن- والمعارف لابن قتيبة:=

والكتابة موجودة ومنتشرة، ولذلك أيضاً وجَّه زيد العِبادي ولده عدياً[١] ت(٣٥ ق. هـ) إلى التعليم، وطرحه في الكُتَّاب حين نما حتى حذق العربية، فكان أول من دوَّن بالعربية في ديوان كسرى[٢].

وكان بشر بن عبد الملك العِبادي علَّم أبا سفيان بن أمية[٣]، وأبا قيس ابن عبد مناف بن زُهرة الكتابَ، فعلَّما أهل مكة[٤]. وقد سجل ابن حبيب البغدادي ت(٢٤٥هـ)[٥] صاحب (المُحبَّر) قائمة بأسماء الأشراف المعلمين في العصر الجاهلي منهم بشر بن عبد الملك السكوني أخو أُكيدر صاحب دومة الجندل، ومنهم غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي[٦]، ومنهم عمرو بن

---

=٢٥٩- وفتوح البلدان للبلاذري: ٦٦٤.

(١) هو عدي بن زيد بن الحمار العبادي التميمي النصراني، من فحول الشعراء، ومن دهاة الجاهليين، قيل: مات في الفترة (٣٥ق هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ١١٠- والأعلام للزركلي: ٤/ ٢٢٠.

(٢) انظر: الأغاني لأبي الفرج: ٢/ ٩٤.

(٣) هو صخر بن حرب بن أمية القرشي، أبو سفيان، زعيم قومه، وأحد الوجهاء، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً والطائف، توفي سنة (٣٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ١٠٥- والإصابة لابن حجر: ٢/ ١٧٨.

(٤) انظر: المعارف لابن قتيبة: ٥٥٣.

(٥) هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي، قيل: لا يعرف أبوه، وحبيب أمه، علاّمة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر، له تصانيف عديدة منها الأنساب. انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ٢٧٧- وبغية الوعاة للسيوطي: ١/ ٧٣.

(٦) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب الثقفي، شاعر مجيد أسلم بعد فتح=

زرارة بن عُدْس بن زيد[١] وكان يسمى بالكاتب، وغيرهم[٢].

وكانت العرب تسجل أشعارها وتقيدها بالكتابة (فتسجل كل ما يتصل بالقبيلة من أخبار حروبها وأيامها، وتذكر مفاخرها ومآثرها وشعر شعرائها، وحكم بلغائها)[٣]

كما دلت الدراسات العلمية على أن العرب مارسوا فن الكتابة قبل الإسلام، فكانوا يؤرخون أهم أحداثهم على الحجارة، وقد أثبتت الأبحاث الأثرية ذلك بأدلة قاطعة تعود إلى القرن الثالث الميلادي، وتحمل تلك الحجارة كتابات العرب الذين كانوا في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية[٤].

واشتهرت المعلقات السبع التي تعلق على الكعبة، وعُرِفَتْ الصحيفة

---

=الطائف، وكان أحد وجوه ثقيف، وممن وفد على كسرى، توفي سنة (٢٣ هـ): انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ١٨٩- وأسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٣٤٣.

(١) هو عمرو بن زرارة الأنصاري، صحابي، كان حمش الساقين: دقيقهما، قال له ﷺ: إن الله لا يحب المسبلين. انظر: الإصابة لابن حجر: ٢/ ٥٣٥- وأسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٢٢٣.

(٢) انظر: المحبر لابن حبيب: ٤٧٥-٤٧٧.

(٣) الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد: ١٦٥.

(٤) مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد: ٢٤-٣٢.

التي تعاقدت فيها قريش على رد الحقوق وإنصاف المظلوم وعلقت على الكعبة.[(١)]

لقد بلغت الأخبار التي تؤكد هذه الحقيقة درجة الاستفاضة والتواتر، والذي يتتبع الكتب التي اهتمت بمثل هذا الموضوع لا شك أنه سيخرج لنا بأخبار كثيرة أخرى.

وأما دعوى أن العرب لم تكن بحاجة إلى الكتابة لكونهم أصفياء الذهن يعتمدون على قوة حفظهم، وسلامة أذهانهم، فدعوى باطلة لا تمت إلى الحقيقة بصلة، فالناس يختلفون في ذلك، ويتفاوتون في قدراتهم الذهنية والعقلية، نعم نحن نؤكد أن العرب قد اعتمدت كثيراً على سيلان الذهن وقوة العارضة التي عرفت بها، غير أنها لم تعتمد اعتماداً كلياً على ذلك لا تصادم في الجمع بين الأمرين معاً.

**ب ـ الكتابة في الإسلام:**

تبين لنا فيما سبق أن العرب عرفت الكتابة قبل الإسلام، وأنها دونت نتفاً من أخبارها، وتذكر الأخبار أن من الذين كانوا يكتبون في قريش زمن نزول الوحي عمر ابن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح[(٢)]، ويزيد بن أبي سفيان[(٣)]، وأبو حذيفة بن عُتبة بن

---

(١) انظر الأغاني لأبي الفرج: ٦/ ١١٦ طبقة أخرى.

(٢) هو عامر بن عبدالله الجراح، بن هلال القرشي، صحابي من السابقين الأولين، ومن المشهود لهم بالجنة، أسماه رسول الله ﷺ أمين هذه الأمة. مناقبه كثيرة، توفي (١٨هـ).
انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٤٧- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٥.

(٣) هو يزيد بن صخر بن حرب بن أمية، أحد العقلاء الألبّاء، والشجعان المذكورين،=

ربيعة[١]، وحاطب بن عمرو، أخو سهيل بن عمرو العامري[٢]،.... وغيرهم، كما كان عدد من النساء يكتبن، أمثال: الشفاء بنت عبد اللّه العدوية[٣]، وحفصة أم المؤمنين[٤]، وأم كلثوم بنت عقبة[٥]، وعائشة بنت

=أسلم يوم الفتح، وكان يقال له يزيد الخير، حضر حنيناً، وتوفي بالطاعون سنة (١٨هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٣٤٥- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٣٢٨.

(١) هو أبو حذيفة قيل اسمه: هشيم، وقيل: مهشم، بن عتبة بن ربيعة بن عبد مناف، أحد السابقين، أسلم قبل دخول دار الأرقم، ومن مهاجرة الهجرتين، استشهد يوم اليمامة سنة (١٢هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٧٢- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ١٦٤.

(٢) هو حاطب بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، من السابقين، إذ أسلم قبل أن يتخذ رسول اللّه ﷺ دار الأرقم، وقيل هو أول من هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً. أما أخوه سهيل فيكنى أبا يزيد، كان خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم أسلم يوم الفتح، وعرف عنه كثرة البكاء لسماع القرآن، خرج مجاهداً إلى الشام، قيل: استشهد يوم اليرموك، وقيل: مات في طاعون عمواس. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٨٤ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ١٩٤ - والإصابة لابن حجر: ١/ ٣٠١ - كتاب الوحي لأحمد عيسى: ٤٩٦.

(٣) هي الشفاء بنت عبداللّه بن عبد شمس بن خلف، القرشية العدوية، صحابية أسلمت قبل الهجرة، قيل: اسمها ليلى والشفاء لقب، كان رسول اللّه ﷺ يقيل عندها، وكان عمر رضي الله عنه يقدّمها في الرأي، روى لها البخاري وغيره. توفيت نحو سنة (٢٠هـ). انظر: تهذيب الكمال للحافظ المزي: ٣٥/ ٢٠٧- والإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٤١.

(٤) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين زوج النبي ﷺ، الصوامة القوامة، أراد الرسول تركها فأمره اللّه تعالى بمراجعتها وأعلمه أنها زوجته في الجنة. توفيت سنة (٤١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٢٧- والإصابة لابن حجر: ٤/ ٢٧٣.

(٥) هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أبّان بن ذكوان، أسلمت بمكة وهاجرت، أنزل=

سعد[١]،..وغيرهن[٢] وتؤكد الأخبار أن عدداً من اليهود كانوا يكتبون أيضاً[٣]

وحين بُعِثَ رسول الله ﷺ كتب حنظلة بن أبي سفيان[٤] كتاباً إلى أبيه باليمين يخبره أن محمداً ﷺ دعا الناس إلى عبادة الله.[٥] وحين عجزت قريش عن وأد الدعوة كتبت صحيفة بيد منصور بن عكرمة العبدري الذي شُلت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة قاطعت قريش بموجبها

---

=الله فيها ﴿إذا جاءك المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ﴾ [الممتحنة: ١٠-١١]، توفيت في خلافة علي ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٢٧٦- والإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٩١.

(١) هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الزهرية، صحابية جليلة، رأت ستاً من أزواج النبي ﷺ، وهي غير عائشة بنت سعد التابعية، انظر الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٦١.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري: ٦٦٠-٦٦١، والعقد الفريد لابن عبد ربه: ٤/ ١٥٧، والمذكور في فتوح البلدان: ٦٦٠ أن عدد الذين كانوا يكتبون في قريش سبعة عشر رجلاً، وقد استقل الأستاذ الأعظمي هذا العدد وقال: إنها تفيد القلة حيث إن هناك من الأسماء التي كانت تكتب، لم تذكر ضمن هؤلاء، كما كان هناك عدد من النساء يكتبن، هذا في مكة وكذا في المدينة عدد يكتبون قدر بأحد عشر رجلاً. انظر دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: ١/ ٥٣-٥٥.

(٣) انظر فتوح البلدان للبلاذري ٦٦٣- وانظر: مجلة المنار: المجلد العاشر، الجزء العاشر: ٧٤٦.

(٤) هو حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، قتله علي بن أبي طالب ﷺ يوم بدر، ولا عقب له. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٣٤٥.

(٥) انظر: الأغاني للأصفهاني: ٦/ ٣٦٥.

رسول اللّه ﷺ وآل بيته،[1] فلما انتصر الإسلام ورفع صوت الحق تابع ﷺ نهجه في عرض الإسلام على عِلْيَة القوم وعقلائهم لعل اللّه ينصر بهم ما لا ينصر بغيرهم، وكان ممن دعي إلى اعتناق الدين الجديد سويد بن الصامت الذي - كان يلقب بالكامل - رفض الدعوة قائلاً: لعل الذي معك مثل الذي معي. فقال رسول اللّه ﷺ: «وما الذي معكْ؟» قال: مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال رسول اللّه ﷺ: «اعرضها عليَّ». فعرضها عليه.

فقال له: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله اللّه تعالى عليَّ....» الرواية[2].

وروى عمران بن حصين[3] لُبشير بن كعب[4] قول رسول اللّه

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد: ١/ ١٣٩- وتهذيب السيرة لعبد السلام هارون: ٩١.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٢٦ ط ٢.

(٣) هو عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي، صحابي جليل، أسلم عام خيبر، وغزا في سبيل اللّه، وولي قضاء البصرة، تجنب الفتنة ولم يحارب مع علي، توفي (٥٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٥٠٨- والإصابة لابن حجر: ٣/ ٢٦.

(٤) هو بشير بن كعب بن أبيّ البصري، فقيه عابد، وتابعي جليل، وثقه النسائي وغيره، قيل: توفي سنة (٨٠هـ). انظر تهذيب الكمال للمزي: ٤/ ١٨٤- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٣٥١- وفتح الباري لابن حجر: ١٠/ ٥٢١.

ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير». فقال بشير: مكتوب في الحكمة: إن الحياء وقار. وإن من الحياء سكينة. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحيفتك.(١) وهي المجلة التي ذكر وهب بن منبه ت(١١٦ هـ)(٢) أنه قرأ فصولاً منها.(٣)

ولا يعني هذا نفي وصف الأمية عن العرب، فهم في غالبيتهم كانوا أميين لا يقرأون ولا يكتبون، وهو وصف يليق بأبناء البادية أكثر منه بسكان المدن وأرباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق وأطراف الشام، الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد.

لقد جاء الإسلام ليجد تربة صالحة للتعلم والتعليم، فبدأ بـ﴿اقرأ﴾ إيذاناً بمكانة العلم، وذكر القلم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] وسيلة الكتابة وتدوين العلم ونقله ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] وأكد ذلك ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢] ورفع من قدر الكاتبين حين وصف سبحانه الملائكة بقوله: ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١] وحين قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الحياء: ٧/ ١٠٠- ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان: ١/ ٦٤.

(٢) هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، أخو همام بن منبه، أخباري قصصي، وثقه العجلي وأبو زرعة. انظر: تهذيب الكمال للمزي: ٣١/ ١٤٠- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٥٤٤.

(٣) انظر المعارف لابن قتيبة: ٥٥ط٤ دار المعارف.

١٨-١٩] ويجد القارئ لكتاب اللّه أن مصطلحات الكتابة والكتاب والقرطاس والقلم والمداد والصحف، قد تكررت مراراً، فكان في هذه الآيات وغيرها حث على طلب العلم، وتوجيه رباني لمن يعتنق هذا الدين بضرورة التعلم والتفقه.

إن طبيعة الرسالة السماوية تقتضي أن يكثر المتعلمون والكُتاب، (فالوحي يحتاج إلى من يكتب، وأمور الدولة من مراسلات ومواثيق تحتاج إلى كُتَّاب)(١) وقد حث رسول اللّه ﷺ من آمن على التعلم والكتابة، ولهذا حين هاجر من أصحابه ﷺ مَنْ هاجر أرسل لهم مصعب بن عمير ليعلمهم وليفقههم في الدين، كما كان يأمر كتَّابه بكتابة ما كان ينزل من كلام اللّه حتى يبقى محفوظاً في السطور والصدور معاً، وليبقى كل منهما شاهداً على الآخر وضابطاً له. كما كان في عمله هذا ﷺ حض وتشجيع للصحابة على التعلم، فانتشرت الكتابة بينهم في وقت قياسي، حتى أصبح كتّاب النبي ﷺ يقدَّرون بأكثر من خمسين كاتباً، يقول المسعودي وقد ذكر أسماء كُتَّابه: إنما ذكرنا من أسماء كُتّابه ﷺ مَنْ قد ثبت على كتابته، واتصلت أيامه فيها، وطالت مدته، وصحت الرواية على ذلك من أمره، دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً يضاف إلى جملة كُتّابه.(٢)

---

(١) انظر السنة قبل التدوين: ٢٩٨.

(٢) انظر: التنبيه والإشراف: ٣٤٦- والسُّنة قبل التدوين لعجاج الخطيب: ٢٩٨.

فهذا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت[(١)] -رضي اللّه عنهم - وغيرهم يكتبون القرآن الكريم، وهذا الزبير بن العوام[(٢)] وجهيم بن الصلت[(٣)] - رضي اللّه عنهما - يكتبان أموال الصدقات، وعبداللّه بن الأرقم[(٤)] والعلاء بن عقبة[(٥)] وحصين بن

(١) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي كان من كتاب الوحي، قيل: إنه أعلم الناس بالفرائض، ومن أصحاب الفتوى والقضاء. توفي سنة (٤٥هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٣٨٠- والاستيعاب لمعرفة الأصحاب لابن عبد البر: ١/ ٥٥١- والإصابة لابن حجر: ١/ ٥١٦.

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، حواري رسول اللّه ﷺ، وابن عمته، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في الإسلام، قتله جرموز في فتنة الجمل. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٤١- والإصابة لابن حجر: ١/ ٥٤٥- وشذرات الذهب لابن عماد: ١/ ٤٢.

(٣) هو جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف، قيل: أسلم بعد الفتح، وقال البلاذري: تعلم الخط في الجاهلية فجاء الإسلام وهو يكتب، وقد كتب لرسول اللّه ﷺ، قال ابن حجر: وقال صاحب التاريخ الصمادحي: كان الزبير وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات. انظر: الإصابة لابن حجر: ١/ ٢٥٥- وأسد الغابة لابن الأثير: ١/ ٣٦٩.

(٤) هو عبداللّه بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب القرشي الكاتب، أسلم عام الفتح، وكتب للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر - رضي اللّه عنهما - ولاه عمر بيت المال، وكذا عثمان، عمي قبل وفاته. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٤٨٢- وأسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ١٧٣.

(٥) هو العلاء بن عقبة، ترجم له ابن حجر فقال: ذكره المستغفري في الصحابة، وذكره المرزباني وقال: كان النبي ﷺ يبعثه هو والأرقم في دور الأنصار. وفي تاريخ =

نمير[(١)]، والمغيرة بن شعبة[(٢)] - رضي اللّه عنهم - يكتبون بين الناس المداينات وسائر العقود، وشرحبيل ابن حسنة[(٣)] ﷺ يكتب التوقيعات إلى الملوك، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ﷺ[(٤)] يكتب مغانم رسول اللّه

---

=ابن صمادح: أن العلاء بن عقبة والأرقم كانا يكتبان بين الناس المداينات والعهود والمعاملات. وقد أورد الدكتور أحمد عيسى ثلاثة كتب كتبها العلاء. انظر: الإصابة لابن حجر: ٢/ ٤٩٨- وكتاب الوحي لأحمد عيسى: ٣٩٩.

(١) هو الحصين بن نمير بن نائل الأنصاري، صحابي من كتاب النبي ﷺ، قيل: كان ينوب عن معاوية في الكتابة، كما كان يكتب المداينات والمعاملات. قتل في قتال شيعة علي ﷺ قرب الموصل سنة (٦٧هـ). انظر: الإصابة لابن حجر: ١/ ٣٣٩- وكتاب الوحي لأحمد عبد الرحمن عيسى: ٤٨٥.

(٢) هو المغيرة بن شعلة بن أبي عامر بن مسعود، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد بيعة الرضوان، وعُرف عنه سرعة البديهة وحدة الذكاء، كتب كثيراً بين الناس وخاصة في المداينات والمعاملات. أورد له أحمد عيسى تسعة كتب. توفي سنة (٥٠هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٩٤- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٢١- وكتاب الوحي لأحمد عيسى: ٣٨٥.

(٣) هو شرحبيل ابن حسنة نسبة إلى أمه، وأبوه هو عبد اللّه بن المطاع بن عمرو من اليمن، أحد السابقين إلى الإسلام، من مهاجرة الحبشة، قاد جيش أبي بكر إلى الأردن وفتح طبرية وما حولها، مات في طاعون عمواس سنة (١٨هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٣٢٥- والإصابة لابن حجر: ٢/ ١٤٣.

(٤) هو معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، وكان أميناً على خاتم النبي ﷺ، واستعمله أبو بكر على الفيء وولي بيت المال لعمر، أصابه الجذام، وتوفي سنة (٤٠هـ). انظر المعارف لابن قتيبة: ٣١٦- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٤٩١.

ﷺ.[1] وقد أورد الكتاني في التراتيب الإدراية قائمة بأسماء الكتّاب الدائمين والمؤقتين[2].

لقد سلك رسول اللّه ﷺ في حث أصحابه على التعلم والكتابة طرقاً عديدة، آتت ثمارها عاجلاً، فتارة يبين لهم أهمية طلب العلم ومكانة العلماء «من سلك طريقاً يطلب به علماً سهل اللّه له طريقاً إلى الجنة»[3]،ويدلهم على حصول الأجر الكبير في تبليغ ما يتعلمونه منه ﷺ: «نضَّر اللّه امرأً سمع منا حديثاً فَحَفِظَهُ حتى يُبَلِّغَهُ، فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى منْ هو أفقه منه، وربَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه»[4].

وتارة بالتهديد والوعيد لمن تعلم علماً فكتمه عن غيره ولم يبلغه: «من

---

(١) انظر: التراتيب الإدارية للكتاني:١/ ١١٥-١٢٤- ودراسات في الحديث النبوي للأعظمي:١٢٠-١٢٤.

(٢) انظر: التراتيب الإدراية للكتاني: ج١/ ١١٥-١٢٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: العلم قبل القول: ١/ ٢٥- وأحمد في المسند: ٢/ ٢٥٢- وأبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم: ٣/ ٣١٧.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم: ٣/ ٣٢٢- وأحمد في المسند: ١/ ٤٣٧- والترمذي في السنن، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ٥/ ٣٣ وقال: حديث حسن- والطحاوي في مشكل الآثار: ٢/ ٣٢- وابن عبد البر في جامع بيان أهل العلم: ١/ ٣٩- وهو في موسوعة أطراف الحديث لزغلول: ١٠/ ٣٥-٣٦ بطرق كثيرة، وألفاظ مختلفة.

سئل عن علم فَكَتَمَهُ أَلْجَمَه اللّهُ بلجام من نار يومَ القيامة»(١).

وأخرى بتقريب الكُتَّاب من نفسه، وإظهار الاهتمام بهم، ومنحهم المنزلة العظيمة، حتى عُرِفَ أن أقرب الناس إلى رسول اللّه ﷺ هم كُتاب الوحي، فعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول اللّه ﷺ أن أتعلَّم له كتابَ يهود وقال لي: «إني لا آمن يهوداً على كتابي». فلم يمر بي نصف شهر حتى تعلمته. فكنت أكتب له إلى يهود، وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم(٢).

كان من سياسته التعليمية ﷺ أن اتخذ من بيوت ثُلّةٍ من الصحابة مراكز للتعليم، فكانت دار الأرقم(٣)، وكانت دار مخرمة بن

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم: ٣/ ٣٢١- والترمذي في سننه كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتابة العلم: ٥/ ٢٩ وقال: حديث حسن - وأحمد في المسند: ٢/ ٢٦٣-٣٠٥ والحاكم في المستدرك: ١/ ١٠١ وقال: هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تجمع ويذاكر بها، وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين. وأورده السيوطي في الجامع وصححه. انظر فيض القدير للمناوي: ٦/ ١٤٦.

(٢) اخرجه أبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب: ٣/ ٣١٨، وأورده البلاذري في فتوح البلدان: ٦٦٤.

(٣) هو الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد اللّه بن عمر المخزومي، من عقلاء قريش، ومن السابقين إلى الإسلام، استخفى النبي ﷺ في داره، واستعمله في الصدقة، توفي سنة (٥٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٤٧٩ =

نوفل[١][٢]، وفتح المسجد في دار هجرته وخصص جزأً منه للتعليم حيث أمر عبدالله بن سعيد بن العاص[٣] بأن يعلم الكتابة بالمدينة.[٤] بل لقد أصبحت وخلال مدة وجيزة مساجد المدينة التسعة إلى جانب مسجد رسول الله ﷺ تصدر القرّاء والكُتّاب، يتعلمون فيها الكتابة وتعاليم الدين، وكان من أوائل المعلمين سعد بن الربيع الخزرجي[٥] أحد النقباء الاثنى عشر، وبشير بن سعد بن ثعلبة[٦]، وأُسيد بن حُضَير، وأوس بن خَولّي، والعلاء

---

=وأسد الغابة لابن الأثير: ١/ ٧٤.

(١) هو مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف القرشي، صحابي كان من المؤلفة قلوبهم، توفي سنة ٥٤هـ.انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٥٤٢- والإصابة لابن حجر: ٣/ ٣٩٠.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٥١ و٨٤ و٨٩.

(٣) هو عبدالله بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، كان اسمه في الجاهلية الحكم، فقال له النبي ﷺ: أنت عبد الله، أخوته الثلاثة من كتاب الوحي، وأوكل إليه النبي ﷺ تعليم أبناء المسلمين في المدينة، قيل: استشهد يوم بدر. انظر: الإصابة لابن حجر: ١/ ٣٤٤ و٢/ ٣١٩- وكتاب الوحي لأحمد عيسى: ٤٩٨.

(٤) انظر الإصابة لابن حجر: ١/ ٣٤٤.

(٥) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء ليلة العقبة، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، استشهد يوم أحد. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣١٨- والإصابة لابن حجر: ٢/ ٢٦.

(٦) هو بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجُلاس- وقيل بفتح الخاء المعجمة وتثقيل اللام الخَلاّس- بن زيد بن مالك الخزرجي، والد النعمان بن بشير، شهد بدراً، وأول=

ابن الحضرمي[(١)]، والشفاء بنت عبدالله العدوية، وغيرهم.[(٢)] وفي غزوة بدر نحى الرسول الكريم ﷺ منهجاً حكيماً حين أمر الأسرى بأن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة، فقد روى ابن سعد بسنده أن رسول الله ﷺ أسر يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دُفع له عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلَّمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه.[(٣)] حتى انتشرت الكتابة وشملت النساء أيضاً، فتعلمن الكتابة مثل شقائقهن من الرجال، فهذه الشفاء بنت عبدالله تقول: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلِّمين هذه رُقية النَّملة كما علَّمتيها الكتابة»[(٤)] وكان من المتعلمات أم كلثوم بنت عقبة، وعائشة

---

=أنصاري بايع أبا بكر بعد وفاة الرسول ﷺ. انظر: تهذيب الكمال للمزي: ٤/١٦٦- والإصابة لابن حجر: ١/١٥٨- وأسد الغابة لابن الأثير: ١/٢٣١.

(١) هو العلاء بن عبدالله بن عماد بن أكبر بن ربيعة الحضرمي، صحابي جليل، عمل على البحرين للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر، توفي سنة (١٤هـ). انظر: طبقات خليفة: ١٢ و٧٢- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/٢٦٢- وكتاب الوحي لأحمد عيسى: ٤٤٨.

(٢) انظر: فتوح البلدان للبلاذري: ٦٦٣.

(٣) انظر طبقات ابن سعد: ٢/١/١٤- والمستدرك للحاكم عن ابن عباس: ٢/١٤٠ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: الطب، باب: ما جاء في الرقى: ٤/١١- وأحمد في المسند: ٦/٣٧٢، وأورده البلاذري في فتوح البلدان: ٦٦١.

بنت سعد، وفاطمة بنت الخطاب[١] وكريمة بنت المقداد[٢] وغيرهن[٣].

ولم يكتف ﷺ بتعليم أبناء المسلمين في المدينة فحسب بل كان يرسل الرسل إلى ديار الإسلام لتعليم المسلمين وأبنائهم أمور دينهم، كما فعل بمعاذ بن جبل[٤] ومصعب بن عمير[٥] وغيرهم[٦].

---

(١) هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية ، أخت عمر بن الخطاب، أسلمت مع زوجها سعيد بن زيد قديماً، وكان سبباً في إسلام عمر -رضي اللّه عنهما . انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٧/ ٢٢٠- والإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٨١.

(٢) هي كريمة بنت المقداد بن الأسود الكندية ، أمها ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، روى عنها زوجها عبد اللّه بن وهب، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٢/ ٤٤٨.

(٣) انظر فتوح البلدان للبلاذري: ٦٦١.

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري ، شهد بدراً والعقبة والمشاهد، كان عالماً بالحلال والحرام، ومناقبه كثيرة، ولاه النبي ﷺ اليمن. مات في طاعون عمواس سنة (١٨هـ). انظر: طبقات خليفة: ١٠٣ و٣٠٣- وسير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤٤٣- وكتاب الوحي: ٣٧٣.

(٥) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، السيد الشهيد السابق البدري، أسلم ورسول اللّه ﷺ في دار الأرقم، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ليعلم الناس القرآن، استشهد بأحد ومعه اللواء سنة (٣هـ). انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٣/ ٤٦٨- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ١٤٥.

(٦) انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ١١٨.

ولم يتوفّ رسول اللّه ﷺ إلا وعدد كبير من الصحابة يجيدون الكتابة والقراءة، ولم يأت القرن الثاني للهجرة حتى كانت الكتابة منتشرة على أوسع نطاق، والكُتّاب لا يحصون كثرة، والكتاتيب مكتظة بطلبة العلم، حتى حكي أنه بلغ عدد طلاب الضحاك بن مزاحم وحده ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف على حمار يشرف عليهم.(١)

هذا ولا ننكر أن عدداً من الصحابة كره كتابة الحديث وتدوينه، كما كره كتابة الشعر عدد من الشعراء قبل الإسلام، ومن هؤلاء الصحابة الذين كرهوا الكتابة: عمر بن الخطاب(٢) وعلي بن أبي طالب(٣) وزيد بن ثابت(٤)، وعبد اللّه بن عباس(٥)، وعبداللّه بن مسعود(٦)، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص، مع أنهم كانوا يجيدون فن الكتابة بل منهم من هو من كُتاب الوحي، وكانت همتهم عالية في نشر العلوم، غير أنهم - رغم تمكنهم من الكتابة بأحسن أشكالها، وإتقانها تمام الإتقان - كانوا يرون أن الاتكال

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٢/ ١٦ ط مصر.

(٢) انظر: تقييد العلم للخطيب: ٥٢- وجامع بيان العلم لابن عبد البر: ٢/ ٤٢.

(٣) انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر: ١/ ٧٢.

(٤) انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر: ١/ ٦٣-٦٦.

(٥) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٣٧١- ومرآة الجنان لليافعي: ١/ ٢٢٥.

(٦) انظر: تقييد العلم للخطيب: ٥٦- والمصنف لابن أبي شيبة: ٩/ ٥٣.

على الكتابة، والاعتماد على المكتوب يضعف عندهم مَلَكة الحفظ، وقوة العارضة، وسيلان الذهن الذي عُرف عنهم[١]. ولهذا يقول الإمام مالك ﷺ: لم يكن القوم يكتبون، وإنما يحفظون، فمن كتب منهم الشيء فإنما كان يكتبه ليحفظه، فإذا حفظه محاه. وكان غير واحد من السلف يستعين على حفظ الحديث بأن يكتبه ويدرسه من كتابه، فإذا أتقنه محا الكتاب خوف الاتكال.[٢] وأيضاً لأن وسائل الكتابة لم تكن ميسرة فهو يمحو المكتوب ليكتب غيره، وقد مات ابن المسيب[٣] ولم يترك كتاباً، ولا القاسم بن محمد[٤]، ولا عروة بن الزبير[٥]. وسمع يونس بن حبيب[٦]

(١) انظر: تدريب الرواي للسيوطي: ٥٠

(٢) انظر: تقييد العلم للخطيب: ٥٨ - وحجية السنة لأبي شهبة: ٣٩٥.

(٣) هو سعيد ين المسيب بن حزن القرشي، سيد التابعين، وعالم أهل المدينة، توفي (٩٤هـ). انظر: طبقات ابن سعد: ٥/ ١١٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٢١٧.

(٤) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، تابعي ثقة، أحد كبار فقهاء المدينة، قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، توفي سنة (١٠٦هـ). انظر: طبقات خليفة: ٢٤٤- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٥٣.

(٥) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، عالم المدينة وأحد الفقهاء السبعة، توفي سنة (٩٣هـ). سنة الفقهاء لكثرة ما مات فيها من الفقهاء. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٢٢- وطبقات خليفة: ٢٤١- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٢١.

(٦) هو يونس بن حبيب الضبي، إمام النحو، وشيخ سيبويه والفراء والكسائي، له تواليف في القرآن واللغات، توفي سنة (١٨٣هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٥٤١- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ١٩١.

رجلاً ينشد:

استودع العلـم قرطاسـاً فضيَّعـه وبئس مستودع العلم القراطيس

فقال يونس: قاتله اللّه ما أشد صيانته للعلم وصيانته للحفظ.(١)

وقال الخليل بن أحمد(٢):

ليس العلـم مـا حـوى القِمَطْـرُ ما العلـم إلا مـا حـواه الصـدرُ

ثم إن كثيراً من الأعراب الذين دخلوا في الدين لم يكونوا قد تفقهـوا، ولا جالسوا العلماء العارفين فلم يُؤْمَنْ أن يُلحِقوا ما يجدون مـن الصحـف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن(٣).

أضف إلى هذا خشـية الصحابـة مـن أن يفهـم البعـض أن في تدويـن السنة من قِبَلِهم حصر لها والأمر خلاف ذلك، طلب أبو بكـر الصديـق ﷺ من ابنته عائشة - رضي اللّه عنها - قبل وفاتـه أن تـأتي لـه بمـا جمعـه مـن حديث المصطفى ﷺ ليحرقه وكان من جملة ما قـال لهـا: ويكـون قـد بقـي

---

(١) انظر تاريخ أبي زرعة: ١/ ٥١٧- وجامع بيان العلم: ١/ ٦٩.

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، صاحب العربية ومنشئ علم العروض، شـيخ سيبويه في النحو، عُرف عنه حدة للذكاء والفطنة، واللطافة، توفي سنة (١٧٠هـ). انظـر: المعارف لابن قتيبة: ٥٤١- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٧/ ٤٢٩.

(٣) انظر تقييد العلم للخطيب: ٥٧.

حديث لم أجده فيقال: لو كان قاله رسول اللّه ﷺ ما خفي على أبي بكر.(١)

كما كان لمشقة الكتابة، وندرة وسائلها، أثرها الواضح في كراهية بعضهم لها، إذ تستدعي الكتابة على الأدم واللخاف والعظام.. وغير ذلك، جهداً خاصاً، فمجرد الكتابة عليها أمر في غاية الصعوبة.

**ج- ما الذي كتبه الصحابة:**

تبين لنا فيما سبق أن عدداً من الصحابة كان يجيد الكتابة ويمارسه، وأن عدداً منهم تعلم الكتابة بعد أن دخل الإسلام ومارسه، والذي يظهر من أخبارهم أنهم كانوا يكتبون كل ما تحتاجه الدولة الإسلامية من أمور الوحي، وحديث رسول ﷺ، وتفسير القرآن الكريم، والمراسلات والوثائق والمعاهدات والصكوك بأنواعها والعقود وغير ذلك، وسوف أتناول هذه الأمور بالتحليل الموجز حسب ما يقتضيه المقام:

**١) الوحي:**

كان جل اهتمام النبي ﷺ والصحابة بالوحي من بدء نزوله حتى اكتمل، فقدكان ﷺ حين تنزل عليه الآية أو الآيات يأمر الصحابة بتدوينها، ويمليها عليهم من فوره، فيدونونها على أي شيء يكون بين أيديهم مثل الوَرق والخشب أو قطع الجلد والعسب والأكتاف وغيرها،

---

(١) سبق تخريجه.

ومن ثم ينسخونه ويتداولونه فيما بينهم.

روى البخاري عن البراء بن عازب[١] قال: نزلت آية ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥] قال النبي ﷺ: «ادعوا زيداً». فجاء ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال: اكتب: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ...﴾[٢].

وهكذا دُوِّنَ القرآن كله في عهده ﷺ، وبإملائه ومراجعته ﷺ، غير أنه لم يكن مجموعاً ولا مرتباً حسب السور، كما أنه لم يكن مكتوباً على وسيلة واحدة من وسائل الكتابة، ولهذا حين دعت الحاجة إلى جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه جُمعت الصحف، ثم نُسِخَت المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه فكان في مأمن من الأخطار.

### ٢) حديث رسول الله ﷺ :

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب اللّه عز وجل،

---

(١) هو البراء بن عازب بن الحارث الأوسي الأنصاري، له ولأبيه صحبة، استصغره النبي ﷺ يوم بدر فرده، غزا مع رسول اللّه ﷺ أربع عشرة غزوة، وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج، توفي في خلافة مصعب بن الزبير. انظر: طبقات خليفة: ٨٠ و١٣٥ - والاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير (سورة النساء)، باب: لا يستوي القاعدون: ٥/ ١٨٢ - والواحدي في أسباب النزول: ١٦٨ - وأبو داود في السنن: ٣/ ٣٤ - والترمذي في سننه: ٥/ ٢٤٢- والطبراني في الكبير: ٥/ ١٣٣.

وهي وحي منزل ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣] وفي الحديث «ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه..»[١] أي: السنة. ولهذا حرص الصحابة على سنة رسول اللّه ﷺ حرصهم على كتاب اللّه، وتنوعت أشكال هذا الحرص وهذا الاهتمام، فمن أوتي مَلَكة الحفظ حفظ، ومن كان دون ذلك سعى لتدوين ما يشق عليه حفظه ليحفظه فيما بعد، وهكذا تنوقلت الصحف التي تحوي سنة المصطفى ﷺ، وبإشارة منه، ولما خشي اختلاط السنة بالقرآن نهى الصحابة عن تدوين شيء مع القرآن الكريم، وفهم بعض الصحابة من هذا النهي التوقفَ عن الكتابة البتةَ، فمزق ما كتبه وامتنع، وفهم آخرون أن هذا النهي مقيد فأولوه بمنع كتابة شيء مع كلام اللّه في صحيفة واحدة خشية الاختلاط، لذلك لم يمتنعوا عن الكتابة، وظلوا يستندون إلى أحاديث الإباحة، وتلك التي أذنت في الكتابة وهي كثيرة أيضاً، أخرج ابن عبد البر[٢] في جامع بيان العلم عن أنس بن مالك[٣] - ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «قيّدوا

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤/ ٢٠٠ - وأحمد في المسند: ٤/ ١٣١.

(٢) هو يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، أبو عمر، شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها وأحفظ من كان بالأندلس لسنة المصطفى ﷺ، توفي سنة (٣٦٨هـ). انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض: ٤/ ٨٠٨- ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٧/ ٦٦.

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن النجار، خدم النبي ﷺ صغيراً، وسمع منه ومن كبار=

العلم بالكتاب».[١]

وقد أذن رسول اللّه ﷺ أن يكتب لأبي شاة[٢] بقوله : «اكتبوا لأبي فلان ».[٣].

وروي أن رجلاً من الأنصار شكا حفظه إلى رسول اللّه ﷺ فقال له : «استعِن بيمينك»، وأومأ بيده للخط.[٤] أي بالكتابة.

---

=الصحابة، شهد الحديبية والفتح وحنين، توفي بالبصرة سنة (٩٣هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٣٠٨ – والاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ٧.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ١٠٦ وقال: صحت الرواية عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: قيِّدوا العلم بالكتاب... قال: وكذلك الرواية عن أنس بن مالك صحيح من قوله، وقد أسند من وجه غير معتمد. وأخرجه الخطيب في تقييد العلم: ٧٠- وفي تاريخ بغداد: ١٠/ ٤٦ – وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٧٢ – وابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/ ٧٨.

(٢) هو أبو شاة اليماني، قيل: إنه كلبي، وقيل: هو من أبناء الفرس، كان ممن حضر خطبة يوم الفتح، وأمر الرسول ﷺ أن تكتب له الخطبة. انظر: الإصابة لابن حجر: ٤/ ١٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم: ١/ ٣٦ -وأبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: في كتابة العلم: ٣/ ٣١٩. والترمذي، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الرخصة فيه: ٥/ ٣٩ وقال: حديث حسن صحيح -وأحمد في المسند: ٢/ ٢٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: العلم، باب: الرخصة فيه: ٥/ ٣٩ وقال: إسناده ليس بذاك. وهو في تقييد العلم: ٦٥، والجامع لأخلاق الراوي: ١/ ٢٤٩ ط المعارف- وكنز العمال: ١٠/ ٢٤٥.

وروى الإمام أحمد[١] عن عمرو بن شعيب[٢] عن أبيه عن جده أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشَرٌ يتكلم في الغضب والرِّضى، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج مني إلا حق».[٣] بل إن رسول الله ﷺ كان يملي الكتب إلى الملوك وفي المصالحة وقد أملى على علي رضي الله عنه ليكتب، قالت أم سلمة[٤] زوج النبي ﷺ: دعا رسول الله ﷺ بأديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله ﷺ

---

(١) هو أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، رابع الأئمة الأربعة، إمام عالم مجتهد، كان لموقفه من محنة القرآن أثره في ثبات أهل السنة في وجه المعتزلة، توفي سنة (٢٤١هـ). انظر: تاريخ بغداد: ٤/ ٤١٢ -وطبقات الحنابلة لأبي يعلى: ١/ ٤.

(٢) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله السهمي، وثقه الجمهور، واحتج به أرباب السنن الأربعة، توفي سنة (١١٨هـ). انظر: طبقات خليفة: ٢٨٦ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ١٦٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ١٠٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح ولم يخرجاه. -وأبو داود، كتاب العلم، باب: كتابة العلم: ٣/ ٣١٨ -والدارمي: ١/ ١٠٣ - وهو في تقييد العلم: ٧٤-٨٢- والجامع لأخلاق الراوي: ٥٠.

(٤) هي أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، توفيت سنة (٦٢هـ) وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً. انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٧/ ٣٤٠-والإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٥٨.

يملي وعليٌّ يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه.(١).

يقول الأعظمي: أملى رسول اللّه ﷺ بعض الأحاديث، وكتبها الصحابة وبلغت درجة التواتر منها الرسائل التي بعثها رسول اللّه ﷺ إلى مختلف الأمراء وهي أحاديث نبوية.(٢)

كما أن فعل الصحابة يؤكد أن منهم من كان يكتب ويحتفظ بالمكتوب لديه، روى البخاري في «صحيحه» عن أبي جحيفة(٣) قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب اللّه، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر.(٤)

وروي عن أبي هريرة -رضي الله عنه-(٥) أنه قال: ما من أصحاب رسول اللّه

---

(١) انظر: أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني: ١٢ قال السمعاني: وأمثال هذه الكتب كثيرة ولو ذكرناها لطال الكتاب، والمقصود أن النبي ﷺ كان يملي الكتب على كتّابه رضي اللّه عنهم أجمعين -ودراسات في الحديث النبوي: ١/ ١٢٧.

(٢) انظر: دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: ١/ ٧٩.

(٣) هو أبو جحيفة وهب بن عبد اللّه السوائي ويقال له وهب الخير، من صغار الصحابة، لازم علياً فإذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره، مات (٧٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٢٠٢ - والإصابة لابن حجر: ٣/ ٦٤٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم: ١/ ٣٦.

(٥) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي أكثر الصحابة حفظاً للحديث ببركة دعاء الرسول ﷺ، كثير التعبد والذكر، فيه دعابة، استعمله عمر على البحرين، توفي سنة(٥٨هـ)=

ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب.[١]

وروي أنه كان لابن عباس ﷺ مجموعة ضخمة من الكتب يحتاج في نقلها ظهر بعير، وأن مولاه وتلميذه كريب[٢] قام بحفظها ثم أودعها لدى موسى بن عقبه[٣] الذي قال: وضع عندنا كريب حمل بعير من كتب ابن عباس، وكان علي بن عبد الله ابن عباس[٤] إذا أراد الكتاب كتب إليه

=انظر: المعارف لابن قتيبة: ١٢٠- والإصابة لابن حجر: ٤/ ٢٢٠.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم. البخاري مع الفتح: ١/ ٢٠٦ والترمذي، كتاب: العلم، باب: الرخصة فيه: ٥/ ٤٠ وقال: حديث حسن صحيح- وأحمد في المسند: ٢/ ٢٤٨ - والدارمي في السنن: باب: من رخص في كتابة العلم: ١/ ١٠٣ -والخطيب في جامع بيان العلم: ١/ ٨٤، وتقييد العلم: ٨٢.

(٢) هو كريب بن أبي مسلم الهاشمي، مولى ابن عباس، وثقه ابن معين والنسائي، توفي سنة (٩٨هـ). انظر: طبقات خليفة: ٢٨٠ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٧٩.

(٣) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي، من صغار التابعين، إمام ثقة قليل الحديث، له كتاب في المغازي، وقيل: هو أول من ألف فيه، توفي سنة(١٤١هـ). انظر: طبقات خليفة: ٢٦٧ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ١١٤.

(٤) هو علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي، ولد عام قتل الإمام علي فسمي باسمه، قال ابن سعد: ثقة قليل الحديث. هو جد الخلفاء من بني العباس، توفي سنة (١١٨هـ). انظر: طبقات خليفة: ٢٣٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٢٥٢ر٢٨٤.

ابعث إليَّ بصحيفة كذا وكذا، فينسخها ويبعث بها.[١] ولا شك أن هذا المكتوب كان خليطاً من شتى اهتمامات ابن عباس العلمية: الحديث والتفسير والشعر واللغة وغير ذلك.

وروت سلمى[٢] خادمة رسول اللّه ﷺ وزوجة أبي رافع بن خديج فقالت: رأيت ابن عباس معه ألواحه يكتب عليها عن أبي رافع شيئاً من فعل رسول اللّه ﷺ.[٣]

وعن نافع[٤] أن ابن عمر -رضي الله عنه- كان له كتب ينظر فيها قبل أن يخرج إلى الناس.[٥]

وأخرج الحاكم عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ قالت: جمع أبي الحديث عن رسول اللّه ﷺ فكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد: ٥/ ٢١٦- وتقييد العلم للخطيب: ١٣٦- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٨٠.

(٢) هي سلمى أم رافع امرأة أبي رافع مولى الرسول ﷺ، انظر الإصابة لابن حجر: ٤/ ٣٣٣.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٧١ - وتقييد العلم: ٩١ - والتراتيب الإدارية للكتاني: ٢/ ٢٤٧.

(٤) هو نافع أبو عبد اللّه القرشي، مولى ابن عمر وراويته، من كبار التابعين، ديلمي الأصل، أصابه ابن عمر في بعض غزواته صغيراً توفي (١١٧هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٥/ ٣٦٧ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٩٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٢٣٨.

كثيراً، فغمني فقلت: تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فأحرقها، وقال: خشيت أن أموت وهي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني، فأكون قد تقوَّلت ذلك.

وفي رواية زيادة: فأكون قد تقلدت ذلك ويكون قد بقي حديث لم أجده فيقال: لو كان قاله رسول اللّه ﷺ ما غبي على أبي بكر، إني حدثتكم الحديث ولا أدري لعلي لم أتتبعه حرفاً حرفاً.[١]

ومثل هذا روي عن النعمان بن قيس أن عبيدة ت(٧٢هـ)[٢] دعا بكتبه عند الموت فمحاها فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن يليها قوم

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٥، وكنز العمال: ١٠/ ٢٨٥، وعزاه لابن كثير عن الحاكم، قال الحافظ ابن كثير: هذا غريب من هذا الوجه جداً وعلي بن صالح -من رجال السند- لا يعرف، والأحاديث عن رسول اللّه ﷺ أكثر من هذا المقدار بألوف ولعله إنما اتفق له جمع تلك فقط ثم رأى ما رأى. وقال السيوطي: لعله جمع ما فاته سماعه من النبي ﷺ وحدثه عنه به بعض الصحابة، ثم خشي أن يكون الذي حدثه وهم فكَرِه تقلُّد ذلك. مسند أبي بكر الصديق للسيوطي: ١٧٦- و«غبي» أي: خفي. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

(٢) هو عبيدة بن عمرو -وقيل ابن قيس- السلماني، أسلم عام الفتح بأرض اليمن، ولا صحبة له، برع في الحديث والفقه، توفي سنة(٧٢هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٢٥- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٠.

يضعونها في غير موضعها.[(١)]

وترك أبو قلابة ت(١٠٤هـ)[(٢)] وصية على فراش موته يقول فيها: ادفعوا كتبي إلى أيوب[(٣)] إن كان حياً، وإلا فاحرقوها. وقد حملت الكتب بعد وفاته إلى الشام لأيوب السختياني.[(٤)]

إن ثلة من الصحابة محوا ما كتبوه أو غسلوه أو حرقوه أو دفنوه خشية أن تؤول إلى غير أهل العلم، ومهما كان ذلك فإن الشاهد منها قائم وهو كتابة الحديث وتدوينه.

أما أحاديث النهي عن كتابة السنة وكراهية ذلك فهي أيضاً كثيرة:

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد: ٦/ ٦٣ -وتقييد العلم للخطيب: ٦١-وجامع بيان العلم لابن عبد البر: ١/ ٦٧- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٣.

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، ثقة كثير الحديث، كان ديوانه بالشام، ومات بداريا. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٤٧ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٦٨.

(٣) هو أيوب السختياني أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزي، قال عنه الحسن: هذا سيد الفتيان. وقيل عنه: سيد الفقهاء، مات بالبصرة في الطاعون سنة (١٣١هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٧١ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ١٥.

(٤) انظر: طبقات ابن سعد: ٧/ ١٨٥ -والمعارف لابن قتيبة: ٤٤٧ -وتقييد العلم للخطيب: ٦٢ -وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٩٤- وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر لعبد القادر بدران: ٧/ ٤٢٧ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٧٣.

روى مسلم[١] في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري[٢] أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».[٣]

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون؟ فقلنا: ما نسمع منك. فقال: أكتاب مع كتاب اللّه... الحديث[٤]. وأحاديث أخرى في هذا المعنى، يذهب بعض أهل العلم إلى عدم ثبوت المنع ومنهم الأستاذ الأعظمي الذي

---

(١) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري، إمام محدث حافظ، من أوعية العلم، مصنفاته كثيرة منها كتاب الصحيح، توفي سنة (٢٦١هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٣/ ١٠٠ -وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١٠/ ١٢٦.

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الخزرج، أبو سعيد الخُدري، مشهور بكنيته، أول مشاهده الخندق، وغزا مع الرسول ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول اللّه ﷺ سنناً كثيرة وروى عنه علماً جمّاً، وكان من نُجباء الأنصار وعلمائهم وفُضلائهم. توفي سنة أربع وسبعين، روى عنه جماعةٌ من الصحابة وجماعةٌ من التابعين. انظر الاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ٦٠٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الزهد، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم: ٤/ ٢٢٩٨- والمسند للإمام أحمد: ٣/ ١٢ - وسنن الدارمي: ١/ ٩٨ -وتقييد العلم للخطيب: ٢٩ - وجامع بيانن العلم لابن عبد البر: ١/ ٧٦.

(٤) المسند للإمام أحمد: ٣/ ١٢ -وتقييد العلم للخطيب: ٣٣ -وهو في مجمع الزوائد للهيثمي: ١/ ١٥٠.

يقرر عدم صحة ما ورد في هذا الباب من أحاديث المنع ظاهرها من الكتابة، عدا رواية واحدة وردت عن أبي سعيد الخدري مع الخلاف في رفعها ووقفها، وكذلك في المعنى المراد منها.(١)

ويقول الحافظ ابن حجر(٢): إن السلف اختلفوا في ذلك عملاً وتركاً، وإن كان الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم.(٣)

وقد حاول العلماء الجمع بين أحاديث النهي والإباحة، وخرجوا بعدة وجوه منها:

١- أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك الوقت.(٤)

٢- أن النهي خاص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الاشتباه، حيث أن الصحابة كانوا يكتبون تأويل الآيات، فربما كتبوه

---

(١) انظر دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: ١/ ٨٠.

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد بن العسقلاني، إمام حافظ، انتهت إليه رئاسة علم الحديث، مصنفاته كثيرة منها فتح الباري، توفي سنة(٨٥٢هـ). انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: ٥٥٢ -والضوء اللامع للسخاوي: ٢/ ٣٦.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر: ١/ ١٤٦ -وقريب من هذا قاله ابن الصلاح، ينظر علوم الحديث: ١٦٩.

(٤) انظر: تدريب الراوي للسيوطي: ١٥١ -وفتح الباري لابن حجر: ١/ ٤.

معها، والإذن كان لكتابة الحديث في صحف مستقلة ليس فيها شيء من القرآن.[١]

٣- أن النهي خاص بكتاب الوحي المتلو (القرآن) - الذين كانوا يكتبونه في صحف ليحفظ في بيت النبوة، ولو أجاز لهم كتابة الحديث لم يؤمن أن يختلط القرآن بغيره - وأن الإذن لغيرهم.

٤- أن النهي لمن أمن عليه النسيان، ووثق بحفظه.[٢]

٥- أن العارفين بالكتابة كانوا في صدر الإسلام قلة، لذا اقتضت الحكمة قصر جهودهم على كتابة القرآن الكريم وبعض أمور الدولة الهامة، وعدم الاشتغال بكتابة غير ذلك.[٣]

٦- أن الإذن في الكتابة ناسخ للمنع منها.[٤] واللّه أعلم.

**٣) تفسير القرآن الكريم وما يتعلق به:**

من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغريب القرآن وغيرها من

---

(١) انظر: تدريب الراوي للسيوطي: ١٥٠.

(٢) انظر: حجية السنة للأعظمي: ٤٤٢.

(٣) انظر: تدريب الراوي للسيوطي: ١٥٠.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٤/١٤٨.

المسائل المتعلقة بالآيات التي كان رسول اللّه ﷺ يحرص على تبليغها لأصحابه عند نزول الآية أو الآيات، فكثيراً ما كان ﷺ يبين لهم حالته زمن نزول الوحي عليه، قُبَيْلَهُ وأثناءه وعقبه، ويحدد الموضع الذي نزلت فيه الآية أو الآيات، كما يبين لهم المنسوخ من الآيات، ويفسر لهم المجمل ويشرح الغريب ويخصص العام ويقيد المطلق ويخبر بالمغيبات ونحوها.

وبعض الصحابة كانوا يكتبون من الذي يسمعونه ما يحتاجون إلى كتابته، من المعاني والمسائل الهامة، وإن كان اعتمادهم على الحفظ هو الأساس.

وحين توفي رسول اللّه ﷺ وجاء عصر صغار الصحابة وكبار التابعين، حرصت الفئتان على تلقي ما تحدّث به رسول اللّه ﷺ، ومعرفة الأحوال التي أحاطت بالوحي، والتجأ بعضهم إلى تدوين ما يسمعه على هامش المصاحف أو غيرها من وسائل الكتابة، وجعلوا المكتوب معهم يلجؤون إليه عند الحاجة أو رغبة حفظه، وقد تقدم في الفقرة السابقة بعض الدلائل على كتابة الصحابة للسنة، وما التفسير المأثور عن رسول اللّه ﷺ إلا من هذه السنة.

### ٤) الرسائل والعقود والوثائق:

وكل ما احتيج إلى تقييده في السطور، كحفظ الحقوق، والمكاتبات، والاتفاقيات مع القبائل، والمعاهدات وعقود منح الأراضي، وسجلات الغزوات والمغانم، والصكوك بين الناس بحوائجهم، ورسائله ﷺ إلى الحكام وأمراء الجند، داخل الجزيرة العربية وخارجها يعرض عليهم الإسلام، من

ذلك ما كتبه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم،(١) وإلى ملك الفرس كسرى(٢)، وإلى المقوقس ملك مصر(٣)، وإلى النجاشي(٤)، ومنها بعثه ﷺ سليط بن عمرو العامري(٥) إلى هوذة بن علي الحنفي يدعوه إلى الإسلام، وكتب له

---

(١) هو هرقل عظيم الروم، كانت مدة ملكه خمساً وعشرين سنة، منه مَلَكَ المسلمون الشامَ، وقد كتب له النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وحمّل الرسالة دحية الكلبي، وكاد أن يتبع غير أنه خاف من قومه. انظر: المحبر لابن حبيب: ٧٥ -وصبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٦٢- والكامل لابن الأثير: ٢/ ١٤٣و١٨٨.

(٢) هو كسرى أنو شروان عظيم الفرس، كتب له الرسول ﷺ ودعاه إلى الإسلام فأبى، وحمل الرسالة عبد اللّه بن حذافة، فمزق كتابه، قال ﷺ: #مزق اللّهُ مُلكَه؛ قتله ابنه شيرويه. انظر: المحبر لابن حبيب: ٧٧-وصبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٦٣- والكامل لابن الأثير: ٢/ ١٤٣و١٤٦.

(٣) هو المقوقس ملك مصر، كتب له الرسول ﷺ كتاباً وأرسله مع حاطب بن أبي بلتعة، فقبل كتابته، وأهدى إليه ﷺ أربع جوار منهن مارية أم إبراهيم ابن رسول اللّه ﷺ. انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٦٤ -والكامل لابن الأثير: ٢/ ١٤٣.

(٤) هو النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة، معدود في الصحابة، كان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، وليست له رؤية، توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب. وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٤٢٨. انظر: المحبر لابن حبيب: ٧٦ - وصبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٦٤ -وحمل الرسالة عمرو بن أمية الضمري. انظر: الكامل لابن الأثير: ٢/ ١٤٣.

(٥) هو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، أسلم قديماً، شهد بدراً، استشهد في اليمامة. انظر: الإصابة لابن حجر: ٢/ ٧١.

كتاباً،[١] وبعثه ﷺ عمرو بن العاص[٢] إلى جيفر وعبد ابني الجُلندي يدعوهما إلى الإسلام ومعه كتاب رسول اللّه ﷺ إليهما[٣] وبعثه ﷺ شجاع بن وهب[٤] إلى الحارث بن أبي شمّر الغساني[٥] وكان عبد اللّه بن أرقم الزهري ممن يكتب هذه الرسائل، كما كان علي بن أبي طالب ﷺ يكتب بعض عهود النبي ﷺ، وكان ابن عباس -رضي اللّه عنهما - يحتفظ ببعض نسخ تلك الرسائل.[٦] وقد جمع عمرو بن حزم الأنصاري

---

(١) كان هوذة ملك اليمامة، وكان نصرانياً، أرسل إلى النبي ﷺ وفداً بعد أن استلم كتابه، يبلغه إن جعل الأمر له بعد أن يسلم، سار إليه ونصره، وإلا قصد الحرب. فقال ﷺ: لا ولا كرامة، اللّهم اكفنيه. فمات. انظر طبقات ابن سعد: ١/ ٢٦٢ -والكامل لابن الأثير: ٢/ ١٤٣.

(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، من أبطال الجاهلية والإسلام، أسلم عام ثمان، وولاه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، توفي بمصر سنة (٤٢هـ)، انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٨٦ -وصبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٦٥ -وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٥٤.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد: ١/ ٢٦٢.

(٤) هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد الأسدي، من السابقين المهاجرين إلى الحبشة، شهد بدراً، واستشهد باليمامة. انظر: الإصابة لابن حجر: ٢/ ١٣٨.

(٥) انظر: الكامل لابن الأثير: ٢/ ١٤٥.

(٦) انظر: نصب الراية للزيلعي: ٤/ ٤٢٠ -وتقييد العلم للخطيب: ٧٢ - ودراسات في الحديث النبوي للأعظمي: ١/ ١٣٩.

ت(٥٠هـ)[١] بعض مكاتيب رسول اللّه ﷺ في شكل كتاب وروى عنه ابنه هذا الكتاب.[٢]

ومما كان يكتبه الصحابة ما كان يأمر بكتابته ﷺ من التعليمات والتوجيهات لأمراء السرايا، روي أنه ﷺ كتب لعبد اللّه بن جحش[٣]، أمير سرية نخلة صحيفة من أديم خولاني[٤] وقال: لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا. فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس، وأخبرهم بأمر رسول اللّه ﷺ[٥]. وكتب إلى خالد بن الوليد في جواب كتابه إليه ﷺ بإسلام بني

---

(١) هو عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي، الأنصاري، صحابي شهد الخندق مع رسول اللّه ﷺ، وبعثه إلى اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات. قيل: توفي (٥١هـ). انظر: طبقات خليفة: ٨٩ -وتهذيب الكمال للمزي: ٢١/ ٥٨٥.

(٢) وقد طبع الكتاب مع كتاب ابن طولون أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين. انظره: ص٤٨، وفي صبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٥١- ٣٦٨ نماذج كثيرة من رسائله ﷺ إلى الملوك والعظماء والأمراء وغيرهم.

(٣) هو عبد اللّه بن جحش بن رياب الأسدي، من السابقين هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، وكانت أول راية عقدت في الإسلام هي له، استشهد يوم أحد. انظر: المعارف لابن قتيبة: ١٦٠- والإصابة لابن حجر: ٢/ ٢٨٦.

(٤) نسبة إلى خولان، وهي من مخالف اليمن، وقيل: قرية بقرب الشام. معجم البلدان لياقوت: ٢/ ٤٠٧.

(٥) انظر: حجية السنة للأعظمي: ٤٠٢- وهو في المغازي للواقدي: ١/ ١٣- والبداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ٢٤٩.

الحارث.[١] وأخرج البخاري عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس». فكتبنا له ألفاً وخمسمائة.[٢]

وكتب النبي ﷺ إلى ثقيف[٣] كتاباً أن لهم ذمة اللّه وذمة محمد بن عبد اللّه على ما كتب لهم، وإلى خثعم[٤]، وإلى ثمالة[٥] والحدان[٦][٧] كما ثبت أنه ﷺ كتب كتباً كثيرة في بيان ديات النفس والأطراف والفرائض والصدقات وغير ذلك من الأحكام، كالذي كتبها لعمرو بن حزم حين بعثه

---

(١) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٥٣.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب: الجهاد ، باب: كتابة الإمام للناس: البخاري مع الفتح: ٦/ ١٧٧.

(٣) هي بطن من هوزان، اشتهروا باسم أبيهم، فيقال لهم بني ثقيف، كانت مواطنهم بالطائف. انظر: معجم القبائل العربية لرضا كحالة: ١/ ١٤٨.

(٤) هي قبيلة من القحطان تنسب إلى خثعم بن أنمار، منازلهم بين بيشة وتربة. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: ١/ ٣٣١.

(٥) هي قبيلة من القحطانية، كانت منازلهم قرب الطائف، وهي نسبة إلى ثمالة بن أسلم. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: ١/ ١٥٣.

(٦) بطن من القحطانية كانوا بالسراة، وينسبون إلى حدان بن شمس. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: ١/ ٢٥٠.

(٧) انظر: طبقات ابن سعد: ١/ ٢٨٦ -وقد ذكر ما يقرب من مائة كتاب كتبها رسول اللّه ﷺ إلى الملوك والقبائل: ١/ ٢٥٨ -٢٩١- وانظر الوثائق السياسية لمحمد حميد اللّه: وثيقة رقم: ١٨١.

على نجران ويقال: إن هذا الكتاب بقي لدى عائلة عمرو بن حزم حتى عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ.(١)

كما أعطى ﷺ للعلاء بن الحضرمي ت(١٤هـ) أثناء حكمه على البحرين قواعد مكتوبة خاصة بزكاة الإبل والبقر والماعز.(٢)

ومن الاتفاقيات التي أبرمت في عهده ﷺ وكتبت ما تم مع قبيلة بني ضمرة(٣) وذلك في غزوة الأبواء في السنة الأولى من الهجرة.(٤)

ومعاهدة الحديبية وكانت سنة (٦هـ)(٥) والاتفاقية التي كتبت مع أكيدر حاكم دومة الجندل(٦) وكانت سنة (٩هـ)(٧)، ومعاهدته ﷺ مع أهل

---

(١) انظر: التراتيب الإدارية للكتاني: ١/ ١٦٨-وطبقات ابن سعد: ١/ ٢٦٧ -وتاريخ بغداد للخطيب: ٨/ ٢٢٨ -وتقييد العلم للخطيب: ٧٢-.

(٢) انظر: طبقات بن سعد: ١/ ٤٦٣.

(٣) نسبة إلى ضمرة بن بكر، بطن من كنانة، من ديارهم المرود، موضع عند الجحفة. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: ٢/ ٦٦٧.

(٤) انظر: المغازي للواقدي: ١/ ١٢- والمعارف لابن قتيبة: ٤٨.

(٥) انظر: المغازي للواقدي: ٢/ ٦١١ -والبخاري مع الفتح: ٦/ ٢٨٢.

(٦) هو أكيدر دومة بن عبد الملك بن عبد الجن، صاحب دومة الجندل، أسره خالد بن الوليد، وأرسله إلى النبي ﷺ فصالحه على الجزية، ثم ارتد فقاتله خالد في أيام أبي بكر فقتله كافراً. انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ١/ ١٣٥ -والإصابة لابن حجر: ١/ ١٢٥- ومعجم البلدان لياقوت: ٢/ ٤٧٨.

(٧) انظر: فتوح البلدان للبلاذري: ٨٢- وصبح الأعشى للقلقشندي: ٦/ ٣٥٦.

أيله[(١)]، وغير ذلك من المعاهدات والاتفاقيات التي كتبت بإملاء رسول اللّه ﷺ.

وكتب رسول اللّه ﷺ لتميم الداري -رضي اللّه عنه -[(٢)] صكاً يمنحه بموجبه قرى جيرون والرطومة وبيت عينون بالشام.[(٣)] وهي الوثيقة التي جددها الصديق أبو بكر، وبقيت إلى عصر القلقشندي الذي ذكر أن أحد معاصريه رآها في أيدي بعض التميميين.

كما كتب ﷺ لسلمان الفارسي -رضي الله عنه-[(٤)] الفدية وفيه: هذا ما فادى

---

(١) انظر: فتوح البلدان للبلاذري: ٨٠- والبخاري مع الفتح: ٦/ ٢٦٦-وأيله بالفتح، موضع من آخر الحجاز وأول الشام، قدم منها يوحنه بن رؤبة على النبي ﷺ وهو في تبوك فصالحه على الجزية. انظر: معجم البلدان لياقوت: ١/ ٢٩٢. قلت: وهي تسمى اليوم إيلات، يحكمها يهود.

(٢) هو تميم الداري بن أوس بن خارجة اللخمي الفلسطيني، وفد على النبي ﷺ سنة تسع فأسلم، كان عابداً كثير التلاوة. توفي سنة (٤٠هـ). انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٢/ ٥٨-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٤٤٢.

(٣) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: ١٣/ ١٢١- والتراتيب الإدارية للكتاني: ١/ ١٤٣- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢/ ٤٤٤.

(٤) هو سلمان الفارسي، صحابي مشهور، أصله من رام هرمز، خرج يبحث عن النبي المرسل، قال ﷺ: سلمان منا أهل البيت؛ أشار على النبي ﷺ بحفر الخندق، توفي سنة (٣٢هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٣٠٨ وتهذيب التهذيب =

محمد بن عبد اللّه فدى سلمان الفارسي من عثمان بن عبد الأشهل اليهودي ثم القرظي بغرس ثلاثمائة نخلة... إلخ. وشهد أبو بكر وعمر رضي اللّه عنهما، وكتبها علي بن أبي طالب ﷺ.(١)

هذا وقد وصلت إلينا بعض كتابات من عهد رسول اللّه ﷺ منها ما كان على الحجر، وبعضها على الرق، ومنها ما وجد على الغرانيت بجوار المدينة المنورة، يعود تاريخها إلى السنة الرابعة للهجرة، من أيام غزوة الخندق، ومن الرسائل التي وجدت على الرق بعض الرسائل التي وجهها رسول اللّه ﷺ إلى الملوك داخل الجزيرة العربية وخارجها.(٢)

هذا ما كان على عهد رسول اللّه ﷺ غير أن الوضع اختلف بعد وفاته ﷺ حيث توسعت دائرة الكتابة وأصبح الصحابة يسجلون ويكتبون ما يخشون ضياعه أو نسيانه، خاصة حين اتسعت دائرة الفتوحات الإسلامية، ودخل الناس في دين اللّه أفواجاً، واحتاج كل أولئك إلى من يعلمهم أمور دينهم، واحتاجت أقوامهم إلى التفقه في الدين، هنا كان للكتابة دورها العظيم في التعليم ونقل الأخبار والأحكام إلى الناس، وقد كان كبار التابعين يحرصون على تسجيل ما لدى الصحابة من العلوم خشية

---

=لابن حجر: ٤/ ١١٧.

(١) انظر: ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ١/ ٥٢-وتاريخ بغداد للخطيب: ١/ ١٧٠.

(٢) انظر: دراسات في تاريخ الخط العربي للمنجد: ٢٩.

ذهابها بذهابهم، ولذلك رأينا مجاهداً[(١)] يسأل ابن عباس رضي اللّه عنهما عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس: اكتب. حتى سأل عن التفسير كله.[(٢)] ورأينا سعيد بن جبير -[(٣)] رضي الله عنه - يكتب عن ابن عباس فإذا امتلأت صحفه كتب في نعله حتى ملأها، وكتب في كفه.[(٤)]

وهو الذي قال: كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس - رضي اللّه عنهم - فكنت أسمع الحديث منهما فأكتبه على واسطة الرَّحْل حتى أنزل فأكتبه.[(٥)]

وكان الحسن البصري - رضي الله عنه- يدعو بنيه بني أخيه ويقول لهم: يا بني وبني أخي، إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه -أو قال يحفظه - فليكتبه، وليضعه في بيته،

---

(١) هو مجاهد بن جبر تابعي من أئمة التفسير، ثقة أجمعت الأمة على إمامته، توفي سنة (١٠٤هـ). انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/ ٢٠٨-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٤٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري: ١/ ٣٠- ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٣.

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، فقيه ورع عابد، من أئمة التابعين، ثقة حجة، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ١٩٧- والتاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٤٦١-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٨١.

(٤) انظر: طبقات ابن سعد: ٦/ ٢٥٧-وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٣٥-وتقييد العلم للخطيب: ١٠٢ وسنن الدارمي: ١/ ١٠٥.

(٥) انظر: تقييد العلم: ١٠٣-وجامع بيان العلم: ١/ ٧٢-وانظر سنن الدارمي: ١/ ١٠٥.

وهو الذي كان يقول: إن لنا كتباً نتعاهدها.[(١)]

وعن أبي هلال قال: قيل لقتادة: يا أبا الخطاب أنكتب ما نسمع؟ قال: وما يمنعك أحد أن تكتب، وقد أنبأك اللطيف الخبير أنه قرأ وكتب ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].[(٢)]

**وبعد هذه المقدمة الذي أظنني أطلت الحديث عن الكتابة وهو أمر أعتقد أنه لا بد منه لبيان الحقيقة وتفنيد بعض الأقوال والآراء البعيدة عن الحق، أعود إلى الحديث عن نشأة علوم القرآن لأقرر** -تبعاً لثلّة من المتأخرين المشتغلين بعلوم القرآن[(٣)] - أن نشأة التفسير وعلوم القرآن كانت سابقة لنشأة الحديث ومستقلة عنه. بل إنها كانت مواكبة لنزول الوحي، وهي حقيقة تضافرت الأدلة عليها، وإن كانت تعارض رؤية أعدادٍ من أهل العلم الأقدمين منهم والمتأخرين، الذين يرون أن نشأتها تأخرت عن نشأة الحديث، بحيث كانت في البداية روايات تروى على أنها باب من أبواب الحديث إلى أن تم تجريد هذه الروايات وجمعها جمعاً خاصاً مرتباً بعيداً عن

---

(١) انظر: العلم لأبي خيثمة: ١/ ١٢٥- وجامع بيان العلم: ١/ ١٢٤-وسنن الدارمي: ١/ ١٠٧.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: ٧/ ٢٣٠ -وتقييد العلم للخطيب: ١٠٣-والكفاية له: ٣٥٤.

(٣) مثل الأستاذة ابتسام مرهون الصفار، في كتابها: معجم الدراسات القرآنية: ٩- والأستاذ مساعد مسلم آل جعفر في كتابه: أثر التطور الفكري في العصر العباسي: ٥٤، وانظر: البغوي الفراء وتفسيره للقرآن للأستاذ محمد إبراهيم الشريف: ١٨٣- والزركشي ومنهجه في البرهان، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر: ١٤.

الحديث، وكان هذا الانفصال على ما ذهب إليه الأستاذ الذهبي[(١)] في القرن الثالث، وبالتحديد في النصف الثاني منه على يد ابن ماجه ت (٢٧٥هـ)، وعلى ما ذهب إليه الأستاذ عدنان زرزور على يد بقي بن مخلد الأندلسي ت (٢٧٦هـ)[(٢)]، وعلى يد ابن جرير الطبري ت(٣١٠هـ)[(٣)]. وإن كنت أرى أن من العدل القول بأن الصنعاني عبد الرزاق بن همام ت(٢١١)هـ، هو السابق والمجلي في هذا الباب، فقد جمع روايات التفسير وأوردها مرتبة حسب ترتيب السور.[(٤)]

وأيّاً ما كان الأمر فإنني أؤكد أن نشأة التفسير كانت سابقة، وأن رسول الله ﷺ -الذي أنزل عليه الوحي بلغات العرب وعلى أساليبهم وبلاغتهم كان يعلمه لأصحابه فيأخذون عنه القراءة وبذلك نشأ علم القراءات وعلم اللغات التي أنزل عليها القرآن، ويبين لهم موضع الآية أو

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ١٤٢.

(٢) هو بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي، إمام قدوة صالح، كان رأساً في العلم والعمل، رحل كثيراً في طلب العلم، صنف التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما، كان مجاهداً؛ وقال: إنه شهد أكثر من سبعين غزوة، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٢٨٥-والبداية والنهاية لابن كثير: ١١/٥٦.

(٣) انظر: علوم القرآن للأستاذ عدنان زرزور: ٤٠٦.

(٤) تفسيره مطبوع بعنوان (تفسير القرآن) بتحقيق الدكتور: مصطفى مسلم. مكتبة الرشد- الرياض- وطبع مؤخراً بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي -دار المعرفة- بيروت.

الآيات في السورة، فيعرفون ترتيب الآيات وكان ذلك بداية نشأة علم ترتيب السور والآيات، ويفسر لهم ما استشكل عليهم من المعاني والألفاظ الغريبة ويعلمهم الأحكام، فكان ذلك بداية نشأة علم التفسير وعلم غريب القرآن، ويصف لهم كيفية نزول الآية والآيات من الوحي، وحالته حين يلاقي جبريل وبذلك نشأ هذا العلم وهو علم حالة النبي ﷺ حين نزول الوحي عليه... إلى غير ذلك من الأحوال المحيطة بالوحي وبنزوله.

إنَّ ملازمة الصحابة لرسول اللّه ﷺ مدة النزول جعلتهم يقفون على أسباب النزول، وكان ذلك بداية نشأة أسباب النزول، قال ابن مسعود رضي الله عنه[١]: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب اللّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب اللّه مني تناله المطايا لأتيته.[٢] إذاً عَلِمَ الصحابة رضوان اللّه عليهم ما تحيط الآية والآيات من ظروف وأحوال.

---

(١) هو عبد اللّه بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أحد المبشرين بالجنة، وصاحب نعل رسول اللّه ﷺ، وأول من جهر بالقرآن بمكة، عمل والياً على بيت المال بالكوفة، توفي سنة (٣٢هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٤٩- والاستيعاب لابن عبد البر: ٢/ ٢١٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ: البخاري مع الفتح: ٩/ ٤٦- وابن جرير في تفسيره: ١/ ٨٠ طبعة شاكر-وانظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٥.

ولتأكيد هذا المعنى أذكر المثال التالي: روى البخاري(١) بسنده عن عائشة -رضي اللّه عنها-(٢) أنها قالت: أول ما بدئ به رسول اللّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجَهدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣] فرجع بها رسول اللّه ﷺ

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المحدث الحافظ، من كبار المحدثين المشهورين، له تصانيف عديدة منها التاريخ الكبير، والصحيح من أوثق كتب السنة. توفي سنة (٢٥٦هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٢/ ١٢٢- وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٩/ ٤٧.

(٢) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق بن قحافة، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت تسع، ومات عنها ولها (١٨) سنة، كانت عالمة زاهدة، روت عن رسول اللّه ﷺ الكثير، توفيت سنة (٥٨هـ). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٥٨ -وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٢/ ٤٣.

يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-[١] فقال: زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع،...الحديث.[٢]

وروى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله[٣]: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] فقلت: أنبئت أنه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ: إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت الوادي فاستبطنت الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض -يعني جبريل- فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني، وصبوا عليَّ ماءً بارداً، فأُنزل عليَّ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ

---

(١) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد القرشية، أول من صدقت ببعثته مطلقاً، كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، تزوجها النبي ﷺ قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وكانت ذات شرف وجمال، وهي أم أولاد النبي ﷺ إلا إبراهيم، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات. انظر: الإصابة لابن حجر: ٤/ ٢٨١- والبداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ١٢٧.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح: كتاب بدء الوحي: ١/ ٢٣، وكتاب التفسير (سورة اقرأ): ٦/ ٨٧ وكتاب التعبير -أول ما بدئ به رسول الله ﷺ: ٨/ ٦٧.

(٣) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي، شهد ما بعد بدر وأحد من المشاهد، وروى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وغيرهما، وعنه أولاده وغيرهم، توفي سنة (٨٨هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ١٣٣-والإصابة لابن حجر: ١/ ٢١٢.

فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١-٤].(١)

إن تحدُّثَ رسول ﷺ بنزول هاتين السورتين بهذا العرض وبهذه الكيفية، يفيد أنه ﷺ كان يبلغ أصحابه الوحي وما يحيط به من أسباب النزول وصفة حاله وأماكن النزول وغير ذلك من متعلقات النزول. وكان الصحابة يتناقلون هذه الأخبار فيما بينهم، إما رواية من أولئك الذين أوتوا قوة الحفظ والعارضة، أو كتابة من أولئك الذين كانوا دون إخوانهم في هذا الجانب ممن كان يكتب حتى يحفظ المكتوب.

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا حريصين على تلقي كل ما يخرج من فيِّ رسول اللّه ﷺ، فعن أبي عبد الرحمن السلمي(٢) قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن -كعثمان بن عفان، وعبد اللّه بن مسعود، وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.(٣)

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب: التفسير (سورة المدثر)، باب: قوله: ﴿قم فأنذر﴾: ٦/ ٧٥، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بدىء الوحي: ١/ ١٤٤.

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد اللّه بن حبيب بن ربيعة الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، جوَّد القرآن وعرضه على عثمان وابن مسعود، توفي سنة (٧٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٢٦٧-وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٤١٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٨٠- وأورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٣٩- وابن تيمية=

إن نشأة كثير من هذه العلوم القرآنية جاءت مواكبة لنزول الوحي، وسابقة لنشأة العلوم الأخرى التي تعتبر إما أدوات تعين على فهم كتاب اللّه أو تتعلق به أو تتفرع عنه، ولهذا كان المقصود بذاته هو السابق وسائر العلوم الأخرى هي المتأخرة.

ويؤكد هذه الحقيقة من المعاصرين الدكتور مساعد آل جعفر في كتابه (أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي) فقد ذكر أن نشأة التفسير كانت مستقلة عن الحديث، وأن التفسير هو أول العلوم الإسلامية ظهوراً، نشأ قبل الحديث خلافاً لمن يرى ظهور الحديث قبل التفسير، واعتبار التفسير باباً من أبواب الحديث، وذكر من الأدلة المؤيِّدة لهذه الحقيقة أن أول الرسالة قرآن وليس حديثاً، وأن جبريل حين نادى رسول اللّه ﷺ وقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ. كان للرسول ﷺ تفسير لكلام جبريل مختلف عن مدلول النص، ولذا فإنه أعادها إليه ثلاث مرات إلى أن أدخل في روعه أنه لا يريد منه القراءة التي هي خلاف الأمية، وإنما يريد اللّه أن يعلمه بالرسالة فقال له بعد المرة الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق: ١]، ففسَّر له ﴿اقْرَأْ﴾ كما أرادها اللّه لا كما فهمها الرسول ﷺ.(١)

---

=في مقدمة في أصول التفسير: ٣٦.

(١) انظر: أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي لمساعد آل جعفر: ٥٤.

وعلى ما سبق نؤكد تخطئة من يقول بتأخر كتابة الأخبار والعلوم الإسلامية إلى ما بعد القرن الثاني، إذ القول بذلك مدعاة للتشكيك في صحة علومنا الإسلامية، لكون الأخبار التي تتلقى طوال هذه المدة بالرواية ثم تكتب بعد ذلك الأمد الطويل قلما يوثق بسلامتها من التحريف والتبديل مهما امتاز الناقلون لها بقوة الحفظ وسلامة الذهن، ولهذا نجد أن أعداء الإسلام يستأنسون بالطعن والتشكيك في تدوين الأخبار الإسلامية بهذه الشاكلة، فيرددون هذه المقولة ويروّجون لها ولو أدى بهم القول إلى التنطع والافتراء.

ولهذا يؤكد الأستاذ رفيق العظم أن الذي ذهب بالباحثين إلى الظن بعدم كتابة الأخبار إلا بعد القرن الثاني هو تقيد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الأخبار بالرواية مع فقد ما دُوّن قبل ذلك لفقده لحسن التنسيق والجمع وشروط الصحة عند المؤلفين لا سيما من جهة الترتيب والتخصيص الذي يروق أهل العصر الثاني ويناسب حالة الرقي في الحضارة.(١)

ويتابع الأستاذ رفيق العظم ليؤكد هذا المعنى: وأما في عصر التابعين وتابعيهم فقد كانت العناية بكتابة الأخبار أكثر، وأقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات، ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن

---

(١) انظر: مجلة منار الإسلام، مقال للأستاذ رفيق العظم: م١٠ ج١٠ ص٧٤٦.

عروة[١] عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول: وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي[٢]، ومعلوم أن وقعة الحرة كانت سنة ثلاث وستين...... إلى أن يقول: ما هي كتب عروة التي احترقت سنة ثلاث وستين؟ أليست في علوم شتى من العلوم التي دونها العرب واشتغلوا بها؟ وهل احترقت كتب عروة في اليوم الذي دونت فيه؟ كلا بل كتبت هي وغيرها من الكتب في غضون القرن الأول، أو على مدى هذا القرن.

ويختم قوله: فإذا كان ذلك كذلك فهل يبقى مجال للريب في أن العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الأول؟ وهل يستراب في صحة هذه العلوم مع ما ثبت معنا من أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد من سهو الكاتبين وتحريف الناسخين؟[٣]

إن الروايات تذكر أن ابن شهاب الزهري هو أول من دون العلم - علم الحديث- بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ وذلك حين خشي الخليفة ضياع الحديث كما خشي أبو بكر وعمر وعثمان رضي اللّه عنهم من قبله ذهاب القرآن بذهاب حفظته، وخشية الفرقة.

---

(١) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، تابعي حجة سمع من أبيه وغيره، ودعا له ابن عمر، توفي ببغداد سنة (١٤٦هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٦/ ٥٨٠-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ٣٤.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: ٥/ ١٧٩- ومختصر تاريخ دمشق: ١٧/ ١٠.

(٣) انظر: مجلة منار الإسلام، مقال للأستاذ رفيق العظم: م١٠ ج١٠ ص٧٤٩-٧٥١.

نقول: إن تدوين ابن شهاب للسنة كان بقصد جمعها وترتيبها ونسخها؛ ولهذا كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار والآفاق وقال: انظروا حديث رسول اللّه ﷺ فاجمعوه.(١) ويقول ابن شهاب الزهري: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً.(٢)

كما كتب الخليفة إلى أبي بكر محمد بن حزم ﷺ: انظر ما كان من حديث رسول اللّه ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله.(٣)

إن ما قام به عمر بن عبد العزيز كان تدويناً منظماً شاملاً للسنة، بخلاف الكتابة التي كانت في عهد النبوة، حيث كانت كتابات فردية غير منظمة ولا مرتبة، كما إنها لم تكن مختصة بالسنة، فقد كتبت أقوال الصحابة إلى جانب حديث رسول اللّه ﷺ كتفسيرهم لبعض الآيات التي لم يفسرها رسول اللّه ﷺ معولين على الرأي المعتمد على اللغة.

هذا وإن كان البعض يرى أن خالد بن معدان الحمصي المتوفى سنة

---

(١) انظر: تقييد العلم للخطيب: ١٠٥، وقواعد التحديث: ٤٦، وفتح الباري لابن حجر: ٢٠٨/١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ١/ ١٧٦، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٣/ ٣٦٣.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد: ٨/ ٣٥٣ –وتقييد العلم للخطيب: ١٠٥.

(١٠٣هـ)[١] هو أول من جمع الحديث، وكان قد لقي سبعين صحابياً، يقول الذهبي في التذكرة: وقال بحير: ما رأيت أحداً ألزم للعلم منه -يريد خالد بن معدان- وكان علمه في مصحف له أزرار وعرى.[٢]

بقي اعتراض قد يرد على من يتبنى هذا الرأي: وهو أين هي مصير تلك الكتب التي دونت في القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني؟.

والجواب أن يقال: إن المسلمين كانوا يتلقون كتب الأخبار قراءة ورواية، فلما استبحر العمران وترقت وسائل الحضارة واقتضى أن يترقى فن التأليف تنسيقاً وترتيباً، وكتبت في ذلك الكتب الجامعة لأصول كل فن أو فروعه أدمجت تلك الروايات أو الصحف المشتملة على مسائل متفرقة في تلك الكتب الجامعة، مع محافظة المؤلفين على أسانيدها وفاء بحق الأمانة وتصحيحاً للأخبار.... ولما انتفت الحاجة إلى تلك الكتب القديمة قضت على أعيانها سُنَّة بقاء الأنسب بالدثور بضرورة الحال، وأما ما كتب فيها فهو هو بعينه ما كتب في الكتب الجامعة بعد ذلك العصر[٣]، كما هو الحال

---

(١) هو خالد بن معدان بن أبي كَرِب، الكلاعي، حدث عن خلق من الصحابة، وأرسل عن عدد، يعد في أئمة الفقهاء. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٥٣٦-والبداية والنهاية لابن كثير: ٩/ ٢٣٠.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٩٣-ومجلة المنار-: م١٠ ج١٠ ص٧٥٥ مقال للأستاذ رفيق العظم.

(٣) انظر مجلة المنار، المجلد العاشر، الجزء العاشرص: ٧٥١-٧٥٢.

مثلاً في تفسير ابن جرير الذي جمع مادة تفاسير من سبقه.

أضف إلى هذا ما سبق أن ذكرناه عن مصير بعض تلك الكتب بالتخلص منها، إما بإحراقها أو دفنها أو مسح وإزالة مادتها العلمية لدوافع عديدة دينية أو غيرها.

## الكتابة والتدوين والتصنيف:

قبل الانتهاء من هذا الموضوع يحسن بنا التعرض لثلاثة مصطلحات يكثر دورانها في مثل هذا الباب، وذكر الفرق بينها إذ بمعرفة ذلك تتضح الصورة، هذه المصطلحات هي: الكتابة والتدوين والتصنيف.

**فالكتابة في اللغة**: مشتقة من الكَتْبِ وهو: الجمع، تقول: كتب الكتاب كِتْباً وكتاباً: جمع حرفاً إلى حرف، وكتبه كتابة وكِتْبة: أي خَطَّه[١]، وهي تكتل الحروف الهجائية واجتماعها، يقول السمين: الكتابة عرفاً: ضم بعض حروف الهجاء إلى بعض[٢]. وتقول: أكتبني هذه القصيدة: أي أملها عليّ[٣]. والكتابة: تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية[٤] وهي على ما في أبجد العلوم: رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس[٥] وهي مجموعة الحروف الهجائية المجتمعة في قطعة مكتوبة،[٦] وهي

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري: (كتب): ١٠/ ١٥٠ -وتاج العروس للزبيدي (كتب): ٤/ ١٠٠.

(٢) انظر: الدر المصون للسمين الحلبي: ١/ ٨٤.

(٣) انظر: أساس البلاغة للزمخشري (كتب): ٥٣٥-وتاج العروس للزبيدي(كتب): ٤/ ١٠٠، ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري: ٨/ ١٩٥.

(٤) انظر: تاريخ الخط العربي وآدابه لطاهر الكردي: ١٦.

(٥) انظر: أبجد العلوم: ١/ ١٥٦.

(٦) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: ١/ ٣٢.

في عرف الأدباء تقال لإنشاء النثر.[(١)]

**ويمكن تعريفها اصطلاحاً فيقال: هي تسجيل الألفاظ والمعاني والمعارف المسموعة وتقييدها بالرسوم الخطية، وتكون من الإملاء.** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[البقرة: ٢٨٢].

**التدوين:** هو في اللغة: الجمع، جمع الصحف والكتب، قال أبو عبيدة: هو فارسي معرب[(٢)] تقول: دوَّن الكتب: جمعها ومنه: الديوان مجمع الصحف والكتب، وكان يطلق على كتاب يجمع فيه أسامي الجيش وأهل العطية من بيت المال، وأول من وضعه عمر بن الخطاب ﷺ ثم نقل إلى **جمع المسائل في الصحف والكراريس**[(٣)]، **وهو جمع لما شذ وتفرق وتقييده**...[(٤)]، ولهذا قال ابن شهاب: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً. وقال: لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني. وقال الإمام مالك: إن أول من دون العلم ابن شهاب الزهري[(٥)].

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني: ٢٣٤.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (دون): ١٣/ ١٦٦.

(٣) انظر: الكليات لأبي البقاء: ٢٢٧ -وأساس البلاغة للزمخشري: ١٩٩ - ولسان العرب لابن منظور (دون): ١٣/ ١٦٦.

(٤) انظر: نهاية الأرب في فنون العرب للنويري: ٨/ ١٩٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٣٣٤ -وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٣/ ٣٦٣ -=

وهكذا فسر التدوين بكتابة المجموع المرتب دفتراً دفتراً. وهو ما يدل عليه قول الإمام مالك ﷺ ؛ فثابتٌ لديه أن الكتابة قد تمت في عهد الصحابة، ورغم هذا يقول مقولته الآنفة التي لا نشك أنه يقصد النسخ عن مكتوب. فـ(دون) يفيد التسجيل من نص مكتوب. فهو جمع وتصنيف من نص مكتوب.

**ويعرَّف التدوين اصطلاحاً فيقال: جمع المتفرق من الصحف وإعادة تسجيل مضمونها مجموعاً مرتباً**.. ولهذا يقال لمن كتب الوحي عن رسول الله ﷺ: كُتَّاب الوحي، ويقال: كتابة المصحف. في حين يقال لما فعله عثمان ﷺ: تدوين، لكونه نسخ عن الصحف المتفرقة. أما أبو بكر ﷺ وإن كان قد جمع المصحف غير أنه لم يدونه، ولهذا يسمى ما قام به: جمع.

**أما التصنيف**: ففي اللغة، صنَّف الأشياء: جعلها صنوفاً وميَّز بعضها عن بعض، ومنه تصنيف الكتب(١) كأنه مُيزت أبوابه فجُعل لكل باب حَيِّزُه.(٢)، وأما في الاصطلاح فلم أقف على تعريف جامع له، ويمكن القول بأنه: **تأليف متكامل في علم من العلوم أو موضوع من موضوعاته**.(٣)

---

=وتقييد العلم للخطيب: ٥.

(١) انظر: أساس البلاغة (صنف): ٣٦٣ -ولسان العرب (صنف): ٩/ ١٩٨.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (صنف): ٣/ ٣١٣.

(٣) انظر ما أملاه فضيلة الشيخ مناع القطان على طلبة الدراسات العليا، بكلية أصول الدين

وتوضيح ذلك بأن نقول هو: الكتابة المرتبة المبوبة المميزة في علم من العلوم، أو أي موضوع من موضوعاته.

ينقل ابن تغري بردي في كتابه «النجوم الزاهرة» نصاً واضحاً للإمام الذهبي في هذه المسألة، يقول: في سنة ثلاث وأربعين ومئة شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج[١] التصانيف بمكة... وصنف ابن إسحاق[٢] المغازي، وصنف معمر[٣] باليمن.. إلى أن قال: وكثر تبويب العلم وتدوينه، ورتبت ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، **وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون من حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة**، فسَهُل ولله الحمد تناول العلم، وأخذ الحفظ يتناقص فلله الأمر كله[٤].

---

بالرياض عام١٤٠٧هـ عن نشأة علوم القرآن.

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، فقيه من الأعلام البارزين، روى عن مجاهد وعطاء، توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: الكاشف للذهبي: ١/ ١٨٥ -وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٦/ ٤٠٢.

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، إمام المغازي، روى عن عطاء والزهري، توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٩١-وطبقات علماء الحديث: ١/ ٢٦٧.

(٣) هو معمر بن راشد الأزدي البصري، أبو عروة، سكن اليمن فكان عالمها، توفي سنة (١٥٤هـ). انظر: الكاشف للذهبي: ٣/ ١٥٤ -وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٢٤٣.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة: ١/ ٣٥١- وتاريخ الخلفاء

**وعلى هـذا تكـون الكتابـة تسـجيلاً للمعلومـات مـن إمـلاء، فـإذا جمـع مجموع ذلك المكتوب ونسخ مـع الـترتيب يكـون تدوينـاً، فـإذا أعيـد ترتيبهـا وتبويبها موضوعياً وأدخلت عناصر جديدة أم لم تدخل سمـي تصنيفـاً أو كتـب ابتداء كذلك**. والله أعلم.

وخلاصة القول:

١) أن العرب عرفت الكتابة قبل الإسلام، وحين جاء الإسلام شجع التعليم فانتشرت القراءة والكتابة بصورة سريعة.

٢) أن نشأة علوم القرآن كانت مواكبة لنزول الوحي على رسول الله ﷺ، وأن الكتابة واكبت النشأة.

٣) أن التصنيف في علوم القرآن كان مبكراً في القرن الأول الهجري.

٤) أن الكتابة هي تسجيل المعلومة من الإملاء، والتدوين هو تسجيل المعلومـة مـن نسـخة مكتوبـة، والتصنيـف هـو التسـجيل المرتـب والمبـوب للمعلومة.

## ظهور مصطلح علوم القرآن:

إن من الصعوبة بمكان الجزم بأن واحداً بعينه مـن المتقدمـين هـو أول من جرت هذه العبارة على لسانه، أو أنه أول من استخدم هذا المصطلح في

---

للسيوطي: ٢٦١.

كتاباته قبل غيره، إذ يتطلب ممن يدعي ذلك الوقوف على كل ما قاله السابقون وكتبوه، وهو أمر دونه خرط القتاد، وعلى هذا فإن أي قول في ذلك هو من باب الظن، كما أنه يحتاج إلى تقديم نص متقدم وهو الآخر أمر متعذر، وأقدم نص وقفت عليه هو ذلك النص المنسوب إلى الإمام الشافعي ﷺ الذي يثبت أن الإمام قد استعمل هذا المصطلح في مناظرته مع الرشيد في القرن الثاني للهجرة، فإن ثبتت نسبته إلى الإمام يكون استعمال المصطلح متقدماً جداً.

تذكر الروايات أن الإمام الشافعي ﷺ حين سيق مكبّلاً بالحديد إلى الخليفة هارون الرشيد[1] في بغداد بتهمة تزعم طائفة الشيعة في اليمن، والادعاء بكونه أحق بالخلافة منه فسأله الخليفة: كيف علمك بكتاب اللّه تعالى، فإنه أولى الأشياء أن يبتدأ به؟ فقال الشافعي: عن أي كتاب اللّه تسألني يا أمير المؤمنين، فإن اللّه قد أنزل كتباً كثيرة على الأنبياء، إن اللّه تعالى أنزل مئة وأربعة من الكتب، أنزل على آدم خمسين صحيفة، وعلى شيث عشرين، وعلى إدريس عشرين، وعلى إبراهيم عشرة، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد ﷺ، وجمع اللّه في القرآن كل ما في سائر الكتب. قال تعالى﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ

---

(١) هو هارون بن المهدي محمد بن المنصور، كان من أنبل الخلفاء، عُرف بالعبادة والجهاد وحصافة الرأي، محاسنه كثيرة، توفي (٢٢٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٢٨٦-وتاريخ بغداد للخطيب: ١٤/ ٥.

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] وقال تعالى ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١].

فقال الرشيد: أحسنت في تفصيلك، ولكني ما سألت إلا عن كتاب اللّه المنزل على ابن عمي وعمك رسول اللّه ﷺ. فقال الشافعي: إن علوم القرآن كثيرة، تسألني عن محكمه أو متشابهه؟ أو عن تقديمه أو تأخيره؟ أو عن ناسخه أو منسوخه؟ أو عما ثبت حكمه وارتفعت تلاوته؟ أو عما ثبتت تلاوته وارتفع حكمه؟ أو عما ضربه اللّه مثلاً؟ أو عما جعله اللّه اعتباراً؟ أو عن أخباره؟ أو عن أحكامه؟ أو عن مكيِّه أو مدنيِّه؟ أو ليليِّه أو نهاريِّه؟ أو سفريِّه أو حضريِّه؟ أو تنسيق وضعه، أو تسوية سوره؟ أو نظائره؟ أو إعرابه؟ أو وجوه قراءته؟ أو عدد حروفه؟ أو معاني لغاته؟ أو عدد آياته؟

قال: وما زال الشافعي يعدد هذه العلوم حتى عد ثلاثة وسبعين نوعاً من أنواع علوم القرآن. فقال هارون: لقد أوعيت من القرآن عظيماً.

ثم سأله عن علمه بسنة رسول اللّه ﷺ وبالأحكام والطب والأنساب... إلى غير ذلك[1]؛ فهذه الرواية تؤكد أن الإمام قد نطق بالمصطلح في القرن الثاني، وهو أقدم نص وقفت عليه، ولكن الذي يبدو أنه لم يسلم من المعارضة، والطعن في صحة ثبوته، فإن الأستاذ عدنان زرزور -يحفظه اللّه- يستبعد صدور تلك العبارة من الإمام، بل يؤكد أن

---

(١) انظر: مناقب الإمام الشافعي لفخر الدين الرازي: ٧٣.

القصة تومىء إلى طابع التلفيق المتأخر على الحادثة، ولنستمع إلى الأستاذ عدنان زرزور وهو يعقب على القصة فيقول:

إننا نبعد أن يكون هذا الاصطلاح قد حاك في الصدور، ونطقت به الألسنة على النحو المشار إليه في القرن الثاني للهجرة، وذلك أن بعضهم يجعل الإمام الشافعي أول من فعل ذلك... إلى أن قال: وسياق القصة، والعلوم التي عدَّدها الإمام الشافعي تومىء إلى طابع التلفيق المتأخر على هذه الحادثة، فالسؤال عن العلم بكتاب اللّه عز وجل لا يُجاب عنه بمثل هذه الباردة التي لم يفعلها الإمام -حتى في هذا الموقف- والسؤال في كل عرف وقياس إنما هو عن القرآن الكريم!! كما أن سائر عناصر هذه القصة من استحسان الرشيد لجواب الشافعي، والإشارة إلى النبي الكريم عليه صلوات اللّه بابن عم هارون!... إلخ.. كل ذلك يشير إلى أن هذه التركيبات لا تليق بالرشيد والإمام الشافعي جميعاً...[(١)].

بل يذهب الأستاذ زرزور إلى أبعد من هذا حين يريد التأكيد على تأخر ظهور المصطلح إلى قرنين بعد الشافعي: إن من البعيد حقاً أن تكون علوم القرآن مجموعة في صدور المبرَّزين من العلماء في القرن الثاني ثم لا يتنبه أحد إلى الكتابة فيها مجموعة قبل أواخر المئة الرابعة من الهجرة، على مذهب من يظن أن كتاب الحوفي السابق في هذه العلوم وليس في تفسير

(١) انظر: علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، للأستاذ عدنان زرزور: ١٢٥.

القرآن.[١]

ولي حول هذا الرأي وما جاء في كلام الدكتور الفاضل عدنان زرزور أكثر من وقفة:

أولها: إذا كان الأستاذ زرزور قد استبعد الرأي لكون سياق القصة لم ترُق له، أو لكونه استبعد العلوم التي جاء ذكرها على لسان الإمام أن تكون مجتمعة في صدورهم ولم يلتفت لها، واعتبارها (تركيبات) لا تليق بالرشيد والإمام. فإن غيره لا يستبعد صدور ذلك من إمام كان آية من آيات اللّه في علمه وذكائه، وفي ابتكاره وتجديده، وفي قوة حجته وتوفيقه، ولقد نوه البلقيني[٢] في خطبة كتابه بكلمة الشافعي هذه.[٣]

نعم قد يكون هناك مبالغة من الراوي في عدد تلك العلوم التي نقلت على لسان الإمام، على نحو ما ذكره الفخر الرازي[٤]، غير أن ذلك لا يعني

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١٢٦.

(٢) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البُلقيني، مجتهد حافظ، عرُف بسرعة الفهم، له تصحيح المنهاج في الفقه الشافعي، توفي (٨٠٥هـ). انظر: الضوء اللامع للسخاوي: ٤/ ١٠٦ -شذرات الذهب لابن العماد: ٧/ ١٦٦.

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ٢٧.

(٤) هو محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، مفسر متكلم، كان إمام عصره في العلوم العقلية، له التفسير الكبير، توفي (٦٠٦هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٨١- وطبقات المفسرين للسيوطي: ١٠٠.

الطعن في الخبر جملة وتفصيلاً.

وثانيها: أن استبعاد الأستاذ زرزور أن تكون هذه العلوم مجتمعة في صدور المبرَّزين من العلماء في القرن الثاني، وتأخر ظهوره إلى القرن الرابع على يد الحوفي، استبعاد من غير دليل، وكان الأولى أن يوحي ذلك للأستاذ الكريم زرزور أن هناك من تقدم على الحوفي في التأليف، ممن كان قريباً من عصر الإمام الشافعي، كالحارث المحاسبي وابن المرزبان مثلاً[١].

بل إن النصوص الثابتة ترد رأي الأستاذ الجليل وتؤكد أن جملة من هذه العلوم كانت معروفة لدى أهل القرن الأول من جيل الصحابة والتابعين، وأنها كانت تُتناقل بين المتقدمين، وطالما وردت على ألسنتهم، فهذا علي بن أبي طالب ﷺ يخطب ويقول في خطبته: سلوني عن كتاب اللّه فواللّه ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل.[٢]

وهو ﷺ الذي قال: واللّه ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيم أنزلت، وأين أنزلت...[٣]

---

(١) انظر: في ذلك مبحث أول من صنف في علوم القرآن ص (١٠٠) من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ٣٥- والإتقان للسيوطي٢/ ١٢٢٧ ط البغا.

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي: ٢/ ١٢٢٧ ط البغا.

وهو أيضاً الذي قال للقاص بعد أن سـأله: هـل تعـرف الناسـخ مـن المنسوخ؟ وحين كان الرد بالنفي قال: هلكت وأهلكت.[(١)]

وعـن ابـن سـيرين عـن علـي -رضي الله عنه-: أنـه كتـب في مصحفـه الناسـخ والمنسوخ قال ابن سيرين: فطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلـم أقدر عليه. وفي رواية: إنه كتبه على تنزيله. قال ابن سـيرين[(٢)]: لـو أصيـب ذلك الكتاب لوُجِد فيه علم كثير.[(٣)]

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعـالى﴿يُؤْتِـي الْحِكْمَـةَ مَـن يَشَاءُ...﴾ الآية [البقرة: ٢٦٩]. قـال ابـن عبـاس: المعرفـة بـالقرآن ناسـخه ومنسـوخه، ومحكمـه ومتشـابهه، ومقدمـه ومؤخـره، وحلالـه وحرامـه، وأمثاله.[(٤)]

إذا كان هذا هو حال جيـل الصحابـة، جيـل الريـادة، فمـا بـال هـذه

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ٢/ ٢٠.

(٢) هو محمد بن سيرين بن أبي عمرة الأنصـاري، أحـد الأعـلام البـارزين، اشـتهر بتعبـير الرؤى، روى عن أنس بن مالك، تـوفي (١١٠هـ). انظـر: حليـة الأوليـاء لأبـي نعيـم: ٢/ ٢٦٣-وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٩/ ٢١٤.

(٣) انظر: المصاحف لابن أبي داود: ١٠، والمصنف لابـن أبـي شـيبة: ١٠/ ٥٤٥، وفضـائل القـرآن لابـن الضريـس: ٧٦، والإتقـان للسـيوطي: ١/ ١٦٦، وعـزاه لابـن أشـتة في المصاحف.

(٤) تفسير ابن جرير: ٥/ ٥٧٦ تحقيق: محمود وأحمد محمد شاكر.

العلوم تغيب على مثل الإمام الشافعي الذي جاء في عصر ورث فيه العلماء علم السابقين، وانتشرت فيه العلوم، وكثر أولئك الذين تفقهوا في الدين، وجعلوا شغلهم الشاغل التفكر في كتاب الله، وتعلم كل ما يخدم تفسيره وبيانه للناس، لقد وجد ﷺ نفسه أمام حصيلة من العلوم الشرعية أَعْمَلَ فيها ما منحه الله من قوة الفكر وسلامة العارضة، فأجاد وأصاب.

إن ما تهيأ لمثل الشافعي لم يتهيأ لمن قبله، فالمتأخر يقف -عادة- على حصيلة علوم المتقدمين، ويجدها مجموعة في أخبارهم والمروي عنهم. فلا يستبعد عن مثل الشافعي الإلمام بمثل هذه العلوم بأي حال من الأحوال.

هذا هو الفُضيل وهو أيضاً من أهل القرن الثاني، يعدد لطلبته سنة خمس وثمانين ومئة جملة من علوم القرآن، فقد أورد القرطبي في «تفسيره» أن الفضيل[1] قال لمجموعة من تلامذته: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، إذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة[2] [3].

---

(١) هو الفُضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، إمام ثبت، حدث عن الأئمة، عُرف بالصلاح والصدق في القول، توفي (١٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٤٢١- وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٨/ ٨٤.

(٢) هو سفيان بن عُيينة بن أبي عمران الهلالي، إمام مشهور لقي الكبار، واشتهر بعلوم الإسناد، توفي (١٩٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٤٥٤-وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/ ١١٧.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ٢٢.

ثم إن غالب هذه العلوم علوم نقلية تعتمد على الرواية أصلاً، تكون مع المتقدم فيبلغها المتأخر، وبذلك يجتمع في صدر المتأخر المبرز ما لا يجتمع لغيره، وكان الشافعي واحداً من أولئك، أليس هو من وضع علم أصول الفقه بقواعده وضوابطه في تلك الفترة المتقدمة جداً؟

إن النصوص تؤكد أن الكتابة في جملة من علوم القرآن كانت متقدمة جداً وإن بعض تلك العلوم قد أُفردت بمؤلفات مستقلة، ونظرة سريعة في كتاب «الفهرست» لابن النديم[(١)] الذي صنف كتابه عام (٣٧٧هـ) تبين أن التأليف في عدد من تلك العلوم كان مبكراً، فمن العلوم التي عدها ابن النديم وذكر التأليف فيها: التفسير، ومعاني القرآن، ومشكله، ومجازه، وما ألف في غريب القرآن، ولغات القرآن، والقراءات، والنقط، والشكل، وما كتب في لامات القرآن، وفي الوقف والابتداء، وما دون عن اختلاف المصاحف، والمتشابه، وهجاء المصاحف، وفي مقطوع القرآن وموصوله، وفي أجزاء القرآن، وفضائله، وفي عد آي القرآن، وناسخه ومنسوخه، نزوله، وأحكامه... وغيره.[(٢)]

إن ابن النديم قد ذكر أكثر من ثلاثين علماً أفرد بالتصنيف في الفترة

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن أبي يعقوب النديم، كان معتزلياً شيعياً يعمل وراقاً، له الفهرست، مات (٤٣٨هـ). انظر: لسان الميزان لابن حجر: ٥/ ٧٢-والأعلام للزركلي: ٧/ ٢٩.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣١ وما بعده.

السابقة عليه، ناهيك عن تلك العلوم التي جاءت في ثنايا تلك المصنفات ولم تفرد كالمكي والمدني، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً، وعلم الأماكن التي أُنزل فيها القرآن، وما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً، وعلم الأحرف السبعة، وغير ذلك.

إن محاولة ابن النديم السابقة توحي لنا أن هذه العلوم كانت معروفة عند المتقدمين، ومجموعة في صدورهم، فالأسماء التي ذكرها من المؤلفين، أسماء متقدمة، بل إن أرقام سنوات وفاة بعضهم متقدمة جداً.

يحيى بن يعمر ت(٨٩)هـ[١] يؤلف كتاباً في القراءات، ويجمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة[٢]، والحسن البصري ت(١١٠)هـ[٣] يكتب في نزول القرآن وفي عد آي القرآن[٤]. وقتادة السدوسي ت(١١٧)هـ[٥] يكتب

---

(١) هو يحيى بن يعمر البصري العدواني، كان من أوعية العلم، أول من نقَّط المصحف، له القراءات، توفي (٨٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٤١-وفهرست ابن النديم٤٧.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٥، وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٢٢.

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من كبار التابعين، أُخرج لطلب العلم صغيراً، ودعا له عمر بن الخطاب بالتفقه في الدين، فكان إمام عصره، وعُرف بقول الحق، له نزول القرآن، توفي (١١٠هـ).

انظر: تهذيب الكمال للمزي: ٦/ ٩٥-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٥٦٣-وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٢٣٥.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٦-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٢٥.

في الناسخ والمنسوخ.[١] واليحصبي عبد اللّه بن عـامر[٢]يكتـب في المقطـوع والموصول، كما يكتب في اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق.[٣]... وغيرهم.

هؤلاء كلهم كانت وفاتهم قبل عام (١٢٠هـ) وهو رقم متقـدم جـداً في عالم التأليف، فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نستبعد ما صدر عن الإمام الشافعي -رحمه اللّه- ونجعل ما روي عنه (تركيبات)؟!. هذا واللّه أعلم.

وإذا كنا استبعدنا -على مضض- ما روي أن الشافعي هو أول من استعمل المصطلح، أو شككنا فيه على الأقل فإننا لا نستطيع أن نستبعد ذلك عن ابن المرزبان المتوفي سنة (٣٠٩هـ) بأي حال من الأحوال، لقد حسم الخلاف حين أطلق على كتابه عنوان «الحاوي في علوم القرآن»[٤]، وعليه يكون ابن المرزبان هو أول من استعمل هذا المصطلح عنواناً لكتاب،

---

(٥) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، تابعي مفسر حافظ، كان رأساً في العربية، له الناسخ والمنسوخ، توفي (١١٧هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٨٥–وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ١٢٢–وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ٣١٥.

(١) تاريخ التراث لسزكين: ١/ ٢١.

(٢) هو عبد اللّه بن عامر بن يزيد اليحصبي، مقرئ الشام، وأحد الأعلام، قرأ على أبي الدرداء، له اختلاف المصاحف، توفي (١١٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٢٩٢– ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٨٢.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣١–٣٩.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٩٥،١٦٦–وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٤٦.

ثم تبعه آخرون فأطلقوه على مؤلفاتهم أو جعلوه جزءاً من عناوين مؤلفاتهم.

وليس معنى هذا أن ابن المرزبان هو أول من صنف في علوم القرآن، فذاك له حديث مستقل سيأتي بيانه إن شاء الله.

وأشير هنا أن الأستاذ الدكتور عدنان زرزور يرى أن البحث والتأريخ لكل علم من علوم القرآن مستقلاً ألزم وأكثر ضرورة، وأجدى للقارىء من السير وراء هذه العلوم مجتمعة، ولكونها أفردت بالتصنيف في مؤلفات خاصة، ونال بعضها العناية وتتابع القول في جميع العصور.[1]

---

(١) انظر: علوم القرآن للدكتور/ عدنان زرزور: ١٢٦.

## الفرق بين استعمال المتقدمين واستعمال المتأخرين:

اشتهر بين أهل الاختصاص في القرآن وعلومه أن إطلاق المتقدمين لمصطلح علوم القرآن يختلف عنه عند المتأخرين، فالسابقون أطلقوه على مصنفاتهم في التفسير، كما فعل محمد بن المرزبان.[1] الذي سمى تفسيره «الحاوي في علوم القرآن»، وأبو الحسن الأشعري[2] الذي سمى تفسيره (المختزن في علوم القرآن)، ومحمد بن علي الأدفوي الذي سماه «الاستغناء في علوم القرآن»[3]، وعلي بن إبراهيم الحوفي[4] الذي سماه «البرهان في علوم القرآن»، بخلاف المتأخرين الذين أطلقوه على تلك المصنفات التي حوت الأبحاث الكلية المتصلة بالقرآن الكريم في شتى جوانبه، جلها أو كلها، كما فعل ابن الجوزي ت(٥٩٧هـ) في كتابه «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن»[5]، وكما فعل بدر الدين الزركشي ت(٧٩٤هـ) في كتابه

---

(١) هو محمد بن خلف بن المرزبان المحوَّلي، أديب مؤرخ إخباري لين، مصنفاته كثيرة منها الحاوي في علوم القرآن، توفي (٣٠٩هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٥/ ٢٣٧- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٤٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٨٨-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٩٨.

(٣) انظر: طبقات القراء للذهبي: ٢/ ١٩٨-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٩٧.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٥٢١-ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٦.

(٥) الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، الناشر- دار البشائر-بيروت.

المسمى «البرهان في علوم القرآن»[١]، وكما فعل السيوطي وابن عقيلة المكي وغيرهما.

والذي يظهر لي أن هذا التفريق ليس دقيقاً، كما أنه ليس على إطلاقه، ولبيان ذلك أقول: إن المتقدمين جعلوا عبارة (علوم القرآن) جزءاً من العنوان الذي أطلقوه على تفاسيرهم، وهي عبارة مقصودة بذاتها، فقد أراد أولئك أن تشتمل تفاسيرهم على بعض تلك العلوم، ولم يكونوا يقصدون التفسير وحده، بمعنى أنهم لم يعنوا ببيان معان الألفاظ والكلمات القرآنية وما يستنبط من الآيات من أحكام فحسب، وإنما قصدوا بيان كل ما يتعلق بالكلمة القرآنية والآية والجملة من الآيات والسورة، بل والاهتمام ببيان كل ما يحيط بالوحي المنزل، وبعض تلك التفاسير والتي وصل إلينا أجزاء منها ككتاب الأدفوي والحوفي يؤكد لنا هذا الأمر، أنهم عنوا به علوم القرآن وإن اختلف منهج العرض وطريقته، فالحوفي مثلاً حين يعرض الآية ويتكلم عليها، يتعرض للإعراب والوقف والتمام، والقول في القراءة وفي المعنى، والتفسير، وأسباب النزول، وحول مكية السورة والآية والآيات ومدنيتها.. إلى غير ذلك من مسائل علوم القرآن وموضوعاته.

ولهذا الأمر خلت التفاسير التي أراد مؤلفوها الاهتمام بالآثار والروايات، أو الاقتصار على بيان معاني الألفاظ فحسب دون التعرض لما يحيط بالآية والسورة من مسائل، خلت عناوين تلك التفاسير من ذكر هذا

---

(١) الكتاب مطبوع بتحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر-بيروت.

المصطلح ورأى مؤلفوها الاقتصار على تسميتها (تفسير القرآن) منسوباً لهم ولهذا وجدنا (تفسير القرآن) لعبد الرزاق الصنعاني، وتفسير القرآن[١] لابن أبي حاتم[٢]، وغيرهما.

ولا أدعي أن هذه القاعدة مطردة، ولا أن كل من ألف في التفسير المأثور دون التعرض لعلوم القرآن أنه سمى تفسيره (تفسير القرآن)، كما لا أدعي أن من تحدث عن شيء من علوم القرآن في تفسيره أنه ضمَّن العنوان هذا المصطلح، بل أقول على الغالب، ولفترة زمنية ربما إلى نهاية القرن الثالث الهجري.

إذاً عبارة علوم القرآن كانت تطلق على تلك العلوم النقلية التي خدمت كتاب الله وسهلت سبل فهمه وتيسيره على من لم يشاهد التنزيل من صغار الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، سواء وردت ضمن التفاسير أم جاءت مفردة مستقلة كتلك المصنفات المتخصصة في موضوع واحد، أو عدة موضوعات، ولهذا حين ترجم ابن النديم لابن المنادى أبي الحسن أحمد بن جعفر ت(٣٣٤هـ) قال: وكان **عالماً بالقراءات** وغيرها، وله

---

(١) طبع قسمان من الكتاب، القسم الأول من أول سورة الفاتحة إلى الآية رقم: ١٤١ من سورة البقرة بتحقيق الدكتور أحمد عبد الله العماري. والقسم الآخر من أول سورة آل عمران إلى الآية رقم: ١٦٧ من السورة نفسها بتحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي، حافظ الري وابن حافظها، عالم ثبت، صنف في العلوم، له التفسير المسند، توفي (٣٢٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٢٦٣ -وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٨٥.

نيف وعشرون كتاباً في علوم متفرقة، وكان الغالب عليه **علوم القرآن**.[١]، وحين ترجم لأحمد بن كامل بن شجرة ت(٣٥٥هـ) قال: أحد المشهورين في **علوم القرآن**، وذكر من مؤلفاته: «غريب القرآن» و«القراءات» وكتاب «موجز التأويل عن معجز التنزيل»[٢]. وقال عن ابن مجاهد أحمد بن موسى ت(٣٢٤هـ): وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته **بالقراءات وعلوم القرآن** حسن الأداب.[٣]

لقد أطلق ابن النديم هذا المصطلح ليشمل جميع المؤلفات المتعلقة بالقرآن الكريم بما في ذلك التفسير، وهو إطلاق موافق لمصطلح علوم القرآن عند من يعرفه بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره... ونحو ذلك.[٤]

بيد أن المتأخرين لم يريدوا به ما أطلقه ابن النديم أو غيره، وإنما قصدوا به الأبحاث الكلية المقعدة والمتعلقة بالقرآن الكريم من جوانبه المتعددة، سواء كانت متخصصة أم عامة، وهو تعريف مستنبط من واقع المؤلفات.

إن المتأخرين يطلقونه على تلك المصنفات التي احتوت الأسس

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٨- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٤.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٤٨- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٤.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٤٧- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/ ٢٧٢.

(٤) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٠.

والقواعد والضوابط لكل علم من علوم القرآن، وضربت الأمثلة على تلك القواعد. سواء جمع المصنف علماً واحداً من هذه العلوم أو أكثر من علم في مؤلف، وسواء اكتفى بنماذج من الأمثلة أم كانت شاملة.

وعلى هذا يكون من أفرد الناسخ والمنسوخ -مثلاً- بالحديث، وذكر ما يحيط بهذا العلم من معلومات وضرب الأمثلة أو تتبعها في القرآن الكريم يقال: إنه كتب في علوم القرآن، ويصنَّف مؤلفه ضمن تلك المصنفات، وكذا من جمع أكثر من علم في مؤلَّف واحد، وإن لم يحط بالأمثلة. واللّه أعلم.

## أول من صنف في علوم القرآن:

يرى بعض الباحثين أن التأريخ للمصنفات الموضوعية في علوم القرآن ألزم وأكثر ضرورة وأجدى للقارئ من السير وراء هذه العلوم مجتمعة، لكون تلك العلوم قد أفردت بتآليف خاصة، ونال بعضها من العناية وتتابع القول في جميع العصور مما يجعل هذا التأريخ أكثر فائدة. وهي رؤية صائبة فالكتابة والتأليف في كل علم من علوم القرآن كان سابقاً لجمع أطراف تلك العلوم في كتب موسوعية جامعة، غير أن هذا لا يعني إهمال البحث عن تاريخ الكتابات الموسوعية في علوم القرآن، وبداية التصنيف الموسوعي الجامع الذي أعطى لعلوم القرآن منحى آخر، ولكون التأليف في علوم القرآن قد اتخذ ثلاثة أشكال رأيت أن البحث في هذا الموضوع ينبغي أن يكون من ثلاثة جوانب، وهي كلها تدخل تحت المصطلح الذي أطلقناه على علوم القرآن، وبذلك تتم الفائدة المرجوة ويتحقق المطلوب بإذن الله:

**١) أولى المصنفات الموضوعية.**

**٢) أولى التفاسير التي لها مقدمة في علوم القرآن.**

**٣) أولى الموسوعات في علوم القرآن.**

**أولاً- أولى المصنفات الموضوعية:**

موضوعات علوم القرآن كثيرة أوصلها ابن عقيلة المكي ت(١١٥٠هـ) إلى مئة وأربعة وخمسين نوعاً[١]، كل نوع منه هو علم مستقل بذاته، وقد أفردت كثيراً من هذه الأنواع بتآليف مستقلة، والبحث في تاريخ كل علم من تلك العلوم ومعرفة أول من صنّف فيه ليس بالأمر السهل، كما أن الفائدة المرجوة منه هي دون ذلك، لهذا رأيت أن أبحث في تاريخ أهم موضوعات علوم القرآن كأمثلة مختارة من تلك العلوم، وهي:

**١- الناسخ والمنسوخ:**

يرى الأستاذ الزرقاني[٢] أن أبا عبيد القاسم بن سلام الهروي ت(٢٢٤هـ)[٣] هو أول من صنف في هذا الفن، في حين يرى آخرون أن **قتادة بن دعامة السدوسي** ت(١١٧هـ) هو السابق[٤]، غير أن الناظر في

---

(١) اشتركت مع مجموعة من الزملاء في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بدراسته وتحقيقه، لنيل درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه، فخرج في أكثر من عشرين مجلداً والكتاب تحت الطبع لدى الشركة المتحدة للتوزيع بلبنان.

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٤.

(٣) هو القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري، إمام مجتهد، وأديب نحوي مشهور، مصنفاته كثيرة منها فضائل القرآن. انظر: طبقات القراء للذهبي: ١/ ١٤١-وطبقات المفسرين للداوي: ٢/ ٣٧.

(٤) انظر: مذكرة علوم القرآن. من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان-يحفظه الله- على طلبة

حركة التأليف يلاحظ أن المذكورَيْن مسبوقان في التأليف، فقد اهتم العلماء بموضوع النسخ في القرآن منذ الصدر الأول من الإسلام، فرسول اللّه ﷺ كان يبين الناسخ من الآيات وكذا المنسوخ، وقد ذكرنا أن علي بن أبي طالب ؓ كان قد كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، نقل السيوطي في الإتقان عن ابن أشتة[١] في كتابه «المصاحف» عن ابن سيرين: أن علياً ؓ كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وأن ابن سيرين قال: فطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه.[٢]

**وعلى هذا يكون الإمام علي هو أول من كتب في الناسخ والمنسوخ**،[٣] وإن كنا نرجح أن تأليف قتادة قد يمتاز عن كتابة علي بن أبي طالب بكونه مستقلاً في الباب ومرتباً، فالذي كتبه علي ؓ إنما حشى بها مصحفه.

وجاء بعد قتادة، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت(١٢٤هـ) فألف كتابه «الناسخ والمنسوخ»[٤] ثم تلاه عطاء بن مسلم الخراساني

الدراسات العليا بكلية أصول الدين عام ١٤٠٧هـ، وانظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٦ -وتاريخ التراث العربي: ١/ ٣٥.

(١) هو أحمد بن عبد الغفار بن أشتة الأصبهاني، ثقة مُسنِد، له المصاحف. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ١٨٣ -وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ٣٩٦.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ١٦٦.

(٣) وانظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان لخالد السبت: ١٧٦.

(٤) هو محمد بن مسلم بن عبد اللّه بن شهاب الزهري، فقيه حافظ متفق على جلالته=

ت(١٣٥هـ)[١]، ثم محمد بن السائب الكلبي ت(١٤٦هـ)[٢]، ثم حسين بن واقد المروزي ت(١٥٩هـ)[٣]، وكلهم كانوا قبل ابن سلام -رحمه اللّه ورحمهم أجمعين-.

## ٢- المصاحف والقراءات القرآنية وعد الآي:

لعل أول من صنف في اختلاف المصاحف هو **يحيى بن يعمر** ت(٨٩هـ) الذي ألف كتاباً في القراءات جمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة[٤] ثم تلاه عبد اللّه بن عامر اليحصبي ت(١١٨هـ)، الذي سمى مصنفه (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق) جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، قال ابن عطية: ومشى الناس على ذلك

---

=وإتقانه، يقال: إنه أول من جمع السنة. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ١٧٧ - وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ١٠٨-والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٢٩٦.

(١) هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، صدوق يهم، له تنزيل القرآن وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٣٥- والناسخ والمنسوخ للنحاس مقدمة التحقيق: ص١٨.

(٢) هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أخباري شيعي، متروك الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ٢٤٨- والفهرست لابن النديم: ٤٠- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٨٠.

(٣) هو حسين بن واقد، أبو عبد اللّه المروزي، ثقة له أوهام، له وجوه القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي (١٥٩هـ). انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٧، وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦٣، والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٠٤.

(٤) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٨١، وتاريخ التراث لسزكين: ١/ ٢٢.

زمناً طويلاً.[١]

أما القراءات القرآنية، فقد أرخ ابن الجزري[٢] لحركة التدوين في هذا الفن وقال: فلما كانت المئة الثالثة، واتسع الخرق، وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب: أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة توفي سنة (٢٢٤هـ)[٣]. فهو يرى أن أبا عبيد القاسم هو أول من صنف في هذا الفن.

في حين نرى في حديث الأستاذ الزرقاني عن المجلي في التأليف في هذا الفن اضطراباً ملحوظاً، فذكر أولاً أن علم الدين السخاوي ت(٦٤٣هـ) هو من تصدر التأليف في فن القراءات[٤]، ثم قال في حديثه عن أعداد القراءات:.. ثم أهلَّ عهد التدوين للقراءات ولم يكن لهذه السبعة بهذا

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣١، وتفسير ابن عطية المقدمة: ١/ ٥٥، وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٢٢.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي الجزري، كان إماماً في القراءة لا نظير له، له مؤلفات كثيرة منها النشر في القراءات العشر. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ: ٣٧٦-وطبقات الحفاظ للسيوطي: ٥٤٩.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ١/ ٣٣.

(٤) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٥.

العنوان وجود أيضاً، بل كان أول من صنف في القراءات أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني[١]، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل القاضي[٢]. ثم عاد فقال: ومكثت القراءات السبع على هذه الحال دون أن تأخذ مكانها من التدوين حتى خاتمة القرن الثالث إذ نهض ببغداد الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس، فجمع قراءات هؤلاء الأئمة..).[٣]

وكما ترى فإن بين أبي عبيد ت(٢٢٤هـ) والسخاوي ت(٦٤٣هـ) أكثر من أربعة قرون، ثم إن كان هناك من سبق أبا عبيد أيضاً، فبالنظر في كتاب «الفهرست» لابن النديم وغيره من الكتب التي اهتمت بذكر مصنفات السابقين أو ترجمت لهم نجدهم يذكرون **محمد بن عبد الرحمن بن محيصن ت(١٢٣هـ)**[٤] ويذكرون له كتاب: **اختيار في القراءة على مذهب**

---

(١) هو سهل بن محمد بن القاسم، أبو حاتم السجستاني، إمام في علوم القرآن واللغة والشعر، قرأ على الأخفش، له اختلاف المصاحف. انظر: إنباه الرواة للقفطي: ٢/٥٨- وطبقات المفسرين للسيوطي: ١/٢١٦.

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/٤٠٩.

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/٤١٠.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مقرىء أهل مكة، ثقة في الحديث. انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٣- وغاية النهاية لابن الجزري: ٢/١٦٧-ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/٩٨، وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/٢٣.

العربية، ويذكرون لعيسى بن عمر الثقفي ت(١٤٩هـ) كتاباً في القراءات بعنوان: «اختيار في القراءة».[(١)] . كما يذكرون لأبي عمرو بن العلاء ت(١٥٤هـ) كتاباً بعنوان: كتاب القراءات.[(٢)] كما يذكرون كتاب القراءة لحمزة الكوفي ت(١٥٤هـ)[(٣)]، وكتاب القراءة لنافع المدني ت(١٦٩هـ)[(٤)] وكتاب القراءة لهشيم بن بشير ت(١٨٣هـ)[(٥)]. وكل هؤلاء سابقون على القاسم بن سلام ومتقدمون عليه.

وفي عد الآي فقد كان **للحسن البصري** ت(١١٠هـ) قصب السبق في

---

(١) هو عيسى بن عمر الثقفي، نحوي بصري يستنكر الناس قراءته في الغالب، له أيضاً الجامع والكامل في النحو. انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/٦١٣-والفهرست لابن النديم: ١٣.

(٢) هو زبان بن العلاء بن عمار البصري، أبو عمرو البصري، عالم زاهد، وأحد القراء السبعة، انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/٢٨٨-والفهرست لابن النديم: ٥٣.

(٣) هو حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي، أحد القراء السبعة، أدرك الصحابة. انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٢- ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/١١١-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/٣١.

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أحد القراء السبعة، ثقة صالح، قيل: قرأ على سبعين من التابعين. انظر: الفهرست لابن النديم: ٣١- وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/٩٩-وغاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٣٠-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/٣٢.

(٥) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، محدث بغداد وحافظها. انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٨٤- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/٢٧٨-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/٨٨.

هذا الفن، حيث ألف كتابه: «**عد الآي**» ، ولا أعلم أنه مسبوق بأحد.[١]

وفي أعشار القرآن كانت الريادة في التأليف **لقتادة بن دعامة السدوسي** ت(١١٨هـ) الذي ألف كتاباً أسماه: **أعشار القرآن** أو «عواشر القرآن»[٢].

### ٣- إعراب القرآن:

يعد الأستاذ الزرقاني إبراهيم بن سعيد الحوفي ت(٤٣٠هـ) في طليعة من ألف في إعراب القرآن[٣]، واستدرك عليه الأستاذ خالد السبت فذكر أن أبا مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان القرطبي ت(٢٣٨هـ)[٤] هو السابق والمتقدم في هذا الفن[٥]، في حين نجد أن شيخنا الفاضل مناع القطان يعين الجلي في هذا الفن فيقول هو **محمد بن المستنير بن أحمد بن علي الشهير بقطرب ت(٢٠٦هـ)** ويذكر له كتاب: **إعراب القرآن**.[٦] وعند البحث لم

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٦- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٢٥.

(٢) اختُلف في عنوان الكتاب انظر: الطبقات لابن سعد: ٧/ ٢٧٣-وغاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٢٥-وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٦، وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٢١.

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٤.

(٤) انظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان للأستاذ خالد بن عثمان السبت: ١٧٩.

(٥) هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان العباسي القرطبي، نحوي فقيه، اشتهر بالحذق في الفقه، له الواضحة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ١٠٢-وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٦) مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان -يحفظه اللّه- على طلبة=

نظفر بأحد تقدم عليه. ثم تلاه يحيى بن زياد بن عبد اللّه بن منظور الديلمي المعروف بالفراء ت(٢٠٧هـ) فألف كتاباً أسماه «الجمع والتثنية في القرآن»، وكان رحمه اللّه أعلم الكوفيين بالنحو واللغة[(١)]. وتلاهما أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ت(٢٠٩هـ)[(٢)] ثم كان عبد الملك بن حبيب السابق ذكره، وتلاهم أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ت(٢٤٨هـ)[(٣)]. ثم أبو العباس المبرِّد ت(٢٨٦هـ)[(٤)]. ثم أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد المعروف بثعلب ت(٢٩١هـ)[(٥)].

### ٤- غريب القرآن:

يعد الأستاذ الزرقاني أبا بكر السجستاني ت(٣١٦هـ)[(٦)]أول من

---

=الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام١٤٠٧هـ- وهو ما ذهبت إليه الدكتورة ابتسام الصفار في معجم الدراسات القرآنية: ٢٠- وانظر: الفهرست لابن النديم: ٥٥.

(١) انظر: مراتب النحويين: ٨٦- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٨.

(٢) انظر: أنباه الرواة للقفطي: ٣/ ٢٧٦-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٢٧-ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ١/ ١٠٦.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ٢٦٨-وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد البصري، إمام في النحو، له الكامل. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٥٧٦-وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٥) هو أحمد بن يحيى بن زيد البغدادي، المشتهر بثعلب، إمام النحو، وكان أعلم الكوفيين، له اختلاف النحويين، والقراءات. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٥-وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٦) هو عبد اللّه بن سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني، إمام حافظ حدث عنه ابن

ألف في الغريب[١] واستدرك عليه الأستاذ السبت فقال: هو مسبوق بأبان ابن تغلب ت(١٤١هـ)[٢]، غير أننا نجد أن ما ذهبا إليه لا يسلم لهما، فقد سبقهما عطاء بن أبي رباح ت(١١٤هـ)[٣] وتبعه أبان ثم مؤرج بن عمرو السدوسي البصري ت(١٧٤هـ)[٤] ثم الإمام الجليل مالك بن أنس ت (١٧٩هـ) الذي ألف كتابه: تفسير غريب القرآن،[٥]، ثم علي بن حمزة

---

حبان والحاكم، له المصاحف، والناسخ والمنسوخ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٤٠٤-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٢٢١.

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٤.

(٢) هو أبان بن تغلب الكوفي، إمام مقرىء شيعي، قال الذهبي: بدعته خفيفة. له: غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ٣٠٨- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٢٠٧- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٤٢- ودراسة تقويمية لمناهل العرفان لخالد السبت: ١٧٨.

(٣) هو عطاء بن رباح بن أسلم القرشي، مفتي الحرم، كان من أوعية العلم. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٧٨- ومذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان -يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام ١٤٠٧هـ.

(٤) هو مؤرج بن عمرو أبو فيد السدوسي، شيخ العربية، له غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٣٠٩- والفهرست لابن النديم: ٣٧-٥٣، وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٢٠٧.

(٥) هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، إمام دار الهجرة، له الموطأ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٥٠٩- والبداية والنهاية لابن كثير: ١/ ١٧٤- وانظر مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان -يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام ١٤٠٧هـ.

الأسدي الكسائي ت(١٨٩هـ)[(١)].

### ٥- مجاز القرآن:

وذكر الأستاذ الزرقاني أن العز بن عبد السلام ت(٦٦٠هـ)[(٢)] هو أول من تصدر للتأليف في مجاز القرآن[(٣)]، وهو قول لا يسلم له مع غرابته، فالعز مسبوق بقرون، ولعل أول من صنف في هذا الفن هو ابن المستنير **محمد المعروف بقطرب ت(٢٠٦هـ)**[(٤)]، ثم تلاه أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري ت(٢١٠هـ)، ثم الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى العلوي ت(٤٠٦هـ) وأسماه: تلخيص البيان في مجاز القرآن.[(٥)].

---

(١) هو علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي، المشتهر بالكسائي، لغوي نحوي، إمام في القراءة، له معاني القرآن.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري: ٣/ ٩٧- والفهرست لابن النديم: ٢٩- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٠٧- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٧٣٠.

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، له التفسير الكبير، وغيره. انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ٨٠ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣١٥.

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٤.

(٤) وانظر مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان -يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام ١٤٠٧هـ.

(٥) هو محمد بن الحسين بن موسى الموسوي، انتهت إليه نقابة الأشراف، شاعر واسع الاطلاع، له ديوان الشعر، ومجاز القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٢٨٥-=

### ٦- نزول القرآن:

لعل أول من كتب في نزول القرآن الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي ت(١٠٥هـ)[١]، ثم تلاه الحسن البصري ت(١١٠هـ)[٢].

### ٧- معاني القرآن:

تصدر للتأليف في هذا الفن **واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة ت(١٣١هـ)**[٣]، ثم تلاه محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي ت(١٧٠هـ)[٤]، ثم علي بن حمزة بن عبد اللّه الكسائي ت(١٨٩هـ)[٥] ثم قطرب محمد بن المستنير ت(٢٠٦هـ)[٦]، ثم يحيى بن زياد الفراء ت (٢٠٧هـ)..[٧]

---

=ومرآة الجنان لليافعي: ٣/ ١٨.

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي المفسر، معلم قيل: كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي، وثقه ابن معين وغيره. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٤٩٩- والفهرست لابن النديم: ٣٨- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ١٨٦.

(٢) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٤٦- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٢.

(٣ واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي، عالم في اللغة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٤٦٤- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٣٥٧- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٥٧.

(٤) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٣٤- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٧٣٠.

(٥) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٩- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٠٧.

(٦) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٥٦.

(٧) انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٦- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٨- ومفتاح=

٨- المحكم والمتشابه:

أول من صنف في متشابه القرآن هو **مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي ت(١٥٠هـ)**[١]، تلاه علي بن حمزة الكسائي ت(١٨٧هـ)[٢]، ثم ألف قطرب محمد بن المستنير ت(٢٠٦هـ) كتاب «الرد على الملحدين في متشابه القرآن».[٣].

وأكتفي بهذه النماذج المختارة من عيون فنون علوم القرآن كأمثلة على أوائل التأليف في الموضوعات، وسيأتي المزيد عند الحديث عن مراحل التأليف في علوم القرآن في الفصل الثاني من هذا الباب بمشيئة اللّه تعالى.

**ثانياً: أولى التفاسير التي لها مقدمات:**

**١- مقدمة تفسير القرآن العزيز:** لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت(٢١١هـ).

يعد عبد الرزاق أول من قدم تفسيره بمقدمة في علوم القرآن، روى فيها بعض الآثار دون أن يقطع لذلك جانباً من الفكر.

---

=السعادة لطاش كبرى زاده: ١/ ١٦٧.

(١) هو مقاتل بن سليمان بن كثير البلخي، مفسر رمي بالتجسيم، وتُرك حديثه، حكي عن الشافعي أنه قال: الناس عيال على مقاتل في التفسير. له الآيات المتشابهات. انظر: الفهرست لابن النديم: ١٧٩- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٣١.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٩- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٠٧.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٥٦.

**٢- مقدمة تفسير جامع البيان في تفسير القرآن:** لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ت(٣١٠هـ).

يعد ابن جرير رائد علم التفسير بلا منازع، وإذا كان عبد الرزاق قد قدم لتفسيره بعض الروايات عن علوم القرآن، فإن ابن جرير يعد أول من صنف في التفسير مقدماً التصنيف بمقدمة طويلة درس فيها موضوعات مختارة من علوم القرآن تعد من أهم الموضوعات في هذا الفن، دون أن يكتفي بما اكتفى به الصنعاني، بل أعمل الفكر، وأبدى الرأي، وأحسن الاختيار وجمع الآراء والأقوال، ورجح بين الروايات، ويكاد يجمع كل من صنف في علوم القرآن على ريادة ابن جرير في هذا المنهج.

**٣- مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني:** لمؤلف مجهول، وقد طبعت المقدمة مع مقدمة تفسير ابن عطية وعنون لها بـ: **مقدمتان في علوم القرآن**، حققهما المستشرق آرثر جفري.

ويعود تاريخ هذه المقدمة إلى عام (٤٢٥هـ) حيث كتب مؤلفه في الصفحة الثانية منه أنه بدأ في تأليفه عام ٤٢٥هـ. وشملت هذه المقدمة عشرة فصول، تضمنت أهم موضوعات علوم القرآن كجمع المصحف، ونزول القرآن، والمحكم والمتشابه، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وغير ذلك من مباحث القرآن.

وممن قال بأسبقية هذه المقدمة وانتصر لهذا الرأي فضيلة الشيخ محمد أبو شهبة -رحمه الله- حيث صرح بذلك في كتابه «**المدخل لدراسة القرآن**

الكريم» وأثنى عليها وعلى موضوعاتها، كما أثنى على بلاغة الكاتب وقوة حجته، وحصافة رأيه، ورجح كونه من علماء الأندلس وقال: وإن أغلب ما ذكره السيوطي في مقدمته الإتقان من الكتب المؤلفة في هذا الفن لا يداني هذه المقدمة، بل إن بعضها لا يزيد عن فصل من فصولها، فهي جديرة بأن تذكر في كتب هذا الفن، وهي -بحق- تعتبر محاولة جدية في التأليف في هذا العلم، ولا يغض من قيمتها أنها مقدمة لتفسير، فكتاب الإتقان الذي هو عمدة كتب هذا الفن قد جعله مؤلفه مقدمة لتفسيره الكبير كما ذكر. ثم قال: ولعل أطول المقدمات وأحفلها هي مقدمة القرطبي وهي -على طولها- لا تبلغ ما بلغته هذه المقدمة في طولها وتنوع موضوعاتها.[١]

قلت: لهذه المقدمة أهمية خاصة عند المشتغلين بعلوم القرآن وإن كانت جهالة المؤلف قد أفقدته شيئاً من تلك الأهمية، غير أن الحديث هنا هو عن الأسبقية والريادة، وليس عن الإتقان والإجادة، وبما أن عبد الرزاق من المتقدمين على المؤلف فهو الحائز قصب السبق وليس مؤلف المقدمة، والله أعلم.

**ثالثاً: أولى الموسوعات في علوم القرآن:**

يقول الأستاذ الزرقاني في المناهل[٢]: اشرأبّت أعناق العلماء أن

---

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٤-٣٥.

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٦.

يعتصروا من تلك العلوم -علوم القرآن- علماً جديداً يكون كالفهرس لها، والدليل عليها، والمتحدث عنها. فكان هذا العلم هو ما نسميه (علوم القرآن).

قلت: وقد عنيتُ بمصطلح (موسوعات علوم القرآن) تلك المصنفات التي ألفت في هذا العلم بالمعنى المذكور في كلام الأستاذ الزرقاني السابق.

لقد كثرت الأقوال في تعيين المُجلي في هذا الباب، وتباينت الآراء إلى حد الغرابة أحياناً، ولعل السبب الرئيس -في اعتقادي- هو الإيهام الذي أحدثته عبارة علوم القرآن الواردة في بعض عناوين المؤلفات القديمة، وظن البعض أنها مصنفات في علوم القرآن، وهي في حقيقتها في التفسير، وانتشرت هذه الأقوال حتى اشتهرت، واعتمد اللاحق على السابق بأن كفى النفس مؤنة البحث والتقصي.

وقد رأيت أن أذكر أهم تلك الأقوال ثم الرد عليها، وأتبعها بذكر ما ترجح لديَّ وا لله المستعان، وأشهر الأقوال:

١) **كتاب البرهان في علوم القرآن**: علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي ت(٤٣٠هـ)[1]، قال ياقوت[2] في «معجمه»: بلغني أنه يقع في

---

(١) الكتاب مخطوط يقع في ثلاثين مجلداً، يوجد منه خمسة عشر مجلداً بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩) تفسير، ونسخة أخرى من سبعة مجلدات، من الأول إلى الخامس، والحادي عشر وجزء آخر ناقص من أوله تحت رقم ٥١٧ تفسير، وانظر: فهرس معهد مخطوطات جامعة الدول العربية.

(٢) هو ياقوت بن عبد اللّه الرومي الحموي، نحوي أخباري، كانت له همة عالية في=

ثلاثين مجلداً بخط دقيق.[(١)]

وقد ذكر الأستاذ الزرقاني -رحمه اللّه- أن كتاب الحوفي هو أول تصنيف ظهر في علوم القرآن بالمعنى المصطلح عليه، حيث قال: لقد كان المعروف لدى الكاتبين في تاريخ هذا الفن، أن أول عهد ظهر فيه هذا الاصطلاح -أي اصطلاح علوم القرآن -هو القرن السابع.

لكني ظفرت في دار الكتب المصرية بكتاب لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي المتوفى سنة (٤٣٠هـ) اسمه «البرهان في علوم القرآن»،.... إلى أن قال: وإذن نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن نحو قرنين من الزمان؛ أي إلى بداية القرن الخامس بدلاً من القرن السابع[(٢)]

وقال في موضع آخر: إن علوم القرآن استهلت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس.[(٣)] وقال في موضع ثالث من كتابه المناهل: ولا نعلم أحداً قبل المئة الرابعة للهجرة ألف أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون.[(٤)]

---

=تحصيل العلوم، له معجم البلدان وغيره، توفي (٦٣٠هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٦/ ١٢٧ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٢/ ٣١٢.

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٢/ ٢٢١.

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٨.

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٢.

(٤) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٦.

ولعل الأستاذ الزرقاني هو أول من تبنى هذا الـرأي كما يظهر مـن مقولته، وقد تبعه ثلة من الذين ألفوا في علوم القرآن[١] فيما بعد.

وهو رأي مرجوح في اعتقادي لأمرين:

**الأول:** أن كتاب الحوفي هذا كتاب في التفسير وليس في علوم القـرآن. وقد تضافرت الأدلة على ذلك، بل إن الكتاب وهو بين أيدينا خـير شـاهد على جنوح الرأي وعدم سداده.

وقبل ذكر طريقة المؤلف في التفسير ننقل ما ورد في تسميته، فقد ذكـر ياقوت الحموي في معجمه السابق أن الحوفي سمى كتابه «البرهان في تفسـير القرآن»[٢] وقال الداودي[٣]: له -أي للحوفي- تفسير جيد سماه: «البرهـان في تفسـير القـرآن»[٤] وبنحـو ذلـك قـال السـيوطي وحـاجي خليفـة[٥]

---

(١) مثل الدكتور محمد أمين فرشوخ، انظر كتابه المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية: ١٠،والدكتور محمد بكر إسماعيل، انظر كتابه دراسات في علوم القرآن: ١٧.

(٢) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٢/ ٢٢١.

(٣) هو محمد بن علي بن أحمد الداودي، شيخ أهل الحديث في عصره، أخذ عن السيوطي، له طبقات المفسرين. انظر: شذرات الذهب لابن العماد: ٨/ ٢٦٤- والأعلام للزركلي: ٦/ ٢٩١.

(٤) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٨٨.

(٥) هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، يعرف بحاجي خليفة، مؤرخ بحاثة، له كشف الظنون، قيل: هو أنفع ما كتب في هذا الباب. انظر: الأعلام للزركلي: ٧/ ٢٣٦.

وغيرهما[١].

ولا ندري من أين استقى الأستاذ الزرقاني هـذا الاسـم «البرهـان في علوم القرآن» لكتاب الحوفي، والحال أن الجزء الأول منه مفقـود، ولا أدري من أين عرف التسمية؟ ولعله اعتمد على فهرس دار الكتب المصرية.

قال: وقد رجعت إلى كتاب كشف الظنون فتبـين لي أن اسـم الكتـاب «البرهان في تفسير القرآن»، وبذلك زالت الشبهة في عدِّه من علوم القـرآن، وثبت أنه كتاب تفسير وهو الحق والصواب.[٢]

وبالرجوع إلى التفسير رأينا أن الكتاب لا يخـرج عـن كتـب التفسـير، يتعـرض فيـه المؤلـف للآيـة أو الآيـات حسـب ترتيـب المصحـف، فيذكـر الإعـراب، والوقـف والتمـام، والقـراءات والغريـب، والمعنــى والتفسـير والأحكام وأسباب النزول والنسخ وغــير ذلـك، ويعقـد لكـل فـن عنوانـاً فيقول: (القول في القراءات) ويتكلم تحت العنوان عن القراءات الـواردة في الآيـات المعروضـة، ثـم يقـول: (القـول في الإعـراب) فيذكـر اللغويـات والنواحي الإعرابية، وهكذا في بقية الفنون. فهـو كتـاب تفسـير تطـرّق فيـه المؤلف لمواضيع في علوم القرآن وليس ذلك بدعاً من القول.

فـلا فـرق بـين صنيعـه وبـين صنيـع القرطـبي والفخـر الـرازي في

(١) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٧٠- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٤١.

(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٥.

تفسيريهما، وصنيع غيرهما ممن كان كتابه أمسّ بالتفسير منه بعلوم القرآن.[(١)] وقد أقر الأستاذ الزرقاني نفسه بهذه الحقيقة حين استعرض الكتاب وقال: إن الكتاب أتى على علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد، بل على طريقة النشر والتوزيع تبعاً لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزعها. **حتى كأن هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع علوم القرآن عند المناسبات**[(٢)].

**الثاني**: أن الكتاب مسبوق بالتأليف، ومن الذين سبقوه في هذا المضمار الحارث المحاسبي ت(٢٤٣هـ) بكتابه «فهم القرآن»، وأبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ت(٤٠٦هـ) بكتابه «التنبيه على فضل علوم القرآن» [(٣)]، هذا حسب الاصطلاح، وإلا فلو نظرنا باعتبار التسمية فإن هناك من سبقه أيضاً مثل محمد بن خلف بن المرزبان ت(٣٠٩هـ) بكتابه «الحاوي في علوم القرآن»[(٤)]، وأبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت(٣٣٤هـ) بكتابه «المختزن في علوم القرآن»[(٥)]،

---

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٥.

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٨.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٤٥.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٩٥، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٤٦.

(٥) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١١/ ٣٤٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/ ٨٨.

ومحمد بن علي الأدفوي ت(٣٨٨هـ) بكتابه «الاستغناء في علوم القرآن»[١].

٢)**كتاب الحاوي في علوم القرآن**: لمحمد بن خلف بن المرزُبان بن بسام المحوَّلي ت(٣٠٩هـ)[٢]، والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية[٣]، ويقع في نحو من سبعة وعشرين جزءاً.

وممن انتصر لهذا القول ورأى أن ابن المرزبان هو السابق في التأليف فضيلة الدكتور صبحي الصالح -رحمه الله- حيث قال في ثنايا حديثه عن ظهور هذا المصطلح: نبهنا آنفاً إلى ظهور كتب عالجت الدراسات القرآنية باسمها الصريح (علوم القرآن)، وكان أسبقها في نظرنا كتاب ابن المرزبان في القرن الثالث.[٤]

وهو اختيار فضيلة الشيخ مناع خليل القطان -يحفظه الله- الذي قال

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٩٨، وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٤٠.

(٢) أخباري مصنف حسن التأليف، روى عن الزبير والرمادي وعنه أبو عمر بن حيويه وجماعة، والمُحوَّلي نسبة إلى قرية غرب بغداد. انظر النجوم الزاهرة: ٣/ ٢٠٣، والفهرست: ٩٥ و١٦٦، وتاريخ بغداد: ٥/ ٢٣٧، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٤٦، ومعجم مصنفات القرآن الكريم: ٣/ ١٩٩.

(٣) انظر: مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان يحفظه الله على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام١٤٠٧هـ.

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن،د/ صبحي الصالح: ١٢٤.

عند حديثه عن نشأة علوم القرآن: أما جمع هذه الأنواع من علوم القرآن - كلها أو جلها- في كتاب واحد باعتبارها علماً مستقلاً فقد كانت بداية ذلك في مؤلف مخطوط بعنوان «الحاوي في علوم القرآن» بدار الكتب المصرية لأبي عبد الله محمد بن خلف بن المزربان.... إلى أن قال: وهو بهذا أول من جمع علوم القرآن في مؤلف واحد[١].

وهو ما ذهب إليه أيضاً فضيلة الدكتور فهد الرومي، الذي قال: ظهر هذا الاصطلاح أول ما ظهر في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حين ألف محمد بن خلف بن المرزبان ت(٣٠٩هـ) كتابه الحاوي في علوم القرآن[٢].

وهذا الرأي أيضاً مرجوح في اعتقادنا، وذلك لأمرين:

**الأول**: أن كتاب ابن المرزبان كتاب في التفسير وليس في علوم القرآن وإن حمل مصطلح علوم القرآن، يدل على ذلك سعته فقد جاء في ثلاثين مجلداً، في عصر لم يكن البحث في علوم القرآن بالمعنى المقصود قد بلغ نصيف هذا الاتساع.[٣]

الثاني: أنه مسبوق بكتاب «فهم القرآن» للحارث المحاسبي

(١) انظر: مذكرة علوم القرآن. من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان يحفظه الله على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم،د/ فهد الرومي: ٤٥.

(٣) وانظر: فنون الأفنان لابن الجوزي -مقدمة المحقق: ٧٣.

ت(٢٤٣هـ) وسيأتي الحديث عنه بمشيئة اللّه.

**٣) كتاب عجائب علوم القرآن:** المنسوب لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ابن الأنباري ت(٣٢٨هـ)[١]، والكتاب مخطوط توجد منه نسخة في مكتبة البلدية بالإسكندرية برقم: ٣٥٩٩[٢].

وقد انتصر لهذا القول فضيلة الدكتور/ حسن ضياء الدين عتر، الذي قال في تحقيقه لكتاب فنون الأفنان لابن الجوزي: وإني أتوقع أن يكون أسبق كتاب في هذا المضمار هو: «عجائب علوم القرآن» للإمام الجليل أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت(٣٢٨هـ).[٣]

وقد استبشرت خيراً بهذا القول لكونه يتقدم بتاريخ تدوين علوم القرآن بالمعنى المصطلح عليه قرناً كاملاً على مذهب من يرى أن ابن حبيب النيسابوري هو السابق، وبأكثر من قرنين ونيف على مذهب من يرى أن الحجلي هو ابن الجوزي صاحب فنون الأفنان. غير أنني ما لبثت أن اختالني الشك حين عدت إلى ترجمة ابن الأنباري في مظانه فلم أجد لهذا الكتاب

---

(١) مقرىء نحوي، زاهد فاضل، اشتهرت تصانيفه منها الوقف والابتداء، والرد على من خالف مصحف عثمان. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٨٠- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٢٨.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح: ١٢٢، ودراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان: ١٨٣- وفنون الأفنان-مقدمة المحقق: ٧٤.

(٣) انظر: فنون الأفنان -مقدمة المحقق: ٧٣.

ذكراً، غير الزركلي في الأعلام[1] الذي ذكر ضمن مؤلفات ابن الأنباري الكتاب المذكور وأشار إلى أنه مخطوط، وغير الشواخ في «معجم مصنفات القرآن»[2]، وكان مصدره الوحيد الأعلام للزركلي، مما زاد من حيرتي.

وأثناء البحث وتقليب النظر في المصادر ومظان الحديث عن مثل هذا الموضوع وقفت على استعراض لمخطوط ابن الأنباري في رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بعنوان: «دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان»، للباحث خالد بن عثمان السبت، فألفيته يقول: وقفت على كتاب ابن الأنباري -رحمه الله- فوجدته يتحدث عن موضوعنا الذي نحن بصدده، وقد قال في أوله: لما ألفت كتاب التلقيح في غرايب علوم الحديث، رأيت أن تأليف كتاب في عجايب علوم القرآن أولى، فشرعت في سؤال التوفيق...) إلى أن قال: (باب ذكر نبذة من فضائل القرآن...)، ثم قال: (باب في أن القرآن كلام الله غير مخلوق) ثم قال: (باب نزول القرآن على سبعة أحرف)وساق أربعة عشر قولاً. ثم قال(باب في كتابة المصحف وهجائه) ثم قال: (باب عدد سور القرآن، وآياته، وكلماته، وحروفه، ونقطه) ثم قال: (باب ذكر أجزاء القرآن) ثم قال: (باب عدد آيات السور) وهكذا يسوق

---

(١) انظر: الأعلام للزركلي: ٦/ ٣٣٤ والذي يظهر لي أنه اعتمد فهرست المكتبة في إثبات المعلومة.

(٢) انظر: معجم مصنفاته القرآن الكريم للشواخ: ٣/ ٢١٩.

الأبـواب)[١]، وهكـذا لم يذكـر البـاحث شـيئاً عـن نسـبة الكتـاب إلى ابـن الأنباري، غير أن العرض الذي قدمه أدخل السكينة إلى النفس الـتي لم تـدم طويلاً فسرعان ما وقفت على تنبيـه في الحاشـية، للبـاحث نفسـه في أوائـل رسالته قوض البنيان حين قال ما نصه: ذهب البعض إلى القول بـأن كتـاب عجائب علوم القرآن المنسـوب لابـن الأنبـاري هـو أول المؤلفـات في هـذا الشأن، والصواب أن الكتاب المذكور **لا تصح نسبته لابن الأنباري**، بـل هـو كتاب فنون الأفنان لابن الجوزي، ويعرف هذا بالمقارنة بينهمـا وبدلائـل لا مجال لذكرها في هذا الموضع أهـ[٢]. وعنـد جهينـة الخـبر اليقـين، فبـالعودة لكتاب ابن الجوزي تبين اليقين، وتأكد لي ذلك مرة أخرى ما أقـره البـاحث حين وقفت على كلام لفضيلة الدكتور فهد الرومي يحفظه ا لله وهو الخبـير بمعرفة الكتب والمخطوطات المتحققة في التفسير وعلوم القرآن يثبت فيه هو الآخر خطأ نسبة الكتاب لابن الأنباري ويؤكد النسبة لابن الجوزي ويقول: ينسب كثير مـن البـاحثين كتـاب «عجـائب علـوم القـرآن» لأبـي بكـر بـن الأنباري ت(٣٢٨هـ) مستندين في ذلك إلى مـا ذكـره الزرقـاني في «منـاهل العرفان»[٣]، وقـد ظهـر لي -والقـول لفضيلـة الدكتـور -يقينـاً أن الكتـاب

(١) انظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان: ١٨٤.

(٢) انظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان: ٢٨.

(٣) سبق أن بينا أن الزرقاني رجح أن الحوفي هو المجلي في هـذا البـاب، ومعلـوم أن الحـوفي توفي سنة ٤٣٠هـ، بيد أن ابن الأنبـاري هـو المتقـدم تاريخـاً، فكيـف يذكـره ولا يعـزو=

المذكور ليس لأبي بكر الأنباري بل هو كتاب «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزي، وسبب وقوع هذا الوهم نسخة مخطوطة في مكتبة البلدية بالإسكندرية أخطأ مفهرسو المكتبة في معرفة المؤلف فنسبوها لأبي بكر الأنباري. أهـ[(١)] .

والغريب في الأمر أن يذهب محقق كتاب ابن الجوزي الأستاذ العتر من دون الآخرين إلى ترجيح هذا الرأي، وكأن وحدة التسمية والموضوعات لم تحدث له إشكالاً، ولا قول المؤلف في بداية حديثه: لما ألفتُ كتاب «التلقيح في غرايب علوم الحديث»، رأيت أن تأليف كتاب في عجايب علوم القرآن أولى. وكما هو معلوم فإن كتاب التلقيح هو لابن الجوزي.

وعلى ما سبق فإنه لا يعتد بهذا القول أيضاً.

٤) **كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري المعروف بابن الجوزي ت(٥٩٧هـ)[(٢)]، والكتاب مطبوع عدة طبعات.

---

=الأسبقية إليه!

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د/ فهد الرومي: ٤٦ هامش «١» قلت: وقول الدكتور الكريم: «وينسب كثير من الباحثين كتاب عجائب...» قول فيه نظر إذ القائلون بذلك قلة.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٦٥- وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٣٧٥.

كان المعروف لدى الكاتبين في هذا الفن أن ظهور هذا الاصطلاح كان في القرن السادس الهجري على يد أبي الفرج بن الجوزي، استنتاجاً من الذي ذكره السيوطي في مقدمة الإتقان.[١]

وكان ممن انتصر لهذا القول فضيلة الشيخ غزلان، في كتابه: «البيان في مباحث من علوم القرآن»، فقد ذكر بعد أن عرض لحركة التأليف في علوم القرآن أن ابن الجوزي هو السابق في التصنيف في هذا الفن وقال: فمن هذا كله يتبين لنا أنه لم يعرف أن أحداً قبل ابن الجوزي جمع هذه الأبحاث وسماها باسم علوم القرآن.[٢]

وهو قول بعيد وغريب فابن الجوزي مسبوق بقرون على مذهب من يرى أن الحارث المحاسبي هو السابق، أو أن ابن حبيب النيسابوري هو المجلي أو ابن المرزبان أو غيرهم.

**٥) أقوال أخرى:**

وقد وردت أقوال أخرى تقول بأسبقية بعض المؤلفات ولغرابتها وبعدها أعرضت عن التحدث عنها تفصيلاً، ومن ذلك:

**أ- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد**

---

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٤.

(٢) انظر: البيان في علوم القرآن لغزلان: ٤١.

**اللّه بن بهادر الزركشي ت(٧٩٤هـ)**[١].

وقد شهد السيوطي للزركشي بالريادة في هذا الباب لكن على سبيل البسط والإحصاء والسير على منهج الاستقصاء، فقد قال في خطبة كتابه «الإتقان»: خطر لي بعد ذلك -يعني بعد تأليف كتاب «التحبير» -أن أؤلف كتاباً مبسوطاً، ومجموعاً مضبوطاً أسلك فيه طريق الإحصاء، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء، هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسائل، فبينا أن أجيل في ذلك فكراً....... إلى أن قال: إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد اللّه الزركشي ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى «البرهان في علوم القرآن» فتطلّبته حتى وقفت عليه.[٢]

تلكم كانت شهادة السيوطي، وقد كان الزركشي ذاته قد أثبت الأسبقية لنفسه حين ذكر في تقديمه للبرهان أنه مما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ قال: فاستخرت اللّه تعالى -وله الحمد- في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه.[٣]

وقد اختار هذا الأستاذ أبو الفضل إبراهيم في تحقيقه لكتاب الإتقان

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٦٢ -والدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ١٧-.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ١٢٣ ط البغا.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٩.

للسيوطي[(١)].

**ب- مواقع العلوم من مواقع النجوم، لجلال الدين، عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني ت(٨٢٤هـ)[(٢)].**

وهو اختيار السيوطي في كتابيه «الإتقان»، و«التحبير» حيث قال: ومما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة [علم التفسير] الذي هو كمصطلح الحديث، فلم يدونه أحد لا في القديم ولا في الحديث حتى جاء شيخ الإسلام وعمدة الأنام علامة العصر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني رحمه اللّه تعالى فعمل كتابه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، فنقحه وهذَّبه وقسّم أنواعه ولم يسبق إلى هذه المرتبة.[(٣)]

**ج- التيسير في قواعد علم التفسير لأبي عبد اللّه، محيي الدين، محمد بن سليمان بن سعد الرومي الحنفي المعروف بالكافيجي ت(٨٧٩هـ)[(٤)]**

نقل السيوطي عن شيخه الكافيجي قوله: قد دونت في علوم التفسير

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي، مقدمة المحقق: ١/ ٧ ط أبو الفضل إبراهيم.

(٢) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي: ٤/ ١٠٦- وشذرات الذهب لابن عماد: ٧/ ١٦٦- وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس: ٢/ ٧٣.

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٩-١٠.

(٤) عالم فاضل بارع في المعقولات والمنقولات، وقد سمي بالكافيجي لكثرة اشتغاله بكافية ابن الحاجب في النحو. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ١/ ١١٧- والشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: ١/ ١٢٤- وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٧/ ٣٢٦.

كتاباً لم أسبق إليه[1] ثم أنكر على شيخه دعواه في ذلك وقال: وكان يقول أنه ابتدع هذا العلم ولم يسبق إليه، وذلك لأنه لم يقف على البرهان للزركشي ولا على مواقع النجوم للبلقيني[2].

ولا يخفى علينا بعد هذه الآراء وغرابتها، فهم مسبوقون بلا شك، بالحارث المحاسبي ت(٢٤٣هـ)، وبابن حبيب النيسابوري ت(٤٠٦هـ) وبابن الجوزي ت(٥٩٧هـ)، وبالسخاوي ت (٦٤٣هـ) وبأبي شامة المقدسي ت(٦٦٥هـ)، وبنجم الدين الطوفي ت (٧١٦هـ) صاحب كتاب «الإكسير في علم التفسير».

**والذي يترجح لي -واللّه أعلم- بعد أن استعرضنا معاً ما قيل في هذا الشأن، أن المجلي والسابق، ورائد المنهج الموسوعي في علوم القرآن، والذي وضع النواة واللبنات الأولى لهذا النهج، هو الحارث بن أسد المحاسبي ت(٢٤٣هـ)**، ثم جاء بعده من أقام البنيان على الأساس الذي وضعه حتى اكتمل وتحلى بأجمل زينة، فماذا عن تصنيفه؟

٦) **كتاب فهم القرآن: لأبي عبد اللّه الحارث بن أسد المحاسبي** ت(٢٤٣هـ)[3]، والكتاب مطبوع ومتداول بين أيدي طلبة العلم[4].

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ٧،ط البغا.

(٢) انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ١/ ١١٨.

(٣) عابد زاهد صوفي، تصدى للمعتزلة والرافضة ورد عليهم ، أثنى عليه الإمام أحمد=

وقد انتصر لهذا الرأي فضيلة الأستاذ فاروق حمادة، فعدَّ كتاب الحارث هذا في طليعة كتب علوم القرآن كفن مدون، وألصقها بالمعنى الاصطلاحي لعلوم القرآن،(١) كما انتصر له قليل من الباحثين المتأخرين(٢).

وبالعودة إلى الكتاب والاطلاع عليه وجدت أن المؤلف يعالج موضوعات هامة من علوم القرآن، وإن لم يكن هدفه تأليف كتاب مستقل في علوم القرآن بقدر ما كان يهدف منه الحديث عن نهج العقل المؤمن، ووضع أبحاث جزئية لفهم القرآن على منهج أهل السنة والجماعة، لا على طريقة المعتزلة والرافضة وغيرهم، حيث أشهر المصنف في وجههم سيف الحق وفنَّد مذاهبهم، وبالخصوص في مسألة النسخ، غير أن الموضوعات جاءت في صلب موضوعنا، ولم تختلف كثيراً عن المعالجات التي جاءت متأخرة إلا بقدر ما تستدعيه الفترة الزمنية التي فصلت بينها، وما تستلزمه تلك الفترة من تطور في العلوم.

---

=من وجه، وحذَّر منه.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ١١٠-وحلية الأولياء لأبي نعيم: ١٠/ ٧٣.

(٤) طبع الكتاب بتحقيق الأستاذ حسين القوتلي، مجموعاً مع كتاب آخر للحارث هو كتاب «العقل»، وقد أخرج الكتابين بعنوان «العقل وفهم القرآن» وكانت الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م نشر وتوزيع دار الكندي ودار الفكر.

(١) انظر: مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، لفاروق حمادة: ١٠.

(٢) انظر: تاريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري: ١٤، للباحث أحسن محمد أشرف الدين- رسالة ماجستير -الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٥هـ.

والموضوعات التي بحثها المؤلف هي: فضائل القرآن، فقه القرآن، المحكم والمتشابه. ما لا يجوز النسخ فيه وما يجوز فيه، الناسخ والمنسوخ في الأحكام، في أساليب القرآن، التقديم والتأخير، الإضمار. الحروف الزائدة، المفصول والموصول، هذه هي موضوعات كتاب الحارث المحاسبي فهم القرآن، وهي كما يراها القارىء موضوعات من صلب مباحث علوم القرآن.

**إننا نستطيع أن نقول: إن أول كتاب وضع نواة لعلوم القرآن بالمعنى الموسوعي الصحيح هو كتاب الحارث المحاسبي لكونه لم يجاوز في موضوعاته وفنونه دائرة تلك العلوم.**

ولعل أول من جاء بعد الحارث بكتاب مستقل هو:

**٧) الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب، أبو القاسم النيسابوري** ت(٤٠٢هـ):

الذي كتب كتابة خاصة عن فضل علوم القرآن وسماه: «التنبيه على فضل علوم القرآن»، وقد حقق الكتاب الأستاذ محمد عبد الكريم الراضي، وحين استعرضته وجدته تطرق لأشرف تلك الفنون، وقال: إن من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءاً ووسطاً.... الخ. فذكر خمسة وعشرين وجهاً ثم قال: من لم يعرفها ويميز بينها لم يحلَّ له أن يتكلم في كتاب اللّه عز وجل.

بعدها فصّل ما أجمله وقال: وأنا أذكر من كل وجه منها فصلاً غير مشروح ولا مبسوط لئلا يطول الكتاب..(١)

**وبعد:**

فإننا نستخلص مما سبق أن التدوين في علوم القرآن حسب الاصطلاح الموسوعي قد بدأ في منتصف القرن الثالث على يد الحارث المحاسبي، ثم نمى على يد ابن حبيب النيسابوري في نهاية هذا القرن، ثم تطور على يد ابن الجوزي والسخاوي وأبي شامة والطوفي وغيرهم في القرنين السادس والسابع الهجريين، وترعرع على يد الزركشي في نهاية القرن الثامن، وبلغ ذروته على يد جلال الدين السيوطي في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر والله أعلم.

---

(١) انظر: التنبيه على فضل علوم القرآن لابن حبيب: ٣٠٧، ضمن مجلة المورد العدد: ٤ المجلد: ١٧ عام: ١٤٠٩هـ.

# الفصل الثاني

## التأليف في علوم القرآن

١- **المرحلة الأولى** من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

٢- **المرحلة الثانية** من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر الهجري.

٣- **المرحلة الثالثة** من بداية القرن العاشر إلى العصر الحالي.

**تمهيد:**

شهدت حركة التأليف في علوم القرآن -كغيره من العلوم الإسلامية -تطوراً سريعاً، فما أن أذن رسول الله ﷺ بالكتابة حتى تسابقت أقلام الصحابة إلى تدوين العلوم والأخبار، وخاصة ما تعلق منها بالوحي المنزل وبالسنة النبوية القولية منها والفعلية.

واستمرت الكتابة والتأليف في شتى الموضوعات والفنون المتعلقة بكتاب الله في العصور المختلفة، وأعمل العلماء فكرهم لاستنباط درر هذا الكتاب وكنوزه، وتسابقوا في مضمار هذا الشرف العظيم، فكان منهم الجلي ومنهم من دون ذلك، حتى رأت الأجيال المسلمة وخلال فترة قصيرة المكتبات الخاصة والعامة تكتظ بالمصنفات العظيمة التي يقف الإنسان أمامها مشدوهاً كمّاً وكيفاً.

وقد استمر التأليف إلى عصرنا الراهن، ومر خلال تلك المدة بمراحل متنوعة من القوة والضعف، فيقوى في فترة من الفترات، وتشتد أوارها، وتكثر المصنفات، ويزدهر التأليف والتصنيف، ويفتر حيناً فيمر بفترة ضعف وجمود، تخفت فيها تلك الجذوة الوهّاجة التي شهدها من قبل، فيضعف التأليف، كما يضعف الإقبال على طلب العلم.

كما تنوعت اهتمامات العلماء في العصور المختلفة، فتوجهت حيناً إلى التصنيف الموضوعي، فظهرت العناوين المختصة في جزئية من جزئيات

العلم، فصّلت مسائلها تفصيلاً دقيقاً، وحيناً آخر إلى التصنيف الموسوعي الذي قصد به العلماء وضع أطراف مسائل العلم بين يدي طلبته مجتمعة.

ويستطيع المتابع لحركة التأليف تلك أن يحدد ثلاث فترات رئيسة مر فيها التأليف في هذا الفن، لكل مرحلة سماتها الموضوعية والمنهجية، وهي:

## المرحلة الأولى: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري:

اتجهت الهمم في هذه المرحلة إلى الكتابة الموضوعية، وبذرت البذرة الأولى في بدايات الدعوة، غير أنها كانت كتابات متنوعة غير منظمة ولا مرتبة، تبعتها فترة الترتيب والتدوين، وجاء القرن الثاني الهجري ليجد حركة علمية ونهضة فكرية كانت بحق عصب النماء والرافد القوي الذي مد العصور اللاحقة بمادة علمية أساسية، أقامت عليها بنيانها، وجعلتها ركيزة وأساساً لذلك البنيان. فظهرت الرسائل الصغيرة وذلك بفصل المواد العلمية المجموعة بعضها عن بعض، وتخصيص كل موضوع بكتاب يحمل عنواناً مستقلاً، وظهرت حركة الترجمة، واتسعت دائرة التدوين، وفصلت الموضوعات وتكاملت، وعُدَّ هذا القرن بحق قرن تدوين العلوم الإسلامية.

وقد امتازت المصنفات في هذه الفترة بتوسع في المادة العلمية عن ذي قبل، وشمول لم يوجد في القرن الذي سبقه، وتنوعت الموضوعات تنوعاً أفضل وظهرت موضوعات جديدة لم تكن مطروحة عند السابقين، فأفردت بالتصنيف كعلم مجاز القرآن ومعانيه، وكعلم أسباب النزول وإعراب القرآن

والأمثال وغيرها، وكان الغالب على هذه المصنفات السمة التجميعية، جمع الروايات المعنية بالموضوع، يكتفي المصنف بذكر الآيات أو الروايات والآثار التي تبين ذلك وتوضحه. دون التعرض للمناقشات والإشكالات التي قد تعترض طريق القارئ، ودون التطرق للقواعد أو الضوابط التي تضبط الموضوع المطروق.

وحين ظهرت المذاهب الفقهية، وأُوجِدَ علم الكلام، وكثرت الفرق الإسلامية، وتعددت النحل، وتأثر المسلمون بالثقافات التي وردت إليهم عن طريق الشعوب التي أسلمت، وكثر كيد اليهود وغيرهم للإسلام، كثر التصنيف، ووضعت الضوابط والقواعد، واتجه العلماء إلى تدقيق النظر في الروايات، والتحري في صحتها، وتمحيصها من الكذب ودخيل القول، فأصبحت المصنفات أكثر دقة من ذي قبل.

وهكذا استمر التأليف يتطور يوماً بعد يوم ، وتتكامل الموضوعات تكاملاً دقيقاً ، وتتوضح الرؤية في كثير من مسائل العلم توضيحاً أدق ، ولعل جلّ اهتمام العلماء في خدمة كتاب اللّه في هذه الفترة كان منصرفاً إلى:

١) علم التفسير، وما يتعلق به من بيان المعاني والغريب من الألفاظ والمتشابه منه والمحكم، وإعراب القرآن.

٢) علم القراءات القرآنية، وما يتعلق به من رسم المصحف والأحرف السبعة، وقد لقيت هذه العلوم اهتماماً خاصاً من علماء

الإسلام، لكونها تمس النص القرآني، وتؤكد سلامته من النقص والزيادة والتحريف.

٣) علم الناسخ والمنسوخ، يدخل فيه المطلق والمقيد، والعام والخاص وما إلى ذلك، تتبعها المصنفون في جميع المصحف، وقيدوها تحت هذا المصطلح، حتى جاء المتأخرون الذين رأوا الفصل بين تلك الموضوعات، فأفردوا المطلق والمقيد، والعام والخاص بتآليف مستقلة.

٤) علم إعجاز القرآن ، وكان الاهتمام بإفراده بالتصنيف متأخراً نسبياً.

والمصنفات التي ظهرت في هذه المرحلة كثيرة يصعب حصرها، ولهذا سأكتفي بذكر نماذج، من أهمها:

**أولاً: المصنفات الموضوعية:**

**أ- علم التفسير:**

١) تفسير مجاهد بن جبر ت(١٠٤هـ)[١].

٢) تفسير الضحاك بن مزاحم ت (١٠٥هـ)[٢].

---

(١) انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٤٤- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٠.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٤٧- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧١.

٣) تفسير عكرمة مولى ابن عباس ت (١٠٧هـ)[١].

٤) تفسير محمد بن كعب القرظي ت (١٠٨هـ)[٢].

٥) تفسير الحسن البصري (١١٠هـ)[٣].

٦) تفسير عطاء بن أبي رباح ت (١١٤هـ)[٤].

٧) تفسير قتادة بن دعامة السدوسي ت (١١٧هـ)[٥].

٨) تفسير عطاء بن دينار ت (١٢٦هـ)[٦].

٩) تفسير إسماعيل السدي ت (١٢٧هـ)[٧].

---

(١) هو عكرمة البربري أبو عبد الله، مولى ابن عباس، تابعي وأحد أوعية العلم بالتفسير والمغازي. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٨٦- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٣.

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، ثقة عالم بالحديث. انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٥٨- وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٩/ ٤٢٠- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٧.

(٣) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٤٦- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٢.

(٤)انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٣- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٣ وقد طبع الكتاب.

(٥) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٦- وتاريخ التراث العربي لسزكين١/ ٧٥.

(٦) انظر: تاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٦.

(٧)هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، إمام عارف بالوقائع وأيام العرب، روى عن ابن=

١٠) تفسير عطاء بن أبي رباح الخراساني ت(١٣٣هـ)[١].

١١) تفسير زيد بن أسلم ت (١٣٦هـ)[٢].

١٢) تفسير هشيم بن بشير السلمي ت(١٨٣هـ)[٣].

١٣) تفسير عبد الرزاق الصنعاني ت(٢١١هـ).

١٤) تفسير الإمام أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ)[٤].

١٥) تفسير ابن ماجه ت (٢٧٣هـ)[٥].

١٦) الحاوي في علوم القرآن لابن المرزبان ت (٣٠٩هـ)[٦].

---

=عباس، توفي (١٢٧هـ). انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٣١٣- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٠٩- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٧.

(١) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٣- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٨.

(٢) هو زيد بن أسلم العدوي، مفسر محدث فقيه، كانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، له تفسير. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٣١٦- وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١٨٢- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٤٨.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٨٤- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٨٨.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٢٩- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٧٢.

(٥) هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، محدث عالم، صاحب السنن، رحل في طلب الحديث، له التفسير. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٥٢- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٧٤.

(٦) انظر: الفهرست لابن النديم: ٩٥ و١٦٧- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٤٦.

١٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ت (٣١٠هـ).

١٨) تفسير أبي بكر النيسابوري ت(٣١٨هـ)[١].

١٩) تفسير ابن أبي حاتم الرازي ت (٣٢٧)[٢].

٢٠) الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر الأدفوي ت (٣٨٨هـ)[٣].

**ب- علم معاني القرآن:**

١) معاني القرآن: واصل بن عطاء الغزال ت (١٣١هـ)[٤].

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري، فقيه عالم حافظ، له تصانيف معتبرة، منها التفسير. انظر: الفهرست لابن النديم: ٢١٥- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٥٥.

(٢) طبع القسم الأول من سورة البقرة بتحقيق د/ أحمد عبد الله العماري، والقسم الأول من سورة آل عمران بتحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين، عام ١٤٠٨هـ وبقية الكتاب لا زال مخطوط.

(٣) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٧٩- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ١٠٦- وقد حققت سورة الفاتحة من الكتاب مع دراسته من قبل الأخ عبد الله عبد الغني كحيلان، نال بها درجة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) انظر: فوات الوفيات للكتبي: ٢/ ٦٢٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٧٥.

٢) معاني القرآن: لمحمد بن الحسن الرؤاسي ت(١٧٠هـ)(١).

٣) معاني القرآن: للكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي ت(١٨٩هـ)(٢).

٤) معاني القرآن: لقطرب بن المستنير ت(٢٠٦هـ)(٣).

٥) معاني القرآن: للفراء يحيى بن زياد ت (٢٠٧هـ)(٤).

٦) معاني القرآن: لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ت(٢١٦هـ)(٥).

٧) معاني القرآن: لابن كيسان ت(٢٩٩هـ)(٦).

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي: ٢/ ٣٣٤ -وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٣٤- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٧٣٠.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٩- والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٥/ ٣٢٣- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٠٧.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢- والبداية والنهاية لابن كثير: ١٠/ ٢٥٩- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٥٦.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٦- والمعارف لابن قتيبة: ٥٤٥- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٨.

(٥)انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٩٢- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٦١.

(٦)هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان النحوي ، قيل: كان أنحى من المبرد وثعلب،=

٨) معاني القرآن: لسلمة بن عاصم النحوي ت (٣١٠هـ)[١].

٩) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن سري الزجاج ت(٣١١هـ).[٢]

١٠) معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس ت (٣٣٨هـ)[٣].

**ج- علم إعراب القرآن:**

١) إعراب القرآن: لمحمد بن المستنير الشهير بقطرب ت(٢٠٦هـ)[٤].

٢) الجمع والتثنية في القرآن : ليحيى بن زياد المعروف

---

=قصده الرؤساء والأشراف لعلمه، له معاني القرآن، وغيره، توفي (٢٩٩هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٥٨- ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ١/ ١٦٠.

(١)هو سلمة بن عاصم أبو محمد البغدادي النحوي ، صاحب الفراء، عالم بالمعاني، قيل: إن كتابه في المعاني من أجود الكتب، توفي (٣١٠هـ). انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٧- وإنباه الرواة للقفطي: ٢/ ٥٦- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٠١.

(٢)انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٠- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٩- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٢٦٢.

(٣)هو أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر ، كان نحوياً حاذقاً، واسع العلم، غزير الرواية، له أكثر من خمسين تصنيفاً في علوم القرآن والأدب، توفي (٣٣٨هـ) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٨- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٣١١.

(٤)انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢- والبداية والنهاية لابن كثير: ١٠/ ٢٥٩- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٥٦.

بالفراء ت(٢٠٧هـ).[١]

٣) إعراب القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت (٢٠٩هـ)[٢].

٤) إعراب القرآن: لابن حبيب القرطبي ت(٢٣٨هـ)[٣].

٥) إعراب القرآن: لأبي حاتم سهل السجستاني ت(٢٤٨هـ)[٤].

٦) إعراب القرآن: لأحمد بن يحيى المعروف بثعلب ت(٢٩١هـ)[٥].

٧) إعراب القرآن: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت(٢٨٦هـ).[٦]

٨) إعراب القرآن: للزجاج إبراهيم بن السري ت (٣١١هـ)[٧].

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٦ - والمعارف لابن قتيبة: ٥٢٥ - وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٧.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٣ - والمعارف لابن قتيبة: ٥٤٣ - وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٢٦.

(٣)انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٥٥- وترتيب المدارك للقاضي عياض: ٣/ ٣٠ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٨- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ٢٦٨- وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢١٧- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٥) انظر: الفهرست لابن النديم: ٧٤- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٥- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٦) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٥٧٦- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٢١٠- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٣.

(٧) انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٠- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٩- ومرآة الجنان=

٩) إعراب القرآن: لأبي جعفر النحاس ت (٣٣٨هـ)[١].

١٠) إعـراب ثلاثـين سـورة مـن القـرآن: الحسـين بـن أحمـد بـن خالويـه ت(٣٧٠هـ)[٢].

د- علم غريب القرآن:

١) غريب القرآن: لعطاء بن أبي رباح أسلم القرشي ت(١١٤هـ)[٣].

٢) غريب القرآن: لأبان بن تغلب ت(١٤١هـ)[٤].

٣) غريب القرآن: مؤرج بن عمرو السدوسي ت(١٧٤هـ)[٥].

---

=لليافعي: ٢/ ٢٦٢.

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٨- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٣١١.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٨٤- وطبقـات المفسـرين للـداودي: ١/ ١٥٢- والنجـوم الزاهرة لابن ثغري بردي: ٤/ ١٣٩.

(٣) انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٤٤- وكشـف الظنـون لحـاجي خليفـة: ١/ ٤٥٣- وتـاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٧٣.

(٤) انظر: طبقات المفسرين للـداودي: ١/ ٣- وكشـف الظنـون لحـاجي خليفـة: ٢/ ٢٠٧- وتاريخ التراث العربي: ١/ ٤٢.

(٥) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٧-٥٣ والمعارف لابن قتيبـة: ٥٤٣- طبقـات المفسـرين للداودي: ٢/ ٣٤٠- وكشف الظنون: ٢/ ١٢٠٧.

٤) تفسير غريب القرآن: للإمام مالك بن أنس ت(١٧٩هـ).[١]

٥) غريب القرآن: لعلي بن حمزة الأسدي الكسائي ت(١٨٩هـ).[٢]

٦) غريب القرآن: لقطرب محمد بن المستنير ت(٢٠٦هـ).[٣]

٧) تأويل غريب القرآن: للفراء يحيى بن زياد ت (٢٠٧هـ).[٤]

٨) غريب القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت(٢٠٩هـ).[٥]

٩) تأويل غريب القرآن: لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ت (٢١٦هـ).[٦]

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣١٠- والديباج المذهب لابن فرحون: ١٧.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٩- والمعارف لابن قتيبة: ٤٤٥- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٠٤- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٧٣٠.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢- والبداية والنهاية لابن كثير: ١٠/ ٢٥٩- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٥٦.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٦- والمعارف لابن قتيبة: ٥٢٥- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٧.

(٥) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٣- والمعارف لابن قتيبة: ٥٤٣- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٢٦.

(٦) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٩٢- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٦١.

١٠) غريب القرآن: لأبي عبيد القاسم بن سلام ت(٢٢٣هـ).[١]

١١) غريب القرآن: لمحمد بن سلام الجمحي ت(٢٣١هـ).[٢]

١٢) غريب القرآن: لابن السكيت ت(٢٤٤هـ).[٣]

١٣) تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة الدينوري ت(٢٧٦هـ).[٤]

١٤) غريب القرآن: لمحمد بن العباس بن محمد اليزيدي ت(٣١١هـ).[٥]

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٧١- البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٢٨١- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٧.

(٢) هو محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي، لغوي بصري، له غريب القرآن. انظر: الفهرست لابن النديم: ١١٣- وتاريخ بغداد للخطيب: ٥/ ٣٢٧- وطبقات المفسرين للسيوطي: ٢/ ١٥٦.

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن السكيت النحوي المؤدب، شيخ العربية، قيل: كانت إليه المنتهى في اللغة، له أكثر من عشرين كتاباً، منها إصلاح المنطق. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ١٦- والفهرست لابن النديم: ٧٢- وهدية العارفين للبغدادي: ٢/ ٥٣٦- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٣/ ٣٠٢.

(٤) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري النحوي، كان رأساً في العربية والأخبار، له إعراب القرآن.

انظر: الفهرست لابن النديم: ٧٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٥١- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ١٩١.

(٥) هو محمد بن العباس بن محمد البغدادي، المشتهر بابن اليزيدي، كان رأساً في نقل=

١٥) غريب القرآن ، المسمى نزهة القلوب: لأبي بكر السجستاني ت(٣٣٠هـ).[١]

١٦) الإشارة في غريب القرآن: لأبي بكر النقاش ت(٣٥١هـ).[٢]

١٧) غريب القرآن : لأحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت (٣٥٥هـ).[٣]

### هـ- علم الناسخ والمنسوخ:

١) الناسخ والمنسوخ: لقتادة بن دعامة السدوسي ت(١١٨هـ).[٤]

---

=النوادر وكلام العرب إماماً في النحو، لـه غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٣٦١- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٣/ ٣٠٢- وتاريخ الأدب العربي: ١/ ١٠٩.

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٧- وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ١/ ١٠٣.

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن زياد الموصلي النقاش، مفسر مقرئ، قيل: كان يكثر من القصص، له شفاء الصدور في التفسير، توفي: (٣٥١هـ) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٣- وتاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ٢٠١- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/ ٥٧٣- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٣٦.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٢- وإنباه الرواة للقفطي: ١/ ٩٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٦.

(٤) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٦-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٣٥.

٢) الناسخ والمنسوخ: لابن شهاب الزهري ت(١٢٤هـ).(١)

٣) الناسخ والمنسوخ: لعطاء بن مسلم الخراساني ت(١٣٥هـ).(٢)

٤) ناسخ القرآن ومنسوخه: لمحمد بن السائب الكلبي ت(١٤٦هـ).(٣)

٥) الناسخ: للحسين بن واقد المروزي ت(١٥٩هـ).(٤)

٦) الناسخ والمنسوخ: لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ت(١٨٢هـ).(٥)

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ: ١/١٠٨- والنسخ لمصطفى زيد: ١/٢٩٦ والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية، انظر الناسخ والمنسوخ لمحمد صالح: ٢٦.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٨٥- ومرآة الجنان لليافعي: ١/ ٢٨١- والناسخ والمنسوخ للنحاس، المقدمة: ص١٨.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٤٠-٩٥- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٤٩- وتاريخ التراث لسزكين: ١/ ٨٠.

(٤) هو حسين بن واقد المروزي، قاض ثقة، له الناسخ والمنسوخ، وله وجوه القرآن. انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦٣- والنسخ في القرآن لمصطفى زيد: ١/ ٣٠٤.

(٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري، فيه لين، له تفسير جمعه في مجلد، وله في الناسخ والمنسوخ.

انظر: الفهرست لابن النديم: ٤٠- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧١- والنسخ لمصطفى زيد ١/ ٣٠٥.

٧) الناسخ والمنسوخ: لعبد الوهاب العجلي الخفاف ت(٢٠٤هـ).[١]

٨) الناسخ والمنسوخ: لحجاج بن محمد المِصِّيصي الأعور ت(٢٠٦هـ).[٢]

٩) الناسخ والمنسوخ: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت(٢٢٤هـ).[٣]

١٠) الناسخ والمنسوخ: للحسن بن فضال الكوفي ت(٢٤٤هـ).[٤]

١١) الناسخ والمنسوخ: لمحمد بن سعد بن منيع العوفي ت(٢٣٠هـ).[٥]

---

(١) هو عبد الوهاب بن عطاء العجلي الخفاف، وثقه ابن معين، له التفسير، الناسخ والمنسوخ. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٦٩- والنسخ في القرآن لمصطفى زيد: ١/ ٣١٠.

(٢) هو حجاج بن محمد المِصِّيصي الأعور، إمام حجة حافظ، رفع الإمام أحمد من أمره وأثنى عليه، له الناسخ والمنسوخ. انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٧- ٤٠ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٣١- والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٢/ ١٨١.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٧١- البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٢٨١- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٧. والكتاب مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٦٠٢ف، ٢٧٨٣ف- وحقق رسالة ماجستير، ثم طبع مؤخراً.

(٤) هو الحسن بن علي بن فضال الكوفي، مصنف شيعي، له التفسير وغيره، انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٢٣-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٤١.

(٥) انظر: النسخ في القرآن الكريم، لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٠، قال: وكتابه مفقود، ولم نجد من ذكر أنه اطلع عليه عدا ابن سلامة (صاحب كتاب الناسخ والمنسوخ).

١٢) ناسخ القرآن ومنسوخه: لجعفر بن مبشر الثقفي المعتزلي ت(٢٣٥هـ).[١]

١٣) الناسخ والمنسوخ: لسريج بن يونس المروزي ت(٢٣٦هـ).[٢]

١٤) ناسخ القرآن ومنسوخه: للإمام أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ).[٣]

١٥) الناسخ والمنسوخ: لأبي داود السجستاني ت(٢٧٥هـ).[٤]

١٦) ناسخ القرآن ومنسوخه: لإبراهيم بن إسحاق الحربي ت(٢٨٥هـ).[٥]

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٧-٦٢- وتاريخ بغداد للخطيب: ٧/ ١٦٢- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٢٨.

(٢) هو سريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي، ثقة عابد، روى عنه البخاري ومسلم، له التفسير والقراءات. انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٣١- والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٢/ ٢٨٢- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٨٥.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٢٩- وتاريخ بغداد للخطيب: ٤/ ٤٢١- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٠٧.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٢- والبرهان للزركشي: ٢/ ٢٨- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣١٨.

(٥) هو إبراهيم بن إسحاق الحربي، إمام فاضل، له تصانيف عديدة، منها ناسخ القرآن ومنسوخه.

انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٣١- وتاريخ بغداد للخطيب: ٦/ ٢٦- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٧.

١٧) الناسخ والمنسوخ: لأبي مسلم إبراهيم الكجي الكشي ت(٢٩٢هـ)[١].

١٨) الناسخ والمنسوخ: للحسين بن منصور الحلاج ت(٣٠٩هـ).[٢]

١٩) الناسخ والمنسوخ: لأبي بكر السجستاني ت(٣١٦هـ).[٣]

٢٠) ناسخ القرآن ومنسوخه: للزبير أحمد الزبيري ت(٣١٧هـ).[٤]

٢١) معرفة الناسخ والمنسوخ: لعلي بن أحمد بن حزم الأنصاري ت(٣٢٠هـ).[٥]

---

(١) الكجي نسبة إلى تبنيه داراً بالبصرة بالكجة، والكج هو الجص. والكشي: نسبة إلى جده كش. انظر: مرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٢٢٠-وطبقات المفسرين: ١/ ١٣- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٢.

(٢) سمي بالحلاج لزعمه أنه يحلج الأسرار، أي يخبر عن أخبار الناس، صوفي تنكر له بعضهم ونسبوه إلى الزندقة، له علم البقاء والفناء، وغيره، صلب سنة (٣٠٩هـ). انظر: الفهرست لابن النديم: ١٩٠- والنجوم الزاهرة: ٣/ ٢٠٢-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦٢.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٣٢- وطبقات الشافعية للسبكي: ٣/ ٣٠٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٣٦- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٤.

(٤) هو الزبير بن أحمد بن سليمان بن حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، عالم شافعي ثقة، له الكافي. انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٧- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/ ٥٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٨٢- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٤.

٢٢) الناسخ والمنسوخ: لمحمد بن عثمان الشيباني المعروف بالجعد ت(٣٢٢هـ).[(١)]

٢٣) الناسخ والمنسوخ: لابن الأنباري ت(٣٢٨هـ).[(٢)]

٢٤) (....) لابن المنادى ت(٣٣٦هـ).[(٣)]

٢٥) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس ت(٣٣٨هـ).[(٤)]

---

(٥) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، فقيه أصولي محدث، له المحلى. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٣٢٥- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٤. والكتاب مطبوع على هامش تفسير الجلالين، وأخرى باسم (الناسخ والمنسوخ في القرآن).

(١) هو محمد بن عثمان بن مسبح الملقب بالجعد الشيباني، نحوي من العلماء الفضلاء، له معاني القرآن وله غريب القرآن. انظر: الفهرست لابن النديم: ٨٢- والوافي بالوفيات للصفدي: ٤/ ٨٢- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٩٥.

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، عالم زاهد متواضع، مقرئ نحوي، صاحب تصانيف، له الوقف والابتداء. انظر: الفهرست لابن النديم: ٧٥- وإنباه الرواة للقفطي: ٣/ ٢٠١-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٢٨- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٥.

(٣) انظر: النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٥.

(٤) انظر: إنباه الرواة للقفطي: ١/ ١٠١- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٨- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٦ وقد طبع الكتاب عام ١٣٢٣هـ باسم: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم مما اجتمع عليه واختلف فيه عن العلماء من أصحاب=

٢٦) الناسخ والمنسوخ: لأبي بكر محمد بن عبد الله البردعي المعتزلي ت(٣٥٠هـ).[(١)]

٢٧) الناسخ والمنسوخ: لأبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي ت(٣٥٥هـ).[(٢)]

٢٨) لأبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ت(٣٦٨هـ).[(٣)]

٢٩) الناسخ والمنسوخ: لأبي الحسين محمد بن محمد النيسابوري ت(٣٦٨هـ).[(٤)]

٣٠) الناسخ والمنسوخ: لمحمد بن علي بن بابويه القمي ت(٣٨١هـ).[(٥)]

---

=رسول الله ﷺ والتابعين والفقهاء وشرح ما ذكروه وما فيه من اللغة والنظر ثم طبع محققاً.

(١) هو محمد بن عبد الله البردعي، معتزلي فقيه، عاصره ابن النديم صاحب الفهرست وأبلغه أنه صنف عدة كتب في الفقه، وله الناسخ والمنسوخ. انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٣٧- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٧٧- والنسخ في القرآن لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٦.

(٢) انظر: جذوة المقتبس: ٣٢٦- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٢٦- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ٣٢٦.

(٣) انظر: النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١/ ٣٢٦.

(٤) انظر: ترجمته في طبقات المفسرين للداودي ولم يذكر له هذا الكتاب: ٢/ ٢٣٦ وذكر أنه توفي بعد التسعين وثلاثمائة.

(٥) هو محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، رافضي صاحب تصانيف، يضرب بحفظه المثل، قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة، له الملاهي. انظر: سير أعلام النبلاء=

## و- علم المحكم والمتشابه:

١) متشابه القرآن: لمقاتل بن سليمان الأزدي ت(١٥٠هـ).[1]

٢) متشابه القرآن: لعلي بن حمزة الكسائي ت(١٨٧هـ).[2]

٣) الرد على الملحدين في متشابه القرآن: لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب ت(٢٠٦هـ).[3]

٤) تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة الدينوري ت(٢٧٦هـ).[4]

٥) توضيح المشكل في القرآن: لسعيد بن محمد الغساني بن الحداد ت(٣٠٢هـ).[5]

---

=للذهبي: ١٦/ ٣٠٣ - إيضاح المكنون: ٤/ ٣٤١- والأعلام للزركلي: ٦/ ٢٧٤- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ٢٤٦.

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ١٧٩- وتاريخ بغداد: ١٣/ ١٦٠- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٣٠.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٩- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٠٤.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٢- والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٥٩-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٥٦.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٧٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٥١- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ١٩١.

(٥) هو سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد المغربي، صاحب سحنون، كان بحراً في الفروع=

٦) متشابه القرآن: لابن المنادى ت(٣٣٦هـ).[١]

## ز- علم فضائل القرآن والقراءات القرآنية وعد الآي:

١) فضائل القرآن وما نزل منه بمكة وما نزل بالمدينة: لابن الضريس ت(١٩٤هـ).[٢]

٢) فضائل القرآن: لمحمد بن إدريس الشافعي: ت(٢٠٤هـ).[٣]

٣) فضائل القرآن: لأبي عبيد القاسم بن سلام ت(٢٢٣هـ).[٤]

٤) فضائل القرآن: لخلف بن هشام بن ثعلب ت(٢٢٩هـ).[٥]

---

=ورأساً في العربية، ومن رؤوس السنة، له مناظرات مع المعتزلة، من تصانيفه مشكل القرآن. انظر: مرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٢٤٠- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٠٥- والأعلام للزركلي: ٣/ ١٠٠ قال: منه قطعة مخطوطة في جامعة القيروان.

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٤- وتاريخ بغداد للخطيب: ٤/ ٦٩.

(٢) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن ضريس البجلي، محدث انتهى إليه علو الإسناد بالعجم، له فضائل القرآن. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٠٩-وشذرات الذهب لابن العماد: ٢/ ٢١٦-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٩٧ (مطبوع).

(٣) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٢٧٧.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٧١- والبداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٢٨١-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٧. حقق رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، واعتمدته كثيراً، وقد علمت أنه طبع مؤخراً في المغرب ولم أقف على المطبوع إلى وقت كتابة هذه الأسطر.

٥) فضائل القرآن: لهشام بن عمار بن نصير الظفري ت(٢٤٥هـ).[(١)]

٦) فضائل القرآن: لحفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان ت(٢٤٦هـ).[(٢)]

٧) فضائل القرآن: ليحيى بن زكريا بن إبراهيم بن مزين ت(٢٥٩هـ).[(٣)]

٨) فضائل القرآن: لعلي بن الحسن بن فضال الشيعي ت(٢٩٠هـ).[(٤)]

٩) فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل وفي كم يقرأ والسنة في ذلك: للفريابي ت(٣٠١هـ).[(٥)]

---

(٥) هو خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي المقرئ، له اختيار في القراءة خالف فيه حمزة حدث عنه مسلم وغيره، له فضائل القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠/ ٥٧٦- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦٧.

(١) هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الظفري، خطيب مقرئ حافظ. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٤/ ٣٠٢- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٥٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٥٤١- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦٥.

(٣) انظر: الديباج المذهب لابن فرحون: ٣٥٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٨.

(٤) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٠٣.

(٥) هو جعفر بن محمد بن الحس الفريابي، قاض من أوعية العلم، ثقة مأمون، له تصانيف مفيدة منها فضائل القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٩٦- وكشف=

١٠) فضائل القرآن: للإمام النسائي ت(٣٠٣هـ).[(١)]

١١) فضائل القرآن: لابن الحداد[(٢)]

١٢) القراءات: ليحيى بن يعمر (ت٨٩ هـ)..[(٣)]

١٣) اختيار في القراءة على مذهب العربية: لابن محيصن ت(١٢٣هـ)[(٤)]

١٤) اختيار القراءة: لعيسى بن عمر الثقفي ت(١٤٩هـ).[(٥)]

١٥) كتاب القراءات: لأبي عمرو بن العلاء ت(١٥٤هـ).[(٦)]

١٦) القراءة: لحمزة الكوفي ت(١٥٦هـ).[(٧)]

---

=الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٢٧٧- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٣٢٥.

(١) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، برع في الحديث، وتفرد بالمعرفة وعلو الإسناد، قيل: كان أفقه مشايخ عصره، له السنن. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٢/ ٦٩٨-والبداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ١٢٣- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٣/ ٣١٩.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٧٦- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٣٣٦.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤١-تاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٢٢.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٣- وغاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ١٦٧- ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٩٨.

(٥) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٣.

(٦) انظر: الفهرست لابن النديم: ٥٣.

١٧) القراءة: لنافع المدني ت(١٦٩هـ).[(١)]

١٨) القراءة: لهشيم بن بشير ت(١٨٣هـ).[(٢)]

١٩) القراءة: لأبي عبيد القاسم بن سلام ت(٢٢٤هـ).[(٣)]

٢٠) القراءة: لأحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل إنطاكية، (ت٢٥٨هـ).[(٤)]

٢١) القراءة: للقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي ت(٢٨٢هـ).[(٥)]

٢٢) الجامع: لابن جرير الطبري ت(٣١٠هـ).[(٦)]

٢٣) القراءة: لأبي بكر محمد الداجوني ت(٣٢٤هـ).[(٧)]

---

(٧) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣١- وتاريخ التراث العربي لسزكين١/ ٣١- ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١١١.

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣١- وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٩٩- وتاريخ التراث لسزكين: ١/ ٣٢.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٨٤-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٨٨.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٧١- البداية والنهاية: ١/ ٢٨١-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٧.

(٤) هو أحمد بن جبير بن محمد الكوفي الإنطاكي، إمام مقرئ ثقة ضابط، له القراءة. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٠٧- وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٤٢- والنشر لابن الجزري: ١/ ٣٤.

(٥) انظر: الفهرست لابن النديم: ٢٠٠- والنشر: ١/ ٣٤- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٠٦.

(٦) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١١٠.

(٧) هو محمد بن أحمد بن عمر الرملي الضرير، أبو بكر الداجوني الكبير، أحد من جمع=

٢٤) القراءات السبع: لابن مجاهد ت(٣٢٤هـ).[(١)]

٢٥) القراءات: لأحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت(٣٥٥هـ).[(٢)]

٢٦) القراءة: لأبي بكر أحمد بن نصر الشذائي ت(٣٧٠هـ).[(٣)]

٢٧) القراءة: للحسين بن عثمان البغدادي الضرير ت(٣٧٨هـ) أول من نظم في القراءات السبع.[(٤)]

٢٨) كتاب الشامل والغاية: لأبي بكر بن مهران ت(٣٨١هـ).[(٥)]

---

=القراءات، وصنف فيها. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٦٨- والنشر لابن الجزري: ١/ ٣٤ (مطبوع).

(١) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤- ومقدمة تحقيق كتاب الحجة لأبي زرعة: ١٤ (مطبوع).

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٢-٤٨- وطبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٩٨- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٤.

(٣) هو أحمد بن نصر بن منصور الشذائي، أحد القراء المشهورين بالضبط والإتقان، بصير بالعربية. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٣١٩-والنشر لابن الجزري: ١/ ٣٤.

(٤) هو حسين بن عثمان أبو علي المجاهدي الضرير، مقرئ قيل: هو آخر من قرأ القرآن على ابن مجاهد، كان ممن يأخذون المال على الختمة. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٣٦٠- وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٢٤٣- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٣١٧.

(٥) هو أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، مقرئ عابد صالح، قيل: كان مجاب الدعوة، =

**٢٩)** عد الآي: للحسن البصري ت (١١٠هـ).[١]

**٣٠)** أعشار القرآن أو (عواشر القرآن): قتادة بن دعامة السدوسي ت(١١٨هـ).[٢]

وظهرت مصنفات في فنون أخرى، ففي **الوقف والابتداء** كتب ابن الأنباري ت(٣٢٨هـ): إيضاح الوقف والابتداء في كتاب اللّه.[٣]

وفي **نزول القرآن** كتب الضحاك بن مزاحم البلخي ت(١٠٥هـ)[٤]، والحسن البصري ت(١١٠هـ)[٥]، وكتب علي بن الحسن بن فضال الكوفي ت(٢٢٤هـ) كتاباً أسماه: التنزيل في القرآن[٦].

وفي **أسباب النزول** كتب علي بن عبد اللّه المديني شيخ البخاري

---

توفي (٣٨١هـ). انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٣٤٧- والنشر لابن الجزري: ١/ ٣٤ وكتابه الغاية (مطبوع).

(١) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٦- وتاريخ العربي التراث لسزكين: ١/ ٢٥.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: ٧/ ٢٧٣- وغاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٢٥- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٦-وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ٢١.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٧٥- ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٢٩٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٢٨.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٨- تاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ١٨٦.

(٥) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٤٦- وتاريخ التراث لسزكين: ١/ ٧٢.

(٦) انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٣٤.

ت(٢٣٤هـ) كتابه: أسباب النزول.[(١)]، وكتب عبد الرحمن بن أصبغ (أبو المطرف) ت(٤٠٢هـ) كتابه: القصص والأسباب التي نزل القرآن من أجلها الكتاب.[(٢)].

وفي **اختلاف المصاحف** كتب يحيى بن يعمر كتاباً أسماه: القراءة. جمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة[(٣)] وكتب عبد اللّه بن عامر اليحصبي ت(١١٨هـ) كتاب: اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق.[(٤)] جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط[(٥)].

---

(١) هو علي بن عبد اللّه بن جعفر بن نجيح السعدي، المعروف بابن المديني، أمير المؤمنين في الحديث، شيخ البخاري، له مصنفات عديدة قيل: انقرضت كلها ولم تبق إلا أربعة كتب أو خمسة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٤١- والإتقان في علوم القرآن= =للسيوطي: ١/ ٨٢- وإيضاح المكنون: ٣/ ٦٩.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ، أندلسي من كبار المحدثين، جمع من العلوم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره بالأندلس، قيل: ما كان يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو استنسخه، وكان له ستة وراقين ينسخون له. وكتابه القصص والأسباب في نحو مائة جزء ونيف. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٩١- والصلة لابن بشكوال: ٣٠٣- وتاريخ قضاة الأندلس: ٨٧- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٣٣.

(٣) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٨١- وتاريخ التراث لسزكين: ١/ ٢٢.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣١- وتاريخ التراث لسزكين: ١/ ٢٢.

(٥) انظر: مقدمة تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥.

وفي **أمثال القرآن** كتب الحكيم الترمذي ت (٣١٣هـ) كتاباً أسماه: الأمثال من الكتاب والسنة.[١]، وكتب نفطويه الأزدي العتكي ت(٣٢٣هـ): أمثال القرآن[٢].

وفي **المقطوع والموصول** كتب عبد الله بن عامر اليحصبي ت(١١٨هـ)[٣].

وفي **إعجاز القرآن**، كتب أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت(٣٥٥هـ) كتابه: موجز التأويل عن معجز التنزيل[٤]، وكتب علي بن عيسى الرماني ت(٣٨٦هـ) كتابه: النكت في إعجاز القرآن[٥]، وكتب عبد

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن بشر، الحكيم الترمذي، صنف كتاباً أسماه ختم الولاية، فضّل فيه الولاية على النبوة، فنفوه وشهدوا عليه بالكفر، وله كتاب الفروق، وغيره. انظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي: ٤/ ١٤٠- وطبقات الحفاظ للسيوطي: ٣٥٢. وقد ذكره الشواخ في معجمه، وذكر أن وفاة المصنف هو (٢٧٩هـ) وأن الكتاب مخطوط ويحمل رقم ٢١٨١٧ بدار الكتب العربية، انظر معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٣/ ١٨٢- وأبلغني أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع أنه مطبوع ويحتفظ بنسخة منه.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي، المشهور بنفطويه، صاحب التصانيف، كان ذا دين وقوة ومروءة، له غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/ ٧٥ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢١-ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٣/ ١٨٣.

(٣) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٩.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم: ٣٢- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٤.

(٥) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١٢/ ١٦- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٦٧ (مطبوع).

اللّه بن عبد الرحمن النفزاوي القيرواني ت(٣٨٦هـ) كتابه: إعجاز القرآن[١]، كما كتب حمد بن محمد الخطابي البستي ت(٣٨٨هـ) كتابه: بيان إعجاز القرآن[٢] وكتب أبو منصور الثعالبي (ت٣٥٥ هـ) الإعجاز والإيجاز[٣].

**ثانياً: المؤلفات الموسوعية:**

لم يظهر خلال هذه الفترة من الموسوعات في علوم القرآن عدا كتاب: «فهم القرآن» للحارث بن أسد المحاسبي ت(٢٤٣هـ)[٤]. واللّه أعلم.

**ثالثاً: مقدمات التفاسير:**

إن المتابع للتأليف في هذه المرحلة يجد عناوين لكثير من التفاسير غير أن الوقوف على أغلب تلك التفاسير أمر متعذر إذ إن معظمها قد فقد ولم تصل إلينا لسبب أو لآخر، ولعل ما وصلنا من هذه التفاسير التي تحمل مقدمات هي:

---

(١) انظر: شذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ١٣١- وبروكلمان: ١/ ٣٠١- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٤٦.

(٢) انظر: إنباه الرواة للقفطي: ١/ ١٢٥- وخزانة الأدب للبغدادي: ١/ ٢٨٢ (مطبوع).

(٣) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، أديب شاعر، له يتيمة الدهر وغيره، توفي (٤٣٠هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٤٣٧- وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ٢٤٦ (مطبوع).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي١٢/ ١١٠ -وحلية الأولياء لأبي نعيم: ١٠/ ٧٣.

١) تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى (٢١١ هـ).

٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ).

٣) تفسير أبي الليث السمرقندي ت(٣٧٣هـ). وهي كلها مطبوعة، وسأتناولها في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

## المرحلة الثانية: من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر:

شهدت هذه المرحلة نهضة علمية كبيرة، واستمر نشاط العلماء وهاجاً كالسابق، وازدهرت حركة التأليف والتصنيف حتى بلغت الذروة، فما تكاد تجد علماً من تلك العلوم إلا وقد طرق العلماء أبوابه، وجالوا النظر في مبناه، حتى أطنبوا في البيان، وكشفوا عن دقائقه، وألفوا فيه المؤلفات التي شهدت لهم برسوخ القدم وعلو الكعب.

وقد تميزت هذه المرحلة بالتالي:

١) تشعب العلوم واتساعها، فقد ظهرت مصنفات كثيرة في فنون علوم القرآن المتنوعة، وارتقت تلك المؤلفات في معالجتها للموضوعات عن المرحلة السابقة وتوسعت، كما توسعت في نظرتها لمادة تلك الموضوعات، حيث نهجت نهج الاستقراء والاستيعاب للأنواع التي ألفت فيها.

٢) التوجه لتحديد كثير من المفاهيم المتعلقة بعلوم القرآن، وتمحيص

الكتابات السابقة، فوضعت الضوابط والقواعد الـتي جعلـت الكتابـة أكـثر موضوعية، والتي ساهمت إلى حد كبير في إسقاط ما كـان حشـواً وفضـولاً من الأقوال والآراء التي وجدت في المراحل المتـأخرة مـن المرحلـة السـابقة، عند بعض المنتسبين للعلم.

٣) ظهور المصنفات الموسوعية الجامعة في علوم القرآن، وكـانت هـي السمة الجديدة في التأليف في هذه المرحلة، وقد كانت في البدايات محـاولات لضم مجموعة من العلوم الهامة والمُشْكلة، والتي كثرت في تفسـيرها الأقـوال وتعددت المذاهب، في مصنـف واحـد، وتضمنـت تلـك المصنفـات علومـاً بعدد، ثم سرعان مـا اتجهـت الهمـم لجمـع كـل العلـوم الـتي تخـدم النـص القرآني، أو تسهل سبل فهمه، بين دفتين، تسـهيلاً لطـالب العلـم، وتنظيمـاً للمعرفة على غرار علوم الحديث. فبلغت على يد العـالم الموسـوعي جـلال الدين السيوطي-رحمه الله -ثمانين نوعاً، على سبيل الإدماج، ولـو نوعـت باعتبار ما أدمجه في ضمنها لزادت على الثلاثمائة[١].

وسار التصنيف الموسوعي إلى جـانب التصنيـف الموضوعـي جنبـاً إلى جنب، فمن العلماء من توجه للكتابة في علوم القرآن كفنٍّ مسـتقل، ومنهـم من كتب في نوع من أنواعه، وفن من فنونه.

ومع اعترافنا بأن غالب الذيـن صنفـوا في هـذا العلـم قـد أجـادوا في

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠.

عرض الموضوعات ومعالجتها -مع تفاوت بينهم في هذه الإجادة- غير أننا نقر ونعترف بالفضل للزركشي صاحب «البرهان» الذي جاء في منتصف هذه المرحلة، والذي تولى ريادة هذا النهج العلمي الدقيق في عرض الموضوعات، الذي سار عليه جلّ من جاء بعده، حتى الحافظ السيوطي صاحب أشهر المصنفات في هذا الفن.

بل نقرّ للزركشي بأن من جاء بعده قد اعتمد على مادة كتابه العلمية، فكان الأساس الذي بنى عليه المتأخرون تآليفهم، حتى الأمثلة التي استشهد بها الزركشي نجدها هي نفسها التي اعتمدها المتأخرون. ولهذا لم يجد السيوطي بداً من الاعتراف للزركشي بهذا الفضل، ولم يزد على أن قال: ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقه أن يُبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد، والقواعد والشوارد ما يشنف الأذان.(١)

ومن أهم المصنفات التي ظهرت في هذه المرحلة:

**أولاً: المؤلفات الموسوعية:**

أ- **التنبيه على فضل علوم القرآن:** للحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب، أبو القاسم النيسابوري ت(٤٠٢هـ).

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١/١٦.

ب- **أنوار الفجر**: لأبي بكر محمد بن عبد اللّه بن محمد المعافري الإشبيلي، المعروف بابن العربي ت(٥٤٣)[1] يقول ابن جزي الكلبي في التسهيل: صنف ابن العربي كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل»[2].

وكتابه قانون التأويل قد ذكر فيه الحروف في أوائل السور، والأمثال في القرآن، والمحكم والمتشابه، والنسخ في القرآن، وغير ذلك، وقد قال مصنفه في مقدمته: مختصر مجموع في علوم القرآن ليكون مفتاحاً للبيان.

جـ- **فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن**: لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ت(٥٩٧هـ).

د- **المجتبى في علوم القرآن: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت(٥٩٧هـ).**

هـ- **مفتاح الباب المقفل لفهم الكتاب المنزل**: لأبي الحسن علي بن

---

(١) قاض من حفاظ الحديث، ولد في أشبيليا، برع في علوم عديدة، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، درس على أبي حامد الغزالي وغيره، وأخذ عنه السهيلي وغيره، مصنفاته كثيرة منها: الناسخ والمنسوخ.

انظر: نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب لابن المقري: ١/ ٣٤٠ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ١/ ٤٨٩ - والعواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب: ٩ وما بعدها.

(٢) انظر: تسهيل السبيل لابن جزي: ١/ ١٧.

إبراهيم الحرالي ت(٦٣٧هـ)[١] قال الداودي: جعله قوانين كقوانين أصول الفقه[٢].

و- **جمال القراء وكمال الإقراء**: لعلم الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن عبد الصمد السخاوي ت(٦٤٣هـ)[٣].

ز- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**: لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ت(٦٦٥هـ)[٤].

ح- **الإكسير في علوم التفسير**: لنجم الدين أبو الربيع سليمان بن

---

(١) فلسفي متصوف، أخذ العربية عن ابن خروف، وجال البلاد، يضرب به المثل في الحلم، قال الذهبي: كان ابن تيمية يحط من كلامه، ويقول: تصوفه على طريقة الفلاسفة. من تآليفه: شرح أسماء الله الحسنى.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٣/ ٤٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٩٢.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٩٢.

(٣) مقرىء مفسر نحوي لغوي، ولد بسخا من مصر، أخذ عن الشاطبي والتاج والكندي وغيرهم وتصدر للتدريس بجامع دمشق، وزاحم عليه الطلبة، له تصانيف كثيرة منها شرح الشاطبية، وسفر السعادة وسفير الإفادة. انظر: غاية النهاية: ١/ ٥٦٨- وبغية الوعاة: ٢/ ١٩٢-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٩.

(٤) إمام حجة، قرأ القراءات على السخاوي، وسمع صحيح البخاري ومسند الشافعي، من مؤلفاته: شرح الشاطبية. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ٢/ ٥٣٧- وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٣٦٥.

عبد القوي ابن عبد الكريم الطوفي الصرصري ت(٧١٦هـ).[١]

**ط- مقدمة في أصول التفسير:** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت(٧٢٨هـ)[٢].

**ي- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان:** لشمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ).[٣]

**ك- البرهان في علوم القرآن:** لبدر الدين محمد بن عبد اللّه الزركشي ت(٧٩٤هـ).

**ل- مواقع العلوم عن مواقع النجوم:** لجلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني ت(٨٢٤هـ).

**م- التيسير في قواعد علم التفسير:** لأبي عبد اللّه محي الدين

---

(١) ولد بقرية طوفا من صرصر، وجالس العلماء، وعاشر فضلاء بغداد وسمع منهم، كما التقى ابن تيمية والمزي وأبي حيان النحوي، وكان شيعياً سيّئ الاعتقاد، أقيمت عليه البينة فعُزر وشُهّر به، من تصانيفه الرياض النواضر في الأشياه والنظائر. انظر: شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٦/ ٤٠.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٦- والبداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ١٦٣.

(٣) أصولي مفسر نحوي، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان ذا تهجد وعبادة، أوذي في سبيل اللّه مرات عديدة، وسجن مع شيخه في سجن القلعة، قيل: ليس تحت أديم السماء أوسع علماً منه. تصانيفه كثيرة منها زاد المعاد في هدي خير العباد. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٩٣- والدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٢١.

الكافيجي ت(٨٧٩هـ).

ن- **التحبير في علوم التفسير**: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت(٩١١هـ).

س- **الإتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ).

**ثانياً: مقدمات التفاسير:**

لقد سن عبد الرزاق الصنعاني، وابن جرير الطبري -رحمهما اللّه- سنة حسنة حين قدما لتفسيريهما مقدمات، وقد تبعهما جل الذين جاؤوا من بعدهما، فحذوا حذوهما وقدموا لتفاسيرهم بمقدمات عن علوم القرآن المتنوعة، ومن أهم تلك التفاسير التي ظهرت في هذه الفترة:

١) مقدمة كتاب (**المباني في نظم المعاني**) لمؤلف مجهول، يعود تاريخ الكتاب إلى عام (٤٢٥ هـ).

٢) مقدمة تفسير (**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**): **لأحمد بن محمد الثعلبي** ت(٤٢٧هـ).[1]

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الملقب بالثعلبي، وقيل الثعالبي، شيخ التفسير، وأحد أوعية العلم، له التفسير الكبير. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٤٣٥- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٦.

٣) مقدمة التفسير (**الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**)، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧هـ)[(١)].

٤) مقدمة تفسير (**التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**)، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي ت(٤٤٠هـ)[(٢)].

٥) مقدمة التفسير (**النكت والعيون في تفسير القرآن**) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت(٤٥٠هـ).

٦) مقدمة تفاسير الواحدي (**البسيط والوسيط الوجيز**) لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري ت(٤٦٨ هـ).

٧) مقدمة تفسير (**معالم التنزيل**) لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت(٥١٦ هـ).

---

(١) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمدالقيسي القيرواني، فقيه مقرئ أديب، من أوعية العلم، صاحب التصانيف الكثيرة في علوم القرآن، منها إعراب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٥٩١- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٣١.

(٢) هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، أستاذ ومقرئ مشهور، له التفسير، والهداية في القراءات السبع. توفي بعد (٣٤٠هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٩٢- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٥٦.

٨) مقدمة تفسير (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**): لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الغرناطي ت(٥٤١ هـ).

٩) مقدمة تفسير: (**زاد المسير في علم التفسير**) لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ت(٥٩٧ هـ).

١٠) مقدمة التفسير الكبير (**مفاتيح الغيب**) لفخر الدين الرازي ت(٦٠٦ هـ).

١١) مقدمة تفسير (**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان**)، لأبي عبد اللّه محمد بن أحمد القرطبي ت(٦٧١ هـ).

١٢) مقدمة تفسير (**لباب التأويل في معاني التنزيل**) لأبي الحسن علي بن محمد الشيحي المعروف بالخازن ت(٧٤١هـ).

١٣) مقدمة تفسير (**البحر المحيط**) لأبي عبد اللّه محمد بن يوسف الغرناطي الشهير بأبي حيان ت(٧٤٥هـ).

١٤) مقدمة تفسير (**القرآن العظيم**)، للحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي ت(٧٧٤هـ).

**ثالثاً: المؤلفات الموضوعية:**

**أ- أسباب النزول:**

١) القصص والأساليب التي نزل من أجلها القرآن: لأبي المطرف

عبد الرحمن ابن عيسى بن أصبع ت(٤٠٢هـ).[(١)]

٢) أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد علي النيسابوري الواحدي ت(٤٦٨هـ).[(٢)]

٣) مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن: زين الدين عبد الرحمن بن علاء الدين علي بن إسحاق التميمي المقدسي الشافعي ت(٨٧٦هـ)[(٣)].

٤) لباب النقول في أسباب النزول: للحافظ عبد الرحمن السيوطي ت(٩١١هـ).

**ب- إعجاز القرآن:**

١) إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت(٤٠٣هـ)[(٤)].

٢) الانتصار لصحة نقل القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت(٤٠٣هـ)[(٥)].

---

(١) انظر: الصلة لابن بشكوال: ٣٠٣- وتاريخ قضاة الأندلس: ٨٧- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٣٣.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٥/ ١٠٤- وإنباه الرواة للقفطي: ٢/ ٢٢٣- طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٩٤- (مطبوع).

(٣) انظر: الضوء اللامع للسخاوي: ٤/ ٩٥- وإيضاح المكنون: ٤/ ٤٥٥- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٣٦.

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٥/ ٣٧٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ١٩٠.

(٥) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٥/ ٣٧٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ١٩٠=

٣) الكلام في وجوه إعجاز القرآن: لمحمد بن عبد السلام العكبري ت(٤١٣هـ)(١).

٤) المغني في إعجاز القرآن: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ت(٤١٥هـ)(٢).

٥) الرسالة الشافية في الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ)(٣).

٦) دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ)(٤).

٧) الجمان في تشبيهات القرآن: لعبد اللّه بن محمد المعروف بابن ناقيا البغدادي ت(٤٨٥هـ)(٥).

٨) أسرار التكرار في القرآن: لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ت(٥٠٥هـ)(٦).

---

=(حقق جزء منه في كلية أصول الدين بالرياض).

(١) انظر: إيضاح المكنون: ٤/ ٣٧٥.

(٢) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، الهمذاني، معتزلي متكلم، من كبار فقهاء الشافعية، له تنزيه القرآن عن المطاعن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٢٤٤- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٦٦.

(٣) انظر: مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ١/ ١٦٥- ومرآة الجنان لليافعي: ٣/ ١٠١.

(٤) انظر: مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ١/ ١٦٥- ومرآة الجنان لليافعي: ٣/ ١٠١.

(٥) هو عبد اللّه بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا، أديب شاعر لغوي، تصانيفه كثيرة حسنة. انظر: لسان الميزان للذهبي: ٣/ ٣٨٤- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٦١.

(٦) هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء، له لباب=

٩) إعجاز القرآن: لمحمد بن باجوك البقالي الخوارزمي ت(٥٦٢هـ)[(١)].

١٠) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ت(٥٦٢هـ)[(٢)].

١١) بديع القرآن: لعبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع ت(٦٥٤هـ) وله التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن[(٣)].

١٢) بديع القرآن: لهبة اللّه بن عبد الرحمن بن البارزي ت(٧٣٨هـ)[(٤)].

---

=التفاسير، وغيرها، توفي في حدود الخمسمائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ٢/ ٢٩١- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣١٢- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٤٣.

(١) هو محمد بن أبي القاسم بن با بجوك البقالي الآدمي، نحوي أديب حجة في لسان العرب، لقب بالآدمي لحفظه كتاب الآدمي في النحو، له تصانيف منها مفتاح التنزيل، تفسير للقرآن. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ١٠٢- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٣١.

(٢) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٤١- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ١٥٠.

(٣) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٣٠- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ١٤٩.

(٤) هو شرف الدين هبة اللّه بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهيني الحموي، المعروف بابن البارزي، قاضي حماة، كان معظماً عند الناس، وجمع فنون عديدة، وصنف كتباً جماً كثيراً. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ١٨٢- وإيضاح المكنون: ١/ ١٨١.

١٣) الطراز في علوم حقائق الإعجاز: عماد الدين يحيى بن حمزة العلوي ت(٧٤٥هـ)[١].

١٤) تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن: لعلي بن أحمد بن علي المهائمي الهندي المعروف بالمجذوم ت(٨٣٥هـ)[٢].

١٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن: للحافظ عبد الرحمن السيوطي ت(٩١٠هـ)[٣].

١٦) بيان أسلوب الحكيم: لأحمد بن سليمان بن كمال باشا ت(٩٤٠هـ)[٤].

### ج- إعراب القرآن:

١) البيان في إعراب القرآن: لأحمد بن محمد المعافري الأندلسي (٤٢٩هـ)[٥].

---

(١) انظر: إيضاح المكنون: ٤/ ٨٢.

(٢) انظر: معجم المطبوعات: ١٧١٧- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ١٥٣.

(٣) انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٦٥.

(٤) هو أحمد بن سليمان الحنفي الشهير بابن كمال باشا، كان جده من أمراء الدولة العثمانية، اجتهد في طلب العلم كبيراً، حتى برع فيه، له رسائل كثيرة بلغت أكثر من مائة رسالة. انظر: شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٨/ ٢٣٨- وإيضاح المكنون: ٣/ ٦٩ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٥١.

(٥) هو: أحمد بن محمد بن عبد اللّه المعافري الأندلسي، إمام حافظ، أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، له الروضة في القراءات. انظر: غاية النهاية لابن الجزري:=

٢) إعراب القرآن: لأبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي ت(٤٣٠هـ)، مستخرج من تفسيره البرهان، استخرجه إسماعيل بن خلف المقري الأنصاري[١].

٣) مشكل إعراب القرآن: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧هـ)[٢].

٤) الملخص في إعراب القرآن: لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ت(٥٠٢هـ)[٣].

٥) البيان في إعراب غريب القرآن: لعبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ت(٥٧٧هـ)[٤].

٦) التبيان في إعراب القرآن: ويسمى (إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن): لأبي البقاء عبد اللّه بن الحسين

---

=١/ ١٢٠- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ١٨١.

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٨٨-ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ١٧٧.

(٢) انظر: مفتاح السعادة: ٢/ ٧٤ - ومعجم الشواخ: ١/ ١٩٢.

(٣) هو يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، علم ثقة في علمه، مخلط في دينه، لم يكن بالصيِّن، له تفسير القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ٢٦٩- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٧٣ -ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ١/ ٢٠٢- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٩٠.

(٤) انظر: هدية العارفين: ١/ ٥١٩- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ١٨١.

العكبري ت(٦١٦هـ)،[١]، وله إعراب القراءات الشواذ[٢].

٧) الفريد في إعراب القرآن المجيد: للمتجب بن أبي العز الهمداني ت(٦٤٣هـ)[٣].

٨) المجيد في إعراب القرآن المجيد: لإبراهيم بن محمد السفاقسي الفقيه المالكي ت(٧٤٢هـ)[٤].

٩) إعراب القرآن: للحسن بن قاسم المرادي المصري ت(٧٤٩هـ)[٥].

١٠) إعراب القرآن الكريم: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي

---

(١) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، مقرئ فقيه مفسر لغوي، له تصانيف كثير جداً منها إعراب الشواذ. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٣٢ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١١٨.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٣٢ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٧٤.

(٣) هو منتجب بن أبي العز بن رشيد الهمداني، شيخ القراء، له شرح الشاطبية. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٣٣ - ونوادر المخطوطات لرمضان ششن: ٢/ ٤٤٥.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي، فقيه مالكي، جمع إعراب القرآن، له المجيد، وغيره.
انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ٥٥- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ١٩٤ (رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر).

(٥) هو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، نحوي لغوي فقيه، له شرح التسهيل، وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٤٢ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٧٨.

ت(٧٤٥هـ)[١].

١١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، المعروف بالسمين ت(٧٥٦هـ)[٢].

١٢) إعراب مواضع من القرآن (المسائل السفرية) لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ)[٣].

١٣) تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن: لعبد الرحمن بن محمد الجزائري المعروف بالثعالبي ت(٨٧٥هـ)[٤].

١٤) ضمائر القرآن: لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ت(٧٨٦هـ)[٥].

---

(١) منه نسخة مخطوطة في جامعة الملك سعود بالرياض برقم: ٤٧٥/ ٢ ف.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٠٢- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٨٥.

(٣) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، جمال الدين النحوي، نحوي مشهور، انفرد بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، قيل: كان أنحى من سيبويه، له قطر الندى وبل الصدى. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٢/٣٠٨- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٧٩.

(٤) انظر: إيضاح المكنون: ٣/ ٢٣٩-ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٨٢.

(٥) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني البغدادي، إمام لغوي، فقيه، محدث، مفسر، صنف في شتى العلوم، منها شرح البخاري. انظر: طبقات المفسرين =

١٥) إعراب القرآن: لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري ت(٩٢٦هـ)[1].

د- أمثال القرآن:

١) أمثال القرآن: لمحمد بن حسين السلمي النيسابوري ت(٤٠٦هـ)[2].

٢) أمثال القرآن: علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت(٤٥٠هـ)[3].

٣) أمثال القرآن: محمد بن علي بن علي أبو طالب بن الخيمي ت(٦٤٢هـ)[4].

---

٢/ ٨٥- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ٨٨.

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الشافعي، حفظ الكتب، وجَدَّ في الطلب حتى فاق الأقران، مصنفاته كثيرة، منها شرح شذور الذهب. انظر: البدر الطالع للشوكاني: ١/ ٢٥٢- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٧٥.

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي، إمام حافظ محدث صوفي، له حقائق التفسير فيه أشياء لا تسوغ أصلاً، عدَّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٢٤٧-و كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ١٢٦٨- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٣/ ١٨٣.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٨- والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠- ومعجم الدراسات القرآنية لابتسام الصفار: ٩٤.

(٤) هو محمد بن علي بن علي بن علي، أبو طالب، مهذب الدين، المعروف بابن الخيمي، إمام لغوي، وعالم أديب شاعر، مصنفاته كثيرة منها حروف القرآن، وأمثال القرآن. انظر:

هـ- غريب القرآن:

١) مشكل غريب القرآن: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧هـ)(١).

٢) مفردات غريب القرآن: لحسين بن علي المعروف بالراغب ت(٥٠٢هـ)(٢).

٣) تذكرة الأريب بما تفسير الغريب: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت(٥٩٧هـ) وله غريب الغريب.

٤) تحفة الأريب بما في القرآن الكريم من الغريب: لأبي حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ)(٣).

٥) بهجة الأريب في غريب القرآن: لابن التركمان علي بن عثمان المارديني أبو الحسن ت(٧٥٠هـ)(٤).

---

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: ١/ ١٨٤ - هدية العارفين= =للبغدادي: ٢/ ١٢١- ومعجم الدراسات القرآنية لابتسام الصفار: ٩٣.

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي: ١٩/ ١٧٠- وإنباه الرواة للقفطي: ٣/ ٣١٧.

(٢) انظر: مرآة الزمان: ٨/ ٤٨٣ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٧١ - وهدية العارفين: ١/ ٥٢١.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٩٠.

(٤) هو: علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، مفسر محدث فقيه صنف وأفتى

٦) تفسير غريب القرآن: لأبي حفص عمر بن أبي الحسين علي بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن الملقن ت(٨٠٤هـ).

و- القراءات القرآنية:

١) المنتهى في القراءات: لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ت(٤٠٨هـ)(١).

٢) الروضة: لأحمد بن محمد العافري الطلمنكي ت(٤٢٩هـ)(٢).

٣) التبصرة في القراءات السبع: لأبي محمد مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ)(٣).

٤) الكشف عن القراءات السبع: لأبي محمد مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ)(٤).

٥) التيسير في القراءات السبع: لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني ت(٤٤٤هـ)(٥).

---

=ودرس،كان لا يمل الكتابة، له شرح الهداية، ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٠-والدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ٨٤

(١) هو محمد بن جعفر بن عبد الكريم الخزاعي الجرجاني إمام مقرئ حاذق، له المنتهى في القراءات جمع فيه مائتين وخمسين رواية. انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤- وغاية النهاية له: ٢/ ١٠٩- وقد حقق الكتاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- رسالة دكتوراه.

(٢) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٧٩-وترتيب المدارك للقاضي عياض: ٤/ ٧٤٩- حقق رسالة ماجستير في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٣) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٣١.

(٤) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٣١.

(٥) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤.

٦) التمهيد لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني ت(٤٤٤هـ)(١).

٧) جامع البيان: لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني ت(٤٤٤هـ)(٢).

٨) الوجيز في القراءات: لأبي علي الحسن بن إبراهيم الأهوازي ت(٤٤٦هـ) وله «الإيجاز» و«الإيضاح» وغيره.(٣) قال ابن الجزري: لم يلحقه أحد في هذا الشأن.

٩) الكامل في القراءات: ليوسف بن علي بن جبارة الهذلي . ت(٤٦٥هـ)(٤).

١٠) التلخيص في القراءات الثمان: لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري القطان ت(٤٧٨هـ)، وله «الرشاد في القراءة الشاذة»، و«سوق العروس»(٥).

---

(١) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٨١.

(٢) انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٤.

(٣) هو الحسن بن إبراهيم بن يزداد المقرئ الأهوازي، شيخ القراء في عصره، محدث من أهل الشام، قيل: ضعيف اتهم في لقي بعض الشيوخ، وقيل: بل ثقة ثقة. انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٥- وغاية النهاية له: ١/ ٢٢٠-وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ٢٧٤.

(٤) هو يوسف بن علي بن جبارة بن المغربي المتكلم النحوي، علم كبير. قال ابن الجزري: لا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته. انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٥- وغاية النهاية له: ٢/ ٣٩٧- وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ٣٢٤.

(٥) هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي الطبري، مقرئ محدث، صاحب=

١١) الجامع الأكبر والبحر الأزخر: لأبي القاسم عيسى بن عبد العزيز الإسكندري ت(٦٢٩هـ)(١).

ز- مبهمات القرآن:

١) التعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام: لعبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي ت(٥٨١هـ)(٢).

٢) التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام: لمحمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني المعروف بابن عسكر ت(٦٣٦هـ)(٣).

---

=التصانيف الكثيرة.

انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٥- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٣٨.

(١) هو عيسى بن عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريشي الإسكندراني المقرئ، أحد الضعفاء المتهمين، رأس في القراءات. انظر: النشر لابن الجزري: ١/ ٣٥- ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ٢/ ٦١٤.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ أبو القاسم السهيلي، عالم بالعربية واللغة والقراءات والتفسير والحديث، حافظ للتاريخ، له الروض الأنف. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧٢، ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٣/ ١١٣.

(٣) هو محمد بن علي بن خضر الغساني، المشتهر بابن عسكر، عالم اعتنى بالرواية على كبر، ملم بالفقه والنحو والشعر. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٣/ ٦٥- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٣/ ١٣- وحقق الكتاب في كلية أصول الدين - بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - رسالة دكتوراة - وتعمل دار الرفاعي للنشر حالياً على=

٣) التبيان لمبهمات القرآن: لابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم ت(٧٣٣هـ).(١) وله: غرر البيان لمبهمات القرآن. وهو مختصر للسابق(٢).

٤) صلة الجمع وعائد التنزيل لموصول كتابي الإعلام والتكميل: جمع بين كتابي السهيلي وابن عسكر: لمحمد بن علي الأوسي المغربي(٣).

٥) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن: لجلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ).(٤)

### ح – المحكم والمتشابه:

١) حل الآيات المتشابهات: لمحمد بن الحسن بن فُورَك ت(٤٠٦هـ).(٥)

---

=طباعته ونشره.

(١) هو محمد بن إبراهيم بن سعد بن سعد الله بن جماعة الشافعي الحموي، مفسر محدث فقيه، وخطيب شاعر، له مشاركات جيدة، مصنفاته عديدة منها كتاب علوم الحديث. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٥٣، وهدية العارفين: ٢/ ٢٤٨، ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٣/ ٢٢٢.

(٢) وقال فضيلة الشيخ مناع القطان: حُقّق ولمّا يطبع.

(٣) انظر معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ١٩٠.

(٤) انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٣/ ١٥٧.

(٥) هو محمد بن الحسن بن فورك الأصفهاني، متكلم أصولي نحوي، له ما يقرب من مائة مصنّف. انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٤/ ٢٤٠ – وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٣٢ – ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ٤٧ و٤/ ١٩٩ – وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ١/ ١٧٥.

٢) المتشابهات في القرآن: للشريف الرضي محمد بن الحسين ت(٤٠٦هـ).[١]

٣) متشابه القرآن: لعبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسرابادي ت(٤١٥).

٤) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: لمحمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي ت(٤٣١ هـ).[٢]

٥) مشكل القرآن: لمحمد بن أحمد بن مطرف الكناني أبو عبدالله ت(٥٤٥).

٦) البرهان في مشكلات القرآن: لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي المعروف بشيذلة ت(٤٩٤هـ).[٣]

٧) حل متشابهات القرآن: للراغب الأصفهاني الحسين بن

---

(١) انظر: إيضاح المكنون: ٤/ ٤٢٦ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ٢٠٤.

(٢) هو محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله. أديب عالم باللغة، صاحب تصانيف، له شواهد سيبويه. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ١/ ١٤٩ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ٢٠٠.

(٣) هو عزيز بن عبد الملك بن منصور الجيلي، المعروف بشيذلة، فقيه شافعي أصولي، كان يناظر بمذهب الأشعري، له مصنفات عديدة، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٢٥٩ -وشذرات الذهب لابن عماد: ٣/ ٤٠١ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٤١ - ومعجم مصنفات القرآن للشراخ: ٤/ ١٩٦.

محمد ت (٥٠٢هـ).[١]

٨) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: لبرهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المقري ت(٥٠٥هـ).[٢]

٩) تأويل متشابهات القرآن: لمحمد بن علي بن شهراسُوب ت(٥٨٨ هـ).[٣]

١٠) تذكرة المنتبه في عيون المشتبه: لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت(٥٩٧هـ).[٤]

١١) الآيات المتشابهات: لأحمد بن يزيد بن بقي بن مخلد ت (٦٢٥ هـ).[٥]

---

(١) انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ ٤/ ١٩٩.

(٢) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٤١ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ١٩٥ وقد حقق الكتاب فضيلة الدكتور ناصر بن سليمان العمر، يحفظه الله.

(٣) هو محمد بن علي بن شهراسوب السروري، أحد شيوخ الشيعة، وفقيه مذهبهم، اجتهد في التفسير والفقه والنحو والقراءات، هو عند الشيعة كالخطيب البغدادي عند أهل السنة، انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٠١ ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ١٩٦.

(٤) انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ ٤/ ٢٠٥.

(٥) هو أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن شيخ الأندلس بقي بن مخلد، محدث مسْنِد، ونحوي أديب من رجالات الأندلس الظاهرين، اشتغل بالقضاء ثم بالتدريس. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٢/ ٢٧٤ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ١٩٤.

١٢) بيان مشتبه القرآن: لعيسى بن عبد العزيز اللخمي الإسكندري ت(٦٢٩هـ).[(١)]

١٣) ري الظمآن في متشابه القرآن: لأبي محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأندلسي ت(٦٣٤هـ).[(٢)]

١٤) ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل: لابن الزبير الغرناطي أحمد بن إبراهيم. ت(٧٠٨هـ).[(٣)]

١٥) رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات: محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردي المعروف بابن اللبان.ت(٧٤٩ هـ).[(٤)]

### ط – مناسبات القرآن:

---

(١) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٦٠٩ – ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ١٩٦.

(٢) انظر: ايضاح المكنون: ٣/ ٦٠٤ – ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٠٠.

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد الغرناطي، مفسر محدث، ونحوي مقرئ، له اهتمام بالتاريخ، تصانيفه كثيرة منها تعليق على كتاب سيبويه. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧ – وشذرات الذهب لابن عماد: ٦/ ١٦ – وعلوم القرآن للأستاذ عدنان زرزور: ١٧٢.

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردي المعروف بابن اللبان مفسر محدث، فقيه أديب شاعر، جمع بين العلم والعمل، تصانيفه مفيدة، متشابه القرآن والحديث. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ٧٣ – وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٨٠ – ومعجم المطبوعات: ٢٢٩ – ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٠٠.

١) نظم السور: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ت(٤٤٩هـ).[١]

٢) البرهان في ترتيب سور القرآن: لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ت(٧٠٨هـ)[٢].

٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ت(٨٨٥ هـ)[٣]. وله دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم[٤].

٤) تناسق الدرر في تناسب السور: لجلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)[٥].

٥) ربط السور والآيات: لمحمد بن مبارك المعروف بحكيم شاه

---

(١) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٩٦٣ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ٧١.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧ - وشذرات الذهب لابن عماد: ٦/ ١٦ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٤١ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ٣٤.

(٣) هو ابراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن أبي بكر البقاعي، درس على أكابر عصره، ففاق الأقران، وبرع في شتى الفنون، نال منه ثلة من علماء عصره وتعرضوا له إلى حد التكفير. انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٧/ ٣٤٠ - والبدر الطالع للشوكاني: ١/ ١٩ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ٧١.

(٤) انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٧/ ٣٣٩ - وإيضاح المكنون: ٣/ ٤٧٥.

(٥) انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ٤٢.

القزويني ت(٩٢٠هـ)[١].

٦) نظم سور القرآن: لعبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد المكناسي ت(٩٦٤هـ)[٢].

### ي- الناسخ والمنسوخ:

١) الناسخ والمنسوخ: لعبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ت(٤٠٢هـ).[٣]

٢) الناسخ والمنسوخ من القرآن العظيم: لأبي القاسم هبة اللّه بن عبد السلام البغدادي المفسر الضرير ت (٤١٠هـ).[٤]

---

(١) هو محمد بن مبارك شاه بن محمد الهروي الرومي الحنفي، حكيم شاه القزويني، باحث كتب في التفسير والشعر والحكمة، له شرح حكمة العين للقزويني. انظر: هدية العارفين: ٢/ ٢٢٩ - والأعلام للزركلي: ٧/ ١٧ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ٥١.

(٢) هو عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربي المكناسي، عالم أديب مقريء، صاحب عدة منظومات في علوم شتى، انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٨/ ٣٤٢ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ١/ ٧٢ - وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢/ ٥١٧.

(٣) انظر: تاريخ قضاة الأندلس: ٨٧ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٢.

(٤) هو هبة اللّه بن سلامة بن نصر الضرير المقرئ، مفسر نحوي، قيل: كان من أحفظ الناس للتفسير والنحو، له التفسير وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٤٨ - وكشف الظنون: ٢/ ١٩٢١ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٣٤.

٣) الناسخ والمنسوخ: لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر الإسفراييني ت (٤٢٩هـ).[(١)]

٤) الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧هـ).

٥) الناسخ والمنسوخ: لأبي محمد علي بن حزم الظاهري ت(٤٥٦هـ).[(٢)]

٦) الناسخ والمنسوخ: لأبي الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي ت(٤٧٤هـ).[(٣)]

٧) الإيجاز في الناسخ والمنسوخ: محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيدي المصري ت(٥٢٠هـ).[(٤)]

---

(١) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، أبو منصور البغدادي، عالم عظيم القدر، فقيه أصولي نحوي متكلم، قيل: كان يُدرِّس في سبعة عشر فناً، من تصانيفه التفسير، وفضائح المعتزلة. انظر: إنباه الرواة للقفطي: ٢/ ١٨٥ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٣٢ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٢.

(٢) انظر: نفح الطيب: ١/ ٣٦٤ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٣ -.

(٣) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي التجيبي، مفسر أديب، وأصولي متكلم، تصانيفه كثيرة جداً منها المعاني في شرح الموطأ. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٠٨ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٣.

(٤) هو محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيدي، أديب نحوي لغوي، شيخ العربية واللغة في مصر في عصره. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ٤٥٥ - وشذرات الذهب لابن عماد: ٤/ ٦٢ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٢٧.

٨) ناسخ القرآن ومنسوخه: لأبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري الإشبيلي ت(٥٤٣هـ).[١]

٩) الموجز في الناسخ والمنسوخ: لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي ت(٥٥٠هـ).[٢]

١٠) رسوخ الأخبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار: لابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت(٥٩٧هـ).[٣]

١١) الناسخ والمنسوخ: لعلي بن محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي المعروف بابن الحصار ت(٦١١هـ).[٤]

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ١٩ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٦ - والكتاب مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية باسم: الناسخ والمنسوخ

(٢) هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، الملقب بيان الحق، فقيه مفسر لغوي بارع، له إيجاز البيان في معاني القرآن، والموجز في الناسخ والمنسوخ، [وهو مخطوط في جامعة الإمام برقم ٣٨٨٣ف]. انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٩/ ١٢٤ - وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣١١-.

(٣) انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ٢٣٠ - ومرآة الزمان لليافعي: ٨/ ٤٨١ - والكتاب مطبوع باسم نواسخ القرآن ١٤٠٥ وباسم: أخبار الرسوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ عام ١٣٢٢ - وباسم: المصفّى بأكفّ أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ تحقيق الأستاذ صالح الضامن.

(٤) هو علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن المعروف بابن=

١٢) الطود الراسخ في الناسخ والمنسوخ: لعلم الدين السخاوي علي ابن محمد بن عبد الصمد ت(٦٤٣هـ).[(١)]

١٣) رسوخ الأخبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل أبو إسحاق الشافعي ت(٧٣٢هـ).

١٤) الناسخ والمنسوخ: لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الإسفراييني العامري.[(٢)]

---

=الحصّار، فقيه فاضل صاحب تصانيف جيدة، له الناسخ والمنسوخ سمعه منه الحافظ المنذري، وله غير ذلك. انظر: التكملة لوفيات النقلة للمنذري: ٢/ ٣٠٩ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٣.

(١) هو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد. علم الدين أبو الحسن السخاوي، مفسر نحوي، شيخ القراء بدمشق في زمانه، له جمال القراء وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٩ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١١١٨ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٣١.

(٢) مطبوع ملحق بلباب النقول للسيوطي. [قال فضيلة الشيخ مناع: لم نجد فيما اطلعنا عليه من كتب التراجم شخصاً بهذا الاسم.]. والمخطوط موجود في جامعة الإمام برقم١٨٦٠. قلت: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الإسفراييني، أورده الشواخ في معجمه، وذكر أن له: الناسخ والمنسوخ، مخطوط بمكتبة الحرمين بمكة المحروسة برقم (١٥) تفسير دهلوي - معجم الشواخ: ٤/ ٢٤٦. وقد وقفت أخيراً في معجم الدراسات القرآنية للصفار، أن كتاب الإسفراييني هذا، حقق في جامعة الملك سعود بالرياض، رسالة ماجستير للباحث صالح بن عبد الله الحميد. معجم الدراسات القرآنية: ١/ ٦٣١.

١٥) ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه: لشرف الدين هبة اللّه بن عبد الرحيم بن إبراهيم ابن البارزي ت(٧٣٨هـ).(١)

١٦) ناسخ القرآن ومنسوخه: يحيى بن عبد اللّه الواسطي الشافعي ت(٧٣٨هـ).(٢)

١٧) عقود القيان في الناسخ والمنسوخ في القرآن: محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى ت(٧٢٨هـ).(٣)

---

(١) هو هبة اللّه بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن هبة اللّه الجهني الحموي، المعروف بابن البارزي ، قاض راسخ في العلم، انتهت إليه مشيخة الشافعية ببلاد الشام، تصانيفه كثيرة، منها روضات الجنان في تفسير القرآن. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٥٠ - والبدر الطالع للشوكاني: ٢/ ٣٢٤ - (مطبوع).

(٢) هو يحيى بن عبد اللّه بن عبد الملك الواسطي ، فقيه بارز، قيل عنه: فقيه العراق في زمانه، له مؤلفات نافعة.

انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٤١٩ - وإيضاح المكنون: ٤/ ٦١٥ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٤.

(٣) هو محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى ، إمام زيدي بويع بالخلافة عند موت والده، له تصانيف تدل على علم واسع، منها السراج الوهاج في حصر مسائل المنهاج. انظر: البدر الطالع للشوكاني: ٢/ ٢٧١ - وإيضاح المكنون: ٤/ ١١٤ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ٢٣١.

١٨) الناسخ والمنسوخ: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ).(١)

١٩) ناسخ القرآن ومنسوخه: لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الأبشيطي ت(٨٨٣هـ).(٢)

٢٠) الآيات التي فيها الناسخ والمنسوخ: لإبراهيم بن محمد المعروف بابن أبي شريف المقدسي ت(٩٢٣هـ).(٣)

### ك - الوجوه والأشباه والنظائر:

١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ت(٤٢٩هـ).(٤)

٢) وجوه القرآن: لإسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري الضرير

---

(١) انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٤٦.

(٢) هو أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة، الشهاب الأبشيطي، عالم برع في الفقه وأصوله والعربية والفرائض وغيرها، وتصدى للإقراء مدة، له تصانيف منها شرح الرحبية. انظر: البدر الطالع للشوكاني: ١/ ٣٧ - وإيضاح المكنون: ٤/ ٦١٥ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ٢٤٤.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن أبي شريف المقدسي، إمام محقق مدقق، ذو ذكاء مفرط، طار صيته وصار المعول عليه في الفتوى في مصر، انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٨/ ١١٨ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٣٣.

(٤) انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٣/ ٢٤٦ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٥٥.

ت(٤٣٠هـ).[١]

٣) الوجوه والنظائر: للحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي: ت(٤٧١هـ).[٢]

٤) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. للحسين بن محمد الدامغاني ت(٤٧٨هـ).[٣]

٥) الوجوه والنظائر: لعلي بن عبيد اللّه الزاغوني الحنبلي: ت(٥٢٧هـ).[٤]

---

(١) هو إسماعيل بن أحمد بن عبداللّه أبو عبد الرحمن الحيري النيسابوري، مفسر مقرئ ضرير، محدث، رحل لطلب الحديث كثيراً، له تفسير مشهور. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٠٦ - وشذرات الذهب لابن عماد: ٣/ ٣٣٨ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٦٣.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبداللّه بن البناء البغدادي، مقرئ محدث فقيه واعظ، عُرفَ بصفاء الذهن وجودة القريحة، ودلت تصانيفه على علومه وفنونه، قيل: صنَّف خمسمائة مصنف. منها شرح على الخرقي في الفقه. انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح: ١/ ٣٠٩ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ٢٠٠١ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٦٢.

(٣) هو الحسين بن محمد بن إبراهيم الدامغاني أبو عبداللّه، فقيه حنفي، له سوق العروس وأنيس النفوس. انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٠٦٧ - وإيضاح المكنون: ١/ ٦١٥ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٥٦.

(٤) هو علي بن عبداللّه بن نصر بن السري الزاغوني البغدادي، فقيه محدث واعظ، من أعيان الحنابلة، تفنن في الأصول والفروع وصنَّف الكثير، له الإقناع وغيره. انظر:=

٦) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لعبد الرحيم بن الجوزي ت(٥٧٩هـ).[١]

٧) الذخائر في الأشباه والنظائر: لعبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الداري ت(٨٧٦ هـ).[٢]

٨) كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: لمحمد بن محمد بن علي البلبيسي المعروف بابن العماد ت(٨٨٧هـ).[٣]

٩) معترك الأقران في مشترك القرآن: لجلال الدين السيوطي ت (٩١١هـ).[٤]

---

=المقصد الأرشد لابن مفلح: ١/ ٢٣٢ - وشذرات الذهب لابن عماد: ٤/ ٨٠ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ٢٠٠١.

(١) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ٢٠٠١ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٦٠.

(٢) انظر الضوء اللامع للسخاوي: ٤/ ٩٥ - وهدية العارفين: ١/ ٥٣٣ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٥٨.

(٣) هو محمد بن محمد بن علي البلبيسي المعروف بابن العماد، فقيه شافعي، عمل ناسخاً. انظر: الضوء اللامع للسخاوي: ٩/ ١٦٢ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٥٨، وكتابه كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، مخطوط في خزانة السيد حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي بتونس، بخط المؤلف. الأعلام للزركلي: ٧/ ٥٠.

(٤) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١٧٣٢ - ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: ٤/ ٢٦٠.

## المرحلة الثالثة: من بداية القرن العاشر إلى العصر الحديث:

وبعد هذه الجهود المباركة جاءت على المسلمين فترة ضعفٍ خفت فيها تلك الجذوة الوهاجة التي شهدتها القرون السابقة، فضعف التأليف في العلوم عامة، وفي علوم القرآن خاصة، ولم يظهر في العالم الإسلامي الواسع من المصنفات إلا اليسير النادر بين الفينة والفينة، يعتمد مؤلفوها على جهود سابقيهم ومصنفاتهم، فغلب على مؤلفاتهم النادرة صبغة الاختصار حيناً، والشرح والتبيسط حيناً آخر، وقد دامت مدة الفتور هذه أكثر من ثلاثة قرون،ولعل أسباسبه تعود إلى ما تعرض له العالم الإسلامي من كيد الإعداء، والضربات الموجعة التي تلقاها في مواطن عديدة من دياره، كان أقواها تلك الحملة الصليبية الشرسة التي نكبت بديار الأندلس في المغرب العربي، والأندلس كما هو معروف مركز من مراكز الإشعاع الحضاري والعلمي الذي مد العالم الإسلامي خلال القرون الماضية بنخبة من المفسرين الذين لا يشق لهم غبار، بل يستطيع المرء أن يقرر هنا أن التفسير وعلوم القرآن نضجا واستويا على سوقهما بالصورة المشرقة التي نراها من خلال جهود المفسرين من الديار المغربية وعلمائها، وخاصة أهل الأندلس، غير أن الهجمة التي تعرض إليها أرض العلم ومأوى العلماء في الأندلس، والاحتلال الذي اغتصب أرض الخير هناك، جعل العلماء الذين هم القادة ينصرفون عن التعليم ليحملوا السلاح، وليدافعوا عن ديار الإسلام لتطهير الأراضي كما كانوا يفعلون لتطهير القلوب، وحين سألت المؤرخ الإسلامي الأستاذ القدير/ محمود شاكر عن سبب فتور العلم في هذه المرحلة، وعدم

ظهور المصنفات، لم يتردد يحفظه اللّه في عزو ذلك إلى انشغال العلماء بالجهاد حيث قال: حين سقطت الأندلس عام ٨٩٧هـ، وبدأت سيطرة النصارى، توجه العلماء وطلبة العلم والخيرون إلى المقاومة، وكان العلماء هم الذين يقودون المقاومة. وقد دامت هذه الفترة العصيبة مدة طويلة. قال: ولهذا نجد حقد الصليبية على العلماء وعلى فكرهم إلى يومنا هذا.

وأضاف يقول: وهذه الظاهرة لم تقتصر على العلوم الدينية بل شملت العلوم التجريبية؛ وتابع قوله: وبعد سقوط الخلافة الإسلامية، انحصر كل مصر من أمصار المسلمين بنفسه، واستقل بذاته، وفصلت الديار الإسلامية. وحين رأى الخيرون من أبناء المسلمين أنهم أصبحوا في عزلة من إخوانهم اتجهوا مرة أخرى إلى الاهتمام بالعلم، فعقدت الحلقات العلمية في المساجد، ودفع الناس أبناءهم إليها، وتزاحم الطلبة على أبواب من بقي من أهل العلم، ينهلون المعارف، حتى شهد العالم الإسلامي بفضل اللّه نهضة مباركة شملت كثيراً من ميادين الحياة، فكانت المرحلة الثالثة في العصر الحديث.

هذا وقد وُجِدَتْ مجموعة مؤلفات هنا وهناك من ديار الإسلام بين الحين والآخر، ومن ذلك:

١) قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن: لمرعي بن يوسف

الكرمي ت(١٠٣٣هـ) وقد طبع.(١)

٢) تحفة الفقير ببعض علوم التفسير: لشمس الدين أبو عبدالله محمد ابن سلامة الإسكندري المالكي ت(١١٤٩هـ) وقد طبع.(٢)

٣) الزيادة والإحسان في علوم القرآن: لابن عقيلة محمد بن أحمد الحنفي المكي ت(١١٥٠هـ).(٣)

٤) الفوز الكبير في أصول التفسير: لولي الله الدهلوي ت(١١٧٦هـ).

٥) إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابهة وتجويد القرآن: لعطية الله بن عطية البرهان الأجهوري ت(١١٩٠هـ).(٤)

---

(١) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، فقيه مؤرخ أديب، له نحو من سبعين مؤلفاً، منها دليل الطالبين في الفقه. انظر: خلاصة الأثر للمحبي: ٤/ ٣٥٨ - وإيضاح المكنون: ٤/ ٢٣٩ - والأعلام للزركلي: ٧/ ٢٠٣ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ٤/ ٢٣٢.

(٢) هو محمد بن سلامة بن إبراهيم بن خليل الضرير الإسكندري المصري، مفسر شاعر، له تفسير القرآن. توفي بمكة. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي: ٤/ ١٢٣.

(٣) حقق الزيادة والإحسان في كلية أصول الدين ونال به خمسة من الباحثين درجة الماجستير في القرآن - قسم القرآن وعلومه، وكنت واحداً منهم فلله الحمد والمنة... انظر ترجمته: سلك الدرر للمرادي: ٤/ ٣٠ - والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة / تحقيق محمد صفاء حقي، قسم الدراسة: ١/ ١٧ - ٤٥.

(٤) هو عطية الله بن عطية البرهان الشافعي مفسر فقيه تصدر للتدريس في جامع الأزهر=

٦) لب التفاسير في معرفة أسباب النزول والتفسير: لمحمد بن عبدالله القاضي الرومي ت(١١٩٥هـ)(١)

٧) عجيب البيان في علوم القرآن: للشيخ عبد الباسط بن رستم علي بن علي أصغر القنوجي ت(١٢٢٣هـ).(٢)

٨) جواهر القرآن في التجويد: محمود بن محمد بن مهدي العلوي التبريزي ت (١٢٨٧هـ).

وكان الغالب على تلك المؤلفات سمة النقل والانتخاب، يتخللها أحياناً تعليقات وإضافات هي الأخرى مختارة ومنتقاة من علوم الأولين، ويستطيع المرء أن يؤكد هنا فقدان هذه الفترة لعنصر التجديد والابتكار.

في عصرنا الحديث نهضت جملة من العلوم، وشهدت الساحة العلمية تنافساً قوياً في شتى ميادين المعرفة، وقد كان للعلوم الإسلامية عامة وعلوم القرآن بصورة خاصة حظ وافر، ونصيب كبير من ذلك الاهتمام، فظهرت المؤلفات التي تخصصت بالدراسات القرآنية، وأعاد ثلة من العلماء النظر في

---

=له عدة مصنفات منها حاشية على تفسير الجلالين. انظر: سلك الدرر للمرادي: ٣/ ٢٦٥ - وإيضاح مكنون: ١/ ٦٠ - وقد حقق في الجامعة الزيتونية بتونس.

(١) انظر: إيضاح المكنون ٤/ ٤٠٠ - ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: ١/ ١٣٥.

(٢) هو عبد الباسط بن رستم علي بن علي أصغر القنوجي، هندي مستعرب، عالم بالفرائض، له عجيب البيان في أسرار القرآن. انظر: الأعلام للزركلي: ٣/ ٢٧١.

ذلك التراث الضخم الذي بقي مخطوطـاً والـذي أثقلـت رفـوف المكتبـات العامة والخاصة من حمله، فأخرجته أيدي المحققين، بعد أن نفضت عنه تراب السنين، وعكف الباحثون على تحقيقه وإخراجه بصورة مرضية، وفق أسس منهجية علمية، يعيدون النظر في المواضع التي تحتـاج منهـم إلى إعـادة نظـر، فقوّموا النص، وأخرجوه على أفضـل صـورة بعـد أن وقفـوا علـى النسـخ المتعددة وقابلوا بينها، ولم يـألُ أولئـك جهـداً في إثبـات التعليقـات المفيـدة، والإضافات النافعة، وشرح الغامض من الألفاظ والعبارات، وخاصة تلـك التي أصبحت غريبة على جيـل العصـر، فذيلَـت الأصـول بحـواش قربـت البعيد، ويسَّرت الصعيب، وأصبح في إمكـان طـالب العلـم فهـم نصـوص السلف على مرادهم بيسر وسهولة.

واتجه فريق آخر من أهل العلم إلى الكتابة ابتداءً، ورأى أن لكل جيـل مفهومه وقدراته وحاجاته، وأن من حق أبنـاء العصـر أن يقـدم لهـم العلـم بالطريقة التي يفهمونها، وبالأسلوب الذي يرتاحون له، فظهرت المصنفـات التي بدت عليها هذه السمات، مـع التحقيـق والتمحيـص بـين المنقـولات، ويمثل كتاب الأستاذ الدكتور مصطفى زيد «النسخ في القرآن الكريم» واحداً من هذه المصنفات التي عالجت موضوعاً قرآنياً بنظرة حديثـة، وكـذا كتـاب الأستاذ غانم قدوري الذي أسماه: رسم المصحف، دراسة لغوية وتقويمية.

كما كان للاستحداث الـذي حـدث لأسـلوب التعليـم في الجامعـات والأكاديميات العلمية، أثر عظيم في نوعية التآليف التي ظهرت.

ولأن العصر الحديث قد أفرز على السطح علوماً تجريبية علمية، ووُضِعَتْ النظريات العلمية الحديثة والتي على ضوئها شهدت الساحة هذا التفوق الحضاري في الميادين التجريبية، وكانت الحاجة لتفسير نصوص الشرع التي فيها إشارات قريبة كانت أم بعيدة تفسيراً علمياً يواكب التقدم ضرورة ملحة، فظهرت المؤلفات التي حاول مؤلفوها مواكبة هذا التطور، وظهر ما يسمى بالتفسير العلمي، فكان فناً من فنون علوم القرآن، وظهر التفسير الموضوعي الذي عالج موضوعاً معيناً من خلال القرآن كله، أو من خلال سورة منه، أو بتتبع لفظة من كتاب اللّه، وزاد الاهتمام بإظهار جوانب الإعجاز العلمي في القرآن، وظهرت المؤلفات في الإعجاز الطبي والكوني... وغير ذلك، والمؤلفات في ذلك كثيرة لعلنا نشير إلى بعضها في ختام هذا المبحث.

كما دعت الحاجة حين أصبح التواصل بين شعوب العالم يسيراً، إلى تقديم ترجمات ميسرة من معاني كتاب اللّه إلى تلك الشعوب، فأصبح البحث الدقيق في مسألة ترجمة معاني القرآن إلى تلك اللغات العالمية، أمراً في غاية الضرورة. وقل مثل هذا في عدد من العلوم التي دعت حاجة العصر إلى نشوئها أو التعمق فيها.

أريد أن أؤكد هنا أن العصر الحالي قد أوجد مجموعة من العلوم لم تكن موضع اهتمام العلماء السابقين لكونها لم تكن موجودة، أو لأنها لم تتضح لهم بمثل ما اتضح للجيل الذي عاصر التقدم العلمي في المجالات

التجريبية.

وعلى العموم يستطيع المرء أن يؤكد أن التـأليف في علـوم القـرآن في العصر الحديث قد اتصف بالآتي:

١) عـدم التجديـد غالبـاً، والاعتمـاد الكبـير علـى علـوم الأقدمـين وكتاباتهم.

٢) سهولة العبارة، وعدم التعمق، في الغالب أيضاً.

٣) التكرار، وعدم التوثيق.

٤) التركيز على بعض العلوم دون بعض.

٥) جودة التبويب، وحسن العرض والترتيب.

٦) ظهور فنون جديدة لم تكن عند الأقدمين، أو لم تكن موضع عنايتهم.

ومن أهم المؤلفات التي ظهرت في العصر الحديث وهي كثيرة أذكر منها:

**أولاً: المؤلفات الموسوعية:**

يغلب على المؤلفـات الموسـوعية في عصرنـا الحـالي سمـة الانتخـاب والاختصار، وقد اعتمد المؤلفون في كتاباتهم على كتابي الإتقان للسيوطي، والبرهان للزركشي، وكان السيوطي هو الأكثر اعتماداً.

وتفاوتت نظرة المؤلفين إلى الفنون التي اختاروها لدراستها، فربما كـان

الاختيار خاضعاً لأنظمة الجامعات التي تقرر بعض الموضوعات على طلبتها كمقررات دراسية، كما تفاوتت معالجتهم لتلك الفنون، إذ غالب المؤلفات الموسوعية في هذا العصر هي في الأصل محاضرات ألقيت على الطلبة، ثم جمعها كاتبها ونشرها كتاباً مستقلاً، سواء أدخلت عليها التعديلات التي ترتقي بها إلى مستوى إخراجها كتاباً مستقلاً، أم لم تُدخَل.

وأود أن أُشيد هنا ببعض تلك البحوث والكتابات التي كانت جادة في معالجتها، قوية في مضامينها، رائدة في بابها، حملت لطلبة العلم نظرات علمية فاحصة، يشهد المرء لكاتبها بعمق التفكير، وسلامة الاختيار، وقوة الدليل وصحته، فيسلِّم لكثير من ترجيحاتهم، وتهدأ النفس لأدلتهم وطريقة معالجتهم، ولهذا ذاع صيتها وانتشرت بين طلبة العلم حتى صنفت في مستوى أمهات المؤلفات. وخير مثال نقدمه هنا هو كتاب «مناهل العرفان» للأستاذ عبد العظيم الزرقاني رحمه اللّه وكتاب «التفسير والمفسرون» للأستاذ محمد حسين الذهبي رحمه اللّه و«مباحث في علوم القرآن» للشيخ مناع القطان، ولصبحي الصالح، و«علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه» للأستاذ عدنان زرزور، و«مدخل إلى علوم القرآن والتفسير» للدكتور فاروق حمادة، وغيرها.

**ومن أهم المؤلفات الموسوعية التي ظهرت في هذه المرحلة:**

١) الإيجاز والبيان في علوم القرآن: محمد صادق قمحاوي.

٢)تاريخ القرآن: د/ عدنان زرزور.

٣)البيان في علوم القرآن: محمد حسنين مخلوف العدوي.

٤)البيان في مباحث من علوم القرآن: الشيخ عبد الوهاب غزلان.

٥)التبيان في علوم القرآن: د/ القصيبي محمود زلط.

٦)التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان: الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي ت(١٣٣٨هـ).

٧)دراسات في أصول القرآن: د/ محسن عبد الحميد.

٨) دراسات في التفسير ورجاله: أبو اليقظان عطية الجبوري.

٩) دراسات في علوم القرآن: د/ أمير عبد العزيز.

١٠) دراسات في علوم القرآن: د/ عبد القهار داود العاني.

١١) دراسات في علوم القرآن الكريم: د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

١٢) دراسات في علوم القرآن: د/ محمد أمين فرشوخ.

١٣) دراسات في علوم القرآن: د/ محمد بكر إسماعيل.

١٤) علوم القرآن: د/ أحمد عادل كمال.

١٥) علوم القرآن: د/ عبد المنعم النمر.

١٦) علوم القرآن: د/ عزت حسين.

١٧) علوم القرآن: د/ محمد الكومي، ود/ محمد القاسم.

١٨) علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: د/ عدنان زرزور.

١٩) علوم القرآن المنتقى: د/ فرج توفيق الوليد ود/ فاضل شاكر النعيمي.

٢٠)علوم القرآن والحديث: الشيخ أحمد محمد علي داود.

٢١)في علوم القرآن: كفافي الشريف.

٢٢)القرآن المجيد، تنزيله، أسلوبه، أثره، جمعه: محمد عزة دروزة.

٢٣)القرآن الكريم، تاريخه وآدابه: إبراهيم علي عمر.

٢٤)لمحات في علوم القرآن واتجاهات المفسرين: د/ محمد لطفي الصباغ.

٢٥)مباحث في علوم القرآن: د/ صبحي الصالح.

٢٦)مباحث في علوم القرآن: فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان.

٢٧)المعجزة الكبرى القرآن (نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره حكم الغناء به): محمد أبو زهرة.

٢٨)مدخل إلى علوم القرآن والتفسير: د/ فاروق حمادة.

٢٩)المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد محمد أبو شهبة.

٣٠)المرشد الوافي في علوم القرآن: د/ محمود بسيوني فودة.

٣١)المنار في علوم القرآن: د/ محمد علي الحسن.

٣٢)مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد بن عبد العظيم الزرقاني ت(١٣٦٧هـ).

٣٣)من علوم القرآن: د/ عبد الفتاح القاضي.

٣٤)من علوم القرآن: د/ فؤاد علي رضا.

٣٥)منهج الفرقان في علوم القرآن: محمد بن علي سلامة ت(١٣٦٢هـ).

٣٦)يتيمية البيان في شيء من علوم القرآن: محمد يوسف البنوري.

**ثانياً: المؤلفات الموضوعية:**

فرق بين المؤلفات الموضوعية عند الأقدمين عنه عند المتأخرين، فالأقدمون كان اهتمامهم منصب إلى الموضوعات التي تخدم كتاب اللّه، وتيسر سبل فهمه، وتلك التي تهتم بتاريخ القرآن، فكانت ألصق بمصطلح علوم القرآن الذي أطلقناه من قبل بمفهومه الخاص، بخلاف المتأخرين الذين وجهوا اهتمامهم إلى الموضوعات والدراسات القرآنية التي تتعلق بالنص القرآني، فقد لقيت هذه الموضوعات منهم عناية خاصة في هذه المرحلة، وكان حظها من التأليف أفضل من غيرها، ولعل سبب ذلك يعود إلى ما

ذكرنا من قبل من توجه المتأخرين إلى البحوث التخصصية الدقيقة التي تفي بحاجة العصر، فتوضح المُشكِل، وتقرب البعيد، ولعل آخر هذه البحوث التي وقعت في يدي ما كتبه الدكتور الفاضل عبد العزيز القارىء حول «حديث الأحرف السبعة»، وما كتبه أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع عن «أسباب اختلاف المفسرين»، وما كتبه الشيخ مساعد بن سليمان الطيار بعنوان «فصول في أصول التفسير».

إضافة إلى أن الجامعات ودور العلم في الفترة الأخيرة من العصر الحديث يسرت الدراسة في أقسام الدراسات العليا بكلياتها أكثر من ذي قبل، والتحق طلبة العلم بالتخصصات الدقيقة في علوم القرآن والتفسير، وقُدمت البحوث التخصصية التي هي من متطلبات الحصول على الدرجات العلمية، تحت إشراف نخبة من أهل العلم، فظهرت بحوث قيّمة هنا وهناك، وظهر ثلة من الباحثين المتخصصين الذين قدموا بحوثاً جليلةغيرت كثيراً من المفاهيم السائدة والخاطئة، واشتهرت تلك الرسائل حتى أخذت مكانها بين أمهات الكتب، وإن كان أغلبها قد بقي مخطوطاً.

ومن الرسائل التي اشتهرت، «دستور الأخلاق في القرآن» للأستاذ القدير محمد عبدالله دراز رحمه اللّه، وكتاب «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» و«منهج المدرسة العقلية في التفسير» وكلاهما لفضيلة الدكتور/ فهد بن عبد الرحمن الرومي يحفظه اللّه، و«مدرسة التفسير في

الأندلس» للأستاذ مصطفى إبراهيم المشني، و«ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير» للأستاذ علي بن محمد الزبيري. وغيرها.

هذا والمؤلفات الموضوعية التي طبعت كثيرة، وأكثر منها تلك التي بقيت حبيسة الرفوف في الجامعات فلم تجد طريقها إلى النشر، وسأذكر هنا نماذج منها:

١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن: د/ عبد المجيد المحتسب.

٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د/ فهد الرومي.

٣) الأحرف السبعة في القرآن الكريم: د/ حسن ضياء الدين عتر.

٤) أسباب اختلاف المفسرين: د/ محمد بن عبد الرحمن الشايع.

٥) أسباب النزول وأثرها في التفسير: الشيخ عصام عبد المحسن الحميدان.

٦) استخراج الجدل في القرآن: د/ زاهر عواض الألمعي.

٧) الإعجاز العددي للقرآن الكريم: د/ عبد الرزاق نوفل.

٨) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ت(١٣٥٦هـ).

٩) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: د/ فتحي الدجني.

١٠) إعراب القرآن الكريم: محيي الدين درويش.

١١) أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري: نور الحق تنوير.

١٢) الأمثال القرآنية دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها: عبد الرحمن حبنكة الميداني.

١٣) بلاغة القرآن: محمد الخضر حسين.

١٤) تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري.

١٥) التجويد الميسر: عبد العزيز عبد الفتاح القارئ.

١٦) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف: د/ عبد العزيز القارئ.

١٧) التفصيل والبيان عن تفصيل آي القرآن: محمد زكي صالح.

١٨) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب ت(١٣٨٥هـ).

١٩) جواهر البيان في تناسب سور القرآن: عبدالله محمد صديق الغماري.

٢٠) دراسات في أسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عظيمة ت(١٤٠٣هـ).

٢١) دراسات الإحكام والنسخ في القرآن الكريم: محمد حمزة.

٢٢) الرأي الصواب في منسوخ الكتاب: جواد موسى محمد عفانة.

٢٣) رسم المصحف، دراسة لغوية وتقويمية: غانم قدوري.

٢٤) الفروق اللغوية وأثرها في التفسير: د/ محمد بن عبد الرحمن الشايع.

٢٥) في إعجاز القرآن، دراسة تحليلية لسورة الأنفال (المحتوى والبناء): د/ أحمد مختار البزرة.

٢٦) القصص القرآني: عماد زهير حافظ.

٢٧) قصة التفسير: د/ أحمد الشرباصي.

٢٨) اللامات في القرآن: عبد الهادي الفضلي.

٢٩) مباحث في إعجاز القرآن: د/ مصطفى مسلم محمد.

٣٠) متشابه القرآن دراسة موضوعية: عدنان زرزور.

٣١) المشاهد في القرآن الكريم: د/ حامد صادق قنيبي.

٣٢) مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب ت(١٣٨٥هـ).

٣٣) المعجزة القرآنية: محمد العفيفي.

٣٤) مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الراهن: د/ محمد النقراشي السيد علي.

٣٥) نزول القرآن على سبعة أحرف: للشيخ مناع القطان.

٣٦) النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية: د مصطفى زيد.

٣٧) النسخ في القرآن الكريم مفهومه تاريخه دعاواه: د/ محمد صالح.

٣٨) الوجوه والأشباه والنظائر في القرآن الكريم (دراسة موازنة): د/ سليمان حمد القرعاوي.

**أما الرسائل الجامعية التي لم تطبع فيما أعلم فهي كثيرة، أذكر منها بعض العناوين المسجلة في جامعات المملكة:**

١) آيات البعث في القرآن الكريم: عبد العزيز بن راجي الصاعدي، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الدراسات العليا الشرعية رسالة ماجستير ١٣٩٧هـ.

٢) آيات العتاب في القرآن الكريم، دراسة تحليلية موضوعية: نورة محمد الجليل الرئاسة العامة لتعليم البنات الآداب للبنات بالرياض الدراسات الإسلامية رسالة ماجستير ١٤٠٨هـ.

٣) اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره: سعود عبدالله الفنيسان جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة ١٤٠٢هـ.

٤) اختلاف التنوع والتضاد في تفسير السلف: عبدالله بن عبدالله الأهدل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة ١٤٠٨هـ.

٥) أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين: عبدالله ديريه أبتدون الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير ١٤٠٣ هـ.

٦) الإمام الدهلوي، منهجه في التفسير وآراؤه في مباحث من علوم القرآن: خليل الرحمن سجاد الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير ١٤٠٢هـ.

٧) أمثال القرآن: منصور بن عون العبدلي، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٣٩٤هـ.

٨) تاريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري: أحسن بن سخاء محمد أشرف الدين الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير ١٤٠٥هـ.

٩) تفاسير آيات الأحكام ومناهجها: علي بن سليمان العبيد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة ١٤٠٧هـ.

١٠) التفسير بالرأي، ماله وما عليه: أحمد بن عمر بن عبدالله الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير ١٤٠١هـ.

١١) التفسير بين الرأي والأثر: محمد حلمي أبو غزالة جامعة أم

القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الدراسات العليا الشرعية ماجستير، ١٣٩٨هـ.

١٢) التفسير في عهد الصحابة، مصادره ومزاياه: ناصر بن محمد الحميد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة ماجستير ١٣٩٩هـ.

١٣) التفسير في القرن الأول الهجري: فائقة إدريس عبدالله جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الدراسات العليا الشرعية رسالة ماجستير ١٤٠٤هـ.

١٤) دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان للزرقاني: خالد بن عثمان السبت، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير ١٤١١هـ.

١٥) فواتح السور في القرآن الكريم: فاروق حسين محمد أمين الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير ١٤٠٣هـ.

١٦) قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة ماجستير ١٤١٦هـ.

١٧) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبدالله جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة ١٤٠٤هـ.

١٨) الوقف وأثره في التفسير: مساعد بن سليمان الطيار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة ماجستير ١٤١٤هـ.

# الباب الثاني

## مقدمات التفاسير

١- تفسير القرآن العزيز: لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني ت(٢١١هـ)

٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ)

٣- تفسير القرآن العظيم: لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ت(٣٧٣هـ)

٤- النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم: لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي ت(٤٥٠هـ)

٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت(٤٦٨هـ)

٦- معالم التنزيل: لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت(٥١٦هـ)

٧- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن عطية ت(٥٤٦هـ)

٨- زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي ت(٥٩٧هـ)

٩- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْحْ الخزرجي القرطبي الأندلسي ت(٦٧١هـ)

١٠- تسهيل السبيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي ت(٧٤١هـ)

١١- لباب التأويل في معاني التنزيل: لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيحي البغدادي المعروف بالخازن ت(٧٤١هـ)

١٢- البحر المحيط في التفسير: لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الشهير بأبي حيان ت(٧٤٥هـ)

١٣- تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت(٧٧٤هـ)

# ١- تفسير القرآن العزيز

## لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني المتوفى سنة (٢١١هـ)

### أولا: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني المولود سنة ست وعشرين ومئة للهجرة (١٢٦هـ)[١].

ولد المصنف في أسرة علم وفضل وصلاح، وتربى في حجر أبيه الذي أولاه الرعاية والاهتمام، وقد كان والده من أهل العلم، يروي الحديث عن سالم بن عبدالله[٢] وغيره[٣]، فنشأ عبد الرزاق نشأة سليمة، وانكب على الدرس والمطالعة، وصرف الوقت في طلب العلم، وارتحل لذلك فطاف الحجاز والشام والعراق[٤]، حتى تصدر المجالس، ولقي الكبار، وأخذ عن

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٦٣- ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٢١٦.

(٢) هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، كان من خيار الناس وفقهائهم، توفي بالمدينة سنة (١٠٦هـ).انظر: المعارف لابن قتيبة: ١٨٦- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٧٥.

(٣) انظر المعارف لابن قتيبة ٢٢٦.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٥٦٤.

المشاهير، فحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث[(١)].

وثَّقهُ غير واحدٍ من الأئمة، وحديثه مخرَّج في الصحاح[(٢)]، ونعته الذهبي بالحافظ الكبير وعالم اليمن[(٣)]، وقد شهد المشاهير بعلمه وأشادوا بحفظه وعلو منزلته، فعن علي بن المديني قال: قال لي هشام بن يوسف[(٤)]: كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا.[(٥)]

وقال شيخ عبد الرزاق معمر بن راشد، وهو أكثر من روى عبد الرزاق الحديث عنه، قال: أما عبد الرزاق فإن عاش فخليق أن تضرب إليه أكباد الإبل. قال ابن السري: فواللّه لقد أتعبها.[(٦)]

**شيوخه وتلاميذه:**

أكثر عبد الرزاق الحديث عن معمر بن راشد، وهو شيخه في أغلب ما يرويه في تفسيره، كما حدَّث عن عبيداللّه بن عمر وعن أخيه عبداللّه،

---

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/ ٣١٤.

(٢) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٣٦٤.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٥٦٣.

(٤) هو هشام بن يوسف الصنعاني، من أقران عبد الرزاق، ثقة متقن، توفي سنة (١٩٧هـ).
انظر: تهذيب الكمال للمزي: ٣٠/ ٢٦٥- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٨٠- .

(٥) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٦٦.

(٦) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/ ٣١١.

وعن هشام بن حسان[(١)]، وابن جريج، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وغيرهم من كبار التابعين. أما تلامذته، فقد صدق معمر حين قال: ستضرب إليه أكباد الإبل.

وقد عمَّر عبد الرزاق طويلاً، وذاع صيته، وعلم الناس فضله وعلمه وكثرة تحمله، فشدوا إليه الرحال، وأقبلوا عليه من كل حدب وصوب، وكان منهم الأئمة المعتبرون كالإمام أحمد بن حنبل، وابن راهويه[(٢)]، وابن معين[(٣)]، وعلي بن المديني، وغيرهم، كما حدَّث عنه شيخه سفيان بن عيينة.[(٤)]

---

(١) هو هشام بن حسان الأزدي، إمام حافظ محدث، قيل: رأى أنس بن مالك، كان من البكائين، توفي سنة (١٤٦هـ). انظر: طبقات خليفة: ٢١٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ٣٥٥.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، الملقب بابن راهوية: أي المولود في الطريق. إمام كبير، وشيخ المشرق في عصره، وسيد الحفاظ، توفي سنة (٢٣٧هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ١/ ١٩٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٣٥٨.

(٣) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني، إمام في الحديث، ثقة مأمون، له الكنى والأسماء، توفي سنة (٢٣٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٧١- تاريخ بغداد للخطيب: ١٤/ ١٧٧.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٦٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٢١٦.

**مؤلفاته:**

ذكر العلماء أن عبد الرزاق صنف كثيراً، وأن من أشهر ما صنفه:

«تفسير القرآن العزيز» و«المصنف الكبير» وهو «الجامع الكبير» و«السنن» في الفقه و«المغازي» و«الأمالي في آثار الصحابة» (١).

**وفاته:**

فقد الحافظ الكبير بصره بعد المائتين للهجرة، وتوفي في منتصف شوال سنة إحدى عشرة ومائتين (٢١١هـ) عن عمر يناهز الخامسة والثمانية باليمن، رحمه اللّه تعالى(٢).

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

يمثل هذا التفسير نموذجاً فريداً بين أيدينا من تفاسير القرن الثاني للهجرة، يعطي صورة واضحة عن لون التفسير السائد في ذلك العصر وهو

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٥٢- وهدية العارفين لإسماعيل باشا: ٥/ ٥٦٦- ومعجم المؤلفين لرضا كحالة: ٥/ ٢١٩- وتاريخ التراث العربي لسزكين: ١/ ١٤٤.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٨٠- ووفيات الاعيان لابن خلكان: ٣/ ٢١٧-.

وينظر للمزيد في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير: ١٠/ ٢٥٦- وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٣٦٤- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٦٣- وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٢/ ٢٧- وطبقات الحنابلة لأبي يعلى: ١٥٢- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٠٢ - والفهرست لابن النديم: ٢٢٨ - وميزان الاعتدال للذهبي: ٢/ ٦٠٩ - والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٢/ ٢٠٢- ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٢١٦.

التفسير بالأثر المجرد عن الرأي، إذ ليس فيه إلا ما هو مروي عن رسول ﷺ أو مسند إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم، فهو من أقدم نصوص التفسير المسندة، ومصنفها متقدم على ابن جرير المتوفى سنة (٣١١هـ) بقرن كامل، فهومن أوثق ما وصل إلينا من غير تحريف ولا تبديل[(١)].

تتبع المصنف أقوال السلف في المعاني وأسباب النزول، ورواها بأسانيدها مرتبةً حسب ترتيب المصحف، وبالرغم من محاولة المصنف تجنب رواية الإسرائيليات، وخاصة ما تعلق منها بعصمة الأنبياء، أو تتنافى مع العقيدة، وظاهر نصوص الشريعة، إلا أنه ذكر بعض الروايات الساقطة التي رواها القوم[(٢)].

وقد قدم المصنف لتفسيره مقدمة موجزة ذكر فيها شيئاً من المروي في علوم القرآن، فهو بهذا يعد رائد هذا النهج، وأول من قدم للتفسير بعلوم القرآن.

وقد كان هذا التفسير إلى عهد قريب مخطوطاً حبيس المكتبات، طبع عليها الزمن آثاره، فوجد مبتوراً من أوله، مصاباً بالرطوبة في مواطن كثيرة منه، خاصة في بداياته، حتى قيَّض اللّه له من ينفض عنه غبار الأيام، ويخرجه للنور للمرة الأولى، فجزى اللّه القائمين على إحياء التراث خير

---

(١) انظر تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، مقدمة تحقيق الدكتور مصطفى مسلم: ١/ ٥.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١/ ٣٢.

الجزاء، وأجزل لهم المثوبة والأجر.

وحين صنفتُ التفاسير المرشحة للدراسة في هذا البحث جاء تفسير عبد الرزاق أول تفسير يحتوي مقدمة في علوم القرآن من حيث الترتيب الزمني للمؤلف، وحين عدت إلى التفسير بتحقيق الدكتور مصطفى مسلم وجدته - يحفظه الله - يذكر أن النسختين الوحيدتين للكتاب فيهما نقص من أولهما، مما اضطره الرجوع إلى تفسير الطبري والدر المنثور ليسد النقص بنقل الروايات الثابتة فيها عن عبد الرزاق، حتى استخرج منها ما يتعلق بتفسير سورة الفاتحة والقسم المحذوف من سورة البقرة،(١) وتمنيت لو أن فضيلته أثبت شيئاً من المقدمة، فالروايات التي جاءت فيها هي الأخرى على الراجح مبثوثة في الطبري والدر المنثور وغيرهما من كتب الأثر وعلوم القرآن، ثم صدرت طبعة أخرى للتفسير نفسه بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي يحفظه الله فوجدت المحقق استطاع أن يثبت شيئاً من تلك المقدمة التي لم يعثر عليها الدكتور مصطفى.

وقد جاءت مقدمة عبد الرزاق موجزة في أربع صفحات، روى المصنف فيها بعض الآثار حول علوم القرآن بأسانيدها، دون أن يعلق عليها، وهي طريقته في التفسير كله، ومجموع ما أورده المصنف تسعة آثار، الأول منها حول جمع القرآن، ويحمل العنوان نفسه، وهي مقدمة مستقلة،

---

(١) انظر: المصدر السابق: ١/ ٣٥.

أما المقدمة الأخرى فتحمل عنوان ما جاء فيمن قال في القرآن برأيه وهذا العنوان هو من إطلاق المصنف كما يظهر من الصفحة الأولى من المخطوط، بخلاف العنوان الأول فغير مقروء وقد يكون من عمل المحقق.

والآثار الأخيرة أوردها المحقق مبتورة لصعوبة قراءة بعضها، ولآثار الرطوبة التي أتلفت بعضها الآخر، والكلمات المبتورة ليست كثيرة، وأظن أنه كان من الممكن إثباتها لو تتبع المحقق ذلك في كتب التفسير، والله أعلم.

ولم تطبع المقدمة إلا هذه الطبعة، التي صدرت عن دار المعرفة ببيروت عام ١٤١١هـ، وهي متأخرة عن تحقيق الدكتور مصطفى مسلم للتفسير الذي ظهر عام (١٤١٠هـ) عن دار الرشد بالرياض، غير أن طبعة الدكتور مصطفى خالية من المقدمة.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

ذكر المصنف في الرواية الأولى التي افتتح بها تفسيره جمع المصحف الذي تم على يد زيد بن ثابت، بأمر أبي بكر الصديق بناءً على رأي من عمر رضي الله عنهم أجمعين وهو الجمع الأول لكتاب الله.

أعقب ذلك بباب مستقل عن القول في القرآن بالرأي، والتحذير الشديد الوارد في ذلك، ثم بين أن التفسير على أربعة وجوه على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما. بعدها روى أثراً في المعاني التي نزل القرآن عليها، ثم تاريخ نزول القرآن والكتب السابقة، بعدها نزول القرآن جملة

واحدة ليلة القدر، ثم نزوله منجّماً على رسول اللّه ﷺ.

**رابعاً: منهج عبد الرزاق في مقدمته:**

منهج عبد الرزاق في مقدمته أنــه يســرد الروايـات بسـندها في المعنـى الذي أراده دون أي تعقيب أو بيان، مكتفيـاً بروايـة واحـدة في كـل مسـألة تعرض له.

# ٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن

## لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠هـ)

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، أبو جعفر[(١)].

ولد المفسر بآمُل طَبَرِسْتان[(٢)] سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل: خمس وعشرين[(٣)]، واستوطن بغداد إلى حين وفاته بها[(٤)]، يتردد على موطنه بين فترة وأخرى.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٢٦٧- ومعجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٠- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١١٠.

(٢) هي من أكبر مدن طبرستان تقع في السهل، خرج منها كثير من العلماء غير أنهم ينسبون إلى طبرستان فيقال الطبري. انظر: معجم البلدان لياقوت: ١/ ٧٥.

(٣) سئل ابن جرير عن الخلاف الذي في مولده فقال: لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرخ مولدي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة أربع، وقال آخرون: بل كان أول سنة خمس وعشرين ومائتين. اهـ انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٨.

(٤) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٠- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٦٧- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١١٠.

عاش ابن جرير حياته في عائلة ميسورة، ونشأ وترعرع في كنف والده الذي دفعه إلى التعليم منذ الصغر، ويسر له أسباب التلقي، فما كاد يبلغ سن الجلوس إلى أهل العلم حتى رأته أزِقّة آمُل متأبطاً دواته وقرطاسه، ملتحقاً بالكتاب ومتنقلاً من شيخ إلى آخر، ومن حلقة إلى أخرى، فحفظ كتاب الله وله سبع سنين، وصلى بالناس وهو ابن ثمان، وكتب الحديث وهو ابن تسع[١]، حتى إذا اشتد عوده، وفاق أقرانه، واعترفوا بتفوقه وأظهر الشيوخ إعجابهم به، لبّى الأب طلب ولده ورغبته في الترحال لطلب العلم، وتوجه أولى وجهته إلى دار السلام، وأنّى للأب أن لا يبارك الرحلة وهو الذي رأى ولده بين يدي رسول الله ﷺ ومعه مخلاة مملوءة حجارة، وهو يرمي بين يدي رسول الله ﷺ. الرؤيا التي عبرت بأن الولد إذا كبر نَصَحَ في دينه، وذبَّ عن شريعته، يقول ابن جرير: فحرص أبي على معونتي على طلب العلم، وأنا حينئذٍ صبي صغير[٢].

ويكثر ابن جرير من الترحال، ويلتقي نبلاء الرجال، فيقرأ القرآن، ويسمع الحديث في العراق والشام ومصر والمغرب العربي حتى غدا بفضل الله أحد الأئمة الأعلام، يُحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. ولم يضنّ رحمه الله علينا بسيرته وأخباره، فطالما حدَّث الرجل تلامذته وطلبته

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٩.

(٢) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٩.

عن طفولته ونشأته وطلبه للعلم.

جمع علوماً كثيرة، فإضافة إلى حفظ كتاب اللّه عَرَفَ القراءات القرآنية، واجتهد في الفقه فكان عالماً بأحكام القرآن، بصيراً بمعانيه، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين[١]، حتى تفرد بمسائل حفظت له[٢] وعدّه السيوطي رأس المفسرين على الإطلاق[٣] ولقّبه المتأخرون بشيخ المفسرين.

شهد له البغدادي بأنه جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره[٤]، ووثقه الذهبي وعده حافظاً رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علاّمة بالتاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك.[٥]

وكان ابن جرير شافعياً ثم انفرد بمذهب مستقل، وله أقاويل واختيارات، حين ملك أدوات الاجتهاد، واحتج لمذهبه، وله أتباع

---

(١) انظر: تاريخ بغداد للخطيب ٢/ ١٦٣- وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٢٦٩.

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٦٤- طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١١٠.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٨٢.

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ١٦٢.

(٥) ومنها العروض والحساب والطب، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٧٠.

ومقلّدون.[١]

وقد جمع ابن جرير إلى علمه ونبوغه الزهد والقناعة، والشجاعة والورع، وعفة النفس، والترفع عن الطلب، لا تأخذه في اللّه لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد[٢].

وكتب التراجم تزخر بكم هائل من أخباره في هذا الشأو، ولعل في إيراد شيء من شعره الرائق إظهار لبعض تلك المعاني، روي أن ابن جرير أنشد لنفسه:

إذا أعْسَرْتُ لم يَعْلَمْ رفيقي وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سَمَحْتُ ببذل ماء وجهي لكنت إلى العلى سهل الطريق

وله أيضاً:

خُلُقان لا أرضى فَعَالَهُما بَطَرُ الغنى ومَذَلَّةُ الفقر
فإذا غنيتَ فلا تكن بَطِراً وإذا افتقرت فَتِهْ على الدهر[٣]

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٨٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٧٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١١٨.

(٣) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ١٦٥- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٧٦- ومعجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٣.

## تهمة وتحقيق:

اتهم ابن جرير بموالاة الشيعة، وبمناصرة مذهبهم الفاسد، يقول أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، وأصله من آمُل، وكان يزعم أن أبا جعفر الطبري خاله:

بآمُلَ مَولدي وبنو جرير فأخْوَالي ويحكي المرءُ خالَهْ
فها أنا رافضيٌّ عن تُراثٍ وغيري رافضي عن كَلالَهْ[1]

وقد ذكر الذهبي(٢) في الميزان أن فيه تشيُّعاً يسيراً، وموالاة لا تضر، وقال: أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ(٣) فقال: كان يضع للروافض. كذا قال السليماني! وهذا رجم بالظن الكاذب، بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام والمعتمدين، وما ندعي عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأنّى فيه ولاسيما في مثل إمام كبير، فلعل السليماني أراد الآتي [يزيد محمد بن جرير بن رستم

---

(١) انظر: معجم البدان لياقوت: ١/ ٥٧.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، أبو عبد الله الذهبي، إمام محدث حافظ، من كبار المصنفين في الرجال، له ميزان الاعتدال، وسير أعلام النبلاء، توفي (٧٤٨هـ). انظر: فوات الوفيات للكتبي: ٣/ ٣١٥- والدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ٣٣٦.

(٣) هو أحمد بن علي بن عمرو السليماني البخاري، الإمام الحافظ، محدث ما وراء النهر، صاحب التصانيف الكبار، عمر طويلاً وتوفي (٤٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٢٠٠- وطبقات السبكي: ٤/ ٤١.

الطبري الرافضي][1][2]

قال الحافظ ابن حجر: ولو حلفت أن السليماني ما أراد إلا الآتي لبررت.[3]

ولا شك أن ابن جرير المفسر قد اتُّهم بالتشيع في حياته حتى إنه دفن بالليل خوفاً من العامة لهذه التهمة[4].

والذي أراه أن الأمر كان مجرد اتهام لا صلة له بالواقع، فابن جرير كما ذكر الذهبي من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، غير أن الآثار والأحاديث التي رواها والتي تظهر مكانة آل البيت، وتحث على وجوب حبهم والثناء عليهم وهي كثيرة وما أملاه من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه وهي كلها حق، ظن البعض أن ذلك ميل منه يرحمه اللّه إلى التشيع، والبون شاسع بين حب آل بيت رسول اللّه ﷺ الذين جاء الأمر بالصلاة عليهم مقرونين مع رسول اللّه ﷺ، وبين التشيع مذهباً عقدياً

---

(١) هو محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي ، صنف كتباً كثيرة في ضلالات الرافضة، له الرُّواة عن أهل البيت. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٨٢- وطبقات أعلام الشيعة: ٢٥٠.

(٢) انظر ميزان الاعتدال للذهبي: ٣/ ٤٩٩.

(٣) انظر: لسان الميزان لابن حجر: ٥/ ١٠٠.

(٤) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٠.

وفكراً منحرفاً فاسداً.

والتهمة كما قال الذهبي رجم بالظن الكاذب، فابن جرير لم يترك آمُل بعد أن عاد إليها عالماً لا يشق له غبار إلا لما رأى من الرفض قد ظهر، وسب أصحاب رسول الله ﷺ بين أهلها قد انتشر، فانبرى لهم، وقام يملي فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهو خير دليل على دفع التهمة عنه يرحمه الله.

وحين سمع السلطان بما يمليه كره ذلك، وأرسل في طلبه يريد أن يؤذيه، فخرج من آمُل مختفياً لم يشعر به أحد.[1]

**شيوخه وتلامذته:**

كانت همة ابن جرير في طلب العلم عالية، فتلقى العلم عن كثير من أعيان علماء عصره في المشرق والمغرب، الذين أتاح له الترحال اللقاء بهم، حتى ارتوى من موردهم العذب الزلال، وهم كثير ذكر منهم الذهبي ما يربو على الخمسين، وذكر غيره غيرهم، وأذكر منهم الشيخ يونس بن عبد الأعلى[2] والشيخ محمد بن حميد الرازي[3]، والشيخ سفيان بن

---

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٠.

(٢) هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص الصدفي، شيخ الإسلام، ثقة مقرئ حافظ، توفي (٢٦٤هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٧/ ٢٤٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ٣٤٨-

(٣) هو محمد بن حميد بن حيان الرازي، إمام علامة حافظ، قال الذهبي: وهو رغم إمامته=

وكيع[١]، وخلق كثير غيرهم من علماء الشام ومصر والعراق والمغرب[٢].

ومن تلامذته الذين تلقوا العلم عنه: ابن مجاهد، وأبو القاسم الطبراني[٣]، ومحمد بن أحمد الداجوني، وآخرون[٤].

**مصنفاته:**

ذكر الخطيب في تاريخه أن محمد بن جرير الطبري مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة،[٥] وهو خبر فيه مبالغة ظاهرة غير أنه يدل على عظيم ما صنفه ابن جرير، فالذي وصل إلينا من مصنفاته تؤكد أن

---

=منكر الحديث صاحب عجائب، وقال النسائي: ليس بثقة. توفي (٢٤٨هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ٢٥٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٥٠٣.

(١) هو سفيان بن وكيع بن الجراح الكوفي الحافظ ، محدث الكوفة، كان أحد أوعية العلم، لحقه لين، توفي (٢٤٧هـ) انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى: ١/ ١٧٠- سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ١٥٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٣٦٨- وإنباه الرواة للقفطي: ٣/ ٨٩- ومعجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤١- وطبقات المفسرين للسيوطي: ٨٢- وللداودي: ٢/ ١١٧.

(٣) هو سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، إمام، حافظ ثقة، محدث، سمع من ألف شيخ ويزيدون، وعنه خلق كثير، له تصانيف منها المعجم الكبير، توفي (٣٦٠هـ). انظر: ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ١/ ٣٣٥- والمنتظم لابن الجوزي: ٧/ ٥٤- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ١١٩.

(٤) انظر المراجع السابقة.

(٥) انظر تاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ١٦٣- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٧٢.

الرجل كان عالماً كاتباً، شغوفاً بالعلم، لا يترك علماً يمكنه تحصيله إلا سعى له، وأعد له العدة، حدَّث عن نفسه: أن رجلاً جاءه يسأله عن شيء في علم العروض ولم يكن قد نشط في هذا العلم فقال: إذا كان غداً تعال إليَّ. قال: وطلبت سفر العروض للخليل، فجاؤوني به، فاستوعبته في ليلة واحدة، فأمسيت غير عروضي، وأصبحت عروضياً.[(١)]

والناظر في مصنفات ابن جرير، إن أراد الفقه قال: هو فقيه فحسب، وإن أراد التفسير قال: هو رائد التفسير وفارسه بلا منازع. وإن أراد النحو والبلاغة والفصاحة قال: هو لغوي لا يحسن غيره. وكذا في القراءات والأحكام والحديث.

وإضافة إلى تفسيره الذائع الشهرة فقد صنف ابن جرير الآتي:

١) أخبار الملوك والأمم، مصنف في التاريخ مطبوع متداول، تؤكد كل صفحة منه إلمام المصنف بتاريخ العالم وأيام الناس.

٢) تهذيب الآثار، قال الخطيب: لم أر سواه في معناه لكن لم يتمه[(٢)]. وقال الفرغاني أبو محمد[(٣)]: هو من عجائب كتبه لكنه مات قبل تمامه[(٤)].

---

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٥٦.

(٢) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ١٦٣.

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن جعفر خذيان الفرغاني، عالم وثقه ابن سرور، له التاريخ المذيل على تاريخ ابن جرير، توفي (٣٦٢هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٩/ ٣٨٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ١٣٢.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٧٣.

٣) تاريخ الرجال، من الصحابة والتابعين وإلى شيوخه الذين لقيهم.

٤) لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، قال الفرغاني: هو مذهبه الذي اختاره وجوَّده، واحتج له، وهو في ثلاثة وثمانين كتاباً[(١)] .

٥) القراءات والتنزيل والعدد.

٦) الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، وهو مختصر.

٧) التبصرة، وهي رسالة إلى أهل طبرستان يشرح فيها ما وقع بين أهل طبرستان من الخلاف، وفي مذاهب أهل البدع.[(٢)]

٨) اختلاف علماء الأمصار، وهو مطبوع.

وغيرها من المؤلفات التي ذكرها الحموي في معجمه[(٣)] .

وقد تجلت شخصية ابن جرير في مؤلفاته واضحة بارزة، عكست بوضوح مدى ما وصل إليه من تحصيل العلوم، وقوة الحفظ والاستنباط.

**وفاته:**

نذر الطبري حياته للعلم، ورأى أن المتعة الحقيقية إنما هي في تعلم

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٧٣- ومعجم الأدباء لياقوت: ٨/ ٨٠ وفيه: «البصير في معالم الدين» .

(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٦٣ وما بعده.

(٣) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٥٥.

آية، أو رواية أثر أو حل معضلة، ولم يلتفت رحمه اللّه إلى الدنيا وزخرفها، حتى الزواج أشغله طلب العلم ثم التعليم عنه، فكان من جملة العلماء العزاب، يقول عن نفسه: أنا لا ولد لي، وما حللت سروالي على حرام ولا حلال قط. بل أفنى عمره الذي بلغ ستاً وثمانين سنة على الراجح في طلب العلم والمدارسة والتفقه في الدين وتعليمه.

وقد توفي يرحمه اللّه ببغداد في شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة، يوم السبت مساءً، ودفن يوم الأحد[(١)] بداره برحبة يعقوب، وحضر وقت موته جماعة من أهل العلم فأوصاهم، وأكثر من التشهد وذكر اللّه، وغمض بصره بيده. ورثاه خلق من الأدباء، وأهل الدين، منهم ابن دريد[(٢)] في مرثية مبكية تدمي القلب، أظهر ما كان يحمل بين جنبيه من علم وفقه وفضل، ومن أبياتها:

إنَّ المنيَّـة لم تُتْلِـفْ بِـه رَجُـلاً ... بَـلْ أتْلَفَـتْ عَلَماً للدِّيـن مَنْصُوبـا
أهْدَى الـرَّدَى للـثَّرى إذْ نـالَ مُهْجَتَـهُ ... نجْمَاً عَلَى مَنْ يُعَـادِي الحَقَّ مَصْبُوبَـا
كـانَ الزَّمـانُ بـهِ تَصْفُـو مَشَـارِبُهُ ... فَـالآنَ أصْبَـحَ بـالتَّكْدِيرِ مَقْطُوبـا
أوْدَى أبـو جَعْفـر والعِلْـم فاصْطَحَبـا ... أعْظِمْ بِذَا صَاحِبَاً أو ذاكَ مَصْحوبَـا[(٣)]

---

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٠.

(٢) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية البصري، شيخ الأدب، كان آية من آيات اللّه في قوة الحفظ، قيل عنه أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، توفي (٣٢١هـ). انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ١٢٧- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/ ٩٦.

(٣) انظر: ديوان ابن دريد: ٦٧- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٨٠. =

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

إن من بركة العلم أن ييسر الله للعالم من يحيي سيرته بعد وفاته، كأن يسخر من ينشرعلمه بإحياء مؤلفاته ومصنفاته، وإخراجها لطلبة العلم والباحثين في صورة تسهل الوقوف على مراده، وقد قيض الله لمفسرنا ابن جرير الطبري ولتفسيره فارسين من فرسان البلاغة والبيان فحققا أجزاءً منه خير تحقيق، ويسراه لطلبة العلم، حتى عُدَّ بحق من أفضل التفاسير المحققة(*).

وتفسير ابن جرير «جامع البيان» يعد من أنفس الآثار في التفسير، لكونه قد حوى إلى جانب بيان معاني الآيات علوماً كثيرة أخرى، أسس

---

=وينظر للمزيد في ترجمته: إنباه الرواة للقفطي: ٣/ ٨٩- والبداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ١٤٥- وتاريخ بغداد للخطيب: ٢/ ١٦٢- وتذكرة الحفاظ للذهبي: ٢/ ٤١٠- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٢٦٧- وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٢/ ٢٦٠- وطبقات الحفاظ للسيوطي: ٣١٠- وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٣/ ١٢٠- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١١٠- وطبقات المفسرين للسيوطي: ٨٢- ولسان الميزان لابن حجر: ٥/ ١١٠- ومعجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٠- ومعرفة القرآء الكبار للذهبي: ١/ ٢٦٤ وغير ذلك.

(*) لقد حقق الكتاب كاملاً موخراً بتحقيق معالي الدكتور عبد ا لله بن عبد الحسن الذكي أمد ا لله في عمره وأبقاه وبارك في أعماله وخدماته للمسلمين وفي شتى ديار الإسلام.

المصنف بنيانها، ووضع اللبنات الأولى، وساق الروايات والأقوال بأسانيدها، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما التفاسير التي في أيدي العامة فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين.(١)

ويقول الإمام ابن عطية: إن محمد بن جرير جمع على الناس أشتات التفسير، وقرب البعيد، وشفا الإسناد(٢) .

وقد جوَّد ابن جرير تفسيره «تفسير القرآن» وبيّن فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه، ومشكله وغريبه، ومعانيه واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه، والقصص وأخبار الأمة والقيامة وغير ذلك(٣).

وهو تفسير على ما قال الإمام النووي(٤): أجمعت الأمة على أنه لم

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٣/ ٣٨٥.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية: ١/ ٣١.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١١٤.

(٤) هو محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي، إمام فقيه حافظ، ولي مشيخة دار الحديث، له تصانيف في الحديث والفقه وغيرهما، توفي (٦٧٦هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/ ١٤٧٠- وشذرات الذهب لابن عماد: ٥/ ٣٥٤.

يصنف في التفسير مثله. وعده السيوطي من أجلِّ التفاسير لتميز منهجه،[(١)] ولهذا أيضاً استعاره ابن خزيمة[(٢)] من ابن خالويه وأبقاه عنده عدة سنوات، ثم قال مقولته: ما رأيت على أديم الأرض أعلم من ابن جرير[(٣)].

وقال عنه أبو حامد الأسفراييني[(٤)]: لو سافر الرجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً عليه[(٥)].

وما من شك أن هذا التفسير يعد من أمهات كتب التفسير بالمأثور والرأي المبني على القواعد والأصول، وهو أمر مشاهد لكل مطّلع عليه، قارئ فيه، متابع له، فمصنفه إمام مجتهد صاحب مذهب فقهي، وهو من أئمة الحديث، ومن رجال التاريخ واللغة، جمع علوماً كثيرة فوعاها، وتفسيره بين أيدينا يشهد على تفوقه.

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٨٢.

(٢) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الشافعي، شيخ الإسلام، وإمام الأئمة، صاحب التصانيف، فقيه مجتهد عالم بالحديث، له الصحيح، توفي (٣١١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/ ٣٦٥- والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٣/ ٢٠٩.

(٣) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٣- والتفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٢٠٨.

(٤) هو أحمد بن محمد بن أبي طاهر محمد الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد، ثقة، قيل: إنه كان من أنظر الفقهاء، توفي (٤٠٦هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٤/ ٣٦٨- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ١٩٣.

(٥) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٨/ ٤٢- ومعرفة القرآء الكبار للذهبي: ١/ ٢٦٦.

وأود الإشارة هنا إلى أن المصنف يعد رائد الطريقة والمنهج الذي سار عليهما في تفسيره، وتبقى للريادة والأولوية مآخذها ونواقصها، وفي مثل هذا يقول ابن الأثير[١]: كل مبتدئ لشيء لم يُسبق إليه، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه فإنه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر[٢]؛ ولهذا فإن القارئ المتفحّص المتعمّق لعلم التفسير قد يجد على هذا التفسير من الملحوظات والمآخذ التي ربما استدركها كثير ممن جاء بعد ابن جرير، ومن تلك المآخذ التطويل بإيراد الطرق العديدة لإفادة معنى لغوي واحد. ومجانبته الصواب في بعض الآراء، كما أنه لم يخل من ذكر الإسرائيليات التي ينبغي أن يخلو منها كتب التفسير، إذ مظان ما سكت الشرع عنه منها، كتب القصص والأساطير والحكايات[٣].

علمنا من خلال سيرة ابن جرير السابقة اهتمامه العظيم بالمأثور من الأحاديث والآثار، وكيف أن العلماء يعدون تفسيره أفضل تفسير بالمأثور،

---

(١) هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، عمل كاتباً وعرف عنه الذكاء، صنف كثيراً من ذلك المثل السائر، والنهاية في غريب الحديث. توفي (٦٠٦هـ) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ١٤١- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٤٨٨.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١/ ٥.

(٣) انظر: تاريخ التفسير للقيسي: ١٤٧ ومثاله: إيراده سبعة عشر طريقاً لإفادة أن الكأس الدهاق هي المتابعة، وهو معروف عند أهل اللغة، ولا يتعلق به حكم شرعي من حيث الحل والحرمة.

وأصحه، وما ذلك إلا لما حواه من الآثار التي رواها المصنف بسنده، وتحرّى صحتها بطريقته، وقد كان لهذا الكم الهائل الأثر الواضح في توسع ابن جرير في المقدمات التي قدمها بين يدي تفسيره، حيث وجد منها منطلقاً فسيحاً رحباً، للحديث عن علوم القرآن التي يرى المصنف ضرورة إلمام المفسر وقارئ التفسير بها، قبل الخوض في الطوال من المصنفات، وقد أضاف ابن جرير إلى ذخيرته من المأثور ما توصل إليه بإعمال الفكر، وإدامة النظر في النصوص، حتى فاق في مقدماته من جاء بعده، بل عُدَّ مرجعاً يستند إليه المفسرون والمصنفون في علوم القرآن، خاصة في جانب الرواية، وعرض الآراء.

وكان لجهوده أثر بيِّنٌ واضح في خدمة هذا الفن -أقصد فن المقدمات- حتى نما وترعرع وضبطت مسائله، واتسعت مباحثه وعلومه.

وعدد هذه المقدمات التي قدمها المصنف بين يدي تفسيره بلغت عشر مقدمات، حسب تقسيم المصنف، يطول في بعضها نَفَس المؤلف طولاً ملحوظاً، في حين يقتصر في البعض الآخر على ذكر روايات بعدد، يرويها في المعنى الذي هو بصدده.

وقد سودت المقدمات مائة وست صفحات من الطبعة التي اعتمدتها أصلاً في هذه الدراسة، وهي الطبعة التي نحسبها خالية من الأخطاء بعناية الأخوين الفاضلين محمود وأحمد محمد شاكر.

وبالنظر في المقدمات العشر ودراستها بإمعان يلحظ المرء أن ابن جرير

قد أدمج موضوعات، وأدخلها تحت مسمًّى واحد، ربما لوحدة الموضوع، إلا أن من حقها أن تفرد، فهي موضوعات مستقلة، قائمة بذاتها، لها آثارها ورواياتها، ولها ضوابطها المستقلة ما دمنا قد ارتضينا فصل أو (نزع) علوم القرآن من علم الحديث والرواية وهو أمر تفهَّمه المتأخرون وارتضوه، وساروا عليه كالسيوطي وابن عقيلة وجل المعاصرين.

ومهما يكن الأمر؛ فإن هذه المقدمات تثبت بحق بلاغة المصنف الأدبية، وعظيم ما حصله من علم اللغة والبلاغة والأدب، الأمر الذي مكَّنه من صياغة هذه العلوم بأسلوب بليغ، وتقديمها قطعة أدبية لا يملّ القارئ النظر فيها، تجرُّه كل عبارة للتي تليها، وإن كانت بعض عباراته تعصى بين حين وآخر على القارئ فيلتجئ إلى ما حشاه المحقق من بيان معاني الكلمات وتوضيح العبارات، ليفهم النص على مراد المصنف.

هذا وقد طبعت المقدمات مع التفسير طبعات مختلفة في أقطار عديدة، نذكر منها:

١) الطبعة الأميرية بولاق، مصر، الطبعة الأولى عام ١٣٢٣ هـ.

٢) طبعة دار المعارف، مصر، ستة عشر مجلداً فقط، وهي بتحقيق الشيخين محمود وأحمد محمد شاكر، صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٣٧٤ هـ.

٣) طبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعات من الأولى إلى الثالثة عام ١٣٨٨ هـ.

٤) طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨ هـ، مصورة عن الطبعة الأميرية الأولى، وصورت بالأوفست إلى الطبعة الرابعة عام ١٤٠٠ هـ.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

استهل الطبري تفسيره ومقدماته التي قدمها بين يدي تفسيره بخطبة بليغة، ظهر فيها تعمقه في العلوم العربية، والنكات البلاغية، فبعد أن أثنى على الله بما هو أهله، وشكره على فضله، ونزّهه عن الند والمثل، تحدث عن فضائل الأنبياء عامة وكيف أن الله سبحانه قد أبانهم عن سائر خلقه بأن أيدهم بالحجج البالغة، والآي المعجزة، ثم خصَّ نبينا ﷺ فتحدث عن فضله وفضائله، ودعوته ورسالته، وما خص أمته وشرّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة.

وتكلم عن معجزة الرسول الكبرى، وكيف أنه تقدست أسماؤه جعله دليلاً على حقيقة نبوته ﷺ.

بعدها سأل الله سبحانه التوفيق لإصابة القول، وشكره على ما أنعم به عليه من حفظ كتابه والعلم بحدوده، ليؤكد أن أحق ما صرفت إليه الهمم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفة تنزيل من حكيم حميد.

وذكر أنه مقبل على شرح كتاب الله وتأويله وبيان معانيه، موضحاً منهجه وطريقته. ليبدأ بالمقدمات، وهي:

**١) القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن، ومعاني منطق من نزل بلسانه القرآن من وجه البيان، والدلالة على أن ذلك من اللّه تعالى ذكره هو الحكمة البالغة مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باينَ القرآن سائرَ الكلام.**

أراد ابن جرير أن يؤكد بادئ ذي بدء أن من لم يعان رياضة العلوم العربية، ولم يعرف تصاريف وجودة هذا اللسان يقف عاجزاً عن فهم معاني كتاب اللّه.

فذكر أن من أعظم نعم اللّه على خلقه -ونعمه لا تحصى- ما منحهم من فَضْل البيان حتى صاروا عن ضمائر صدورهم يبينون، وبه إياه يوحدون ويسبحون ويقدسون، وجعلهم في هذا الفهم طبقات، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وجعل أعلى منازل البيان درجة أبلغُه في حاجة المُبين عن نفسه، وأبينُه عن مراد قائله، وأقربُه من فهم سامعه.

وأشار إلى أن ما تجاوز هذا المقدار، وارتفع عن وسع الأنام كان حجة على من كانوا رؤساء صناعة الخطب والبلاغة، وقيل الشعر والفصاحة، والسجع والكهانة، وتدرج ابن جرير في القول على هذا المنوال ليثبت رسالة الرسول ﷺ، وليبين أن القرآن هو المعجزة الكبرى، وليقرَّ أصلاً معلوماً هو الإعجاز البياني، وكيف أن القوم كانوا عن الإتيان بمثل بعضه عَجَزَةً، وعن القدرة عليه نَقَصَة، فأقروا بالعجز، وأذعنوا بالتصديق.

بعدها سفَّه المصنف من تجاهل وتعامى، واستكبر وتعاشى، فحاول مجاراة النبي ﷺ فيما أتى به من الحق المبين، فقال من الحماقات المشبهة

دعواه الكاذبة.

وليؤكد المصنف أن معاني كتاب اللّه المنزل على نبينا محمد ﷺ هي لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائمة، ولأساليبه في أساليبها نظير ومثيل وإن كان مباينة كتاب اللّه بالفضل والفضيلة ظاهر أثبت منطقياً أنه تعالى يتعالى أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه، فالمخاطب والمُرْسَلُ إليه إن لم يفهم ما خوطب به أو أرسل إليه يكون حاله قبل الخطاب وبعد مجيئه سواء، إذ لم يفده الخطاب والرسالة شيئاً، ولهذا كان كل كتاب أنزل فإنما هو بلسان قوم من أنزل عليه، وعليه فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.

**٢) القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم.**

ما أقره الطبري في الباب السابق من تنزيه اللّه جل ذكره مخاطبة أحد من خلقه إلا بما يفهمه وهو أمر مسلم لا ينازع فيه بصير يثبت عربية جميع ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ولأنه ورد في بعض الآثار ما يوحي بأعجمية شيء من ألفاظ القرآن الكريم، وأنه بلغات أقوام وأجناس غير العرب وهو أمر مشكل يفيد ظاهره أن في القرآن من غير لسان العرب خصَّ المصنف الموضوع بحديث مستقل لتجلية الأمر، وتوضيح المراد.

فبعد أن عرض جملة من تلك الآثار المشكلة في ظاهرها، والتي لم يكثر منها إيماناً منه أن في ذكرها إطالة للكتاب دونما فائدة، بيَّن أن ما ورد في هذه

الآثار لا تخالف ما انتهى إليه في الباب السابق، ولا تخرج عن معناه، لكون ما جاء فيها لم تنفِ عربية تلك الكلمات، بل غاية ما دلت عليه هو وجود إتفاق بين الأجناس في معنى هذه الألفاظ، وهو أمر يقره المصنف، وعلى ذلك سرد احتمالات وأوجه ما قد يُبين أصول تلك الألفاظ، وانتهى إلى أن من يدعي أحقيته بأصل هذه الألفاظ، وأنه مصدرها ومخرجها إلى الأجناس الأخرى كان مستجهلاً ومدع أمراً لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بخبر يوجب العلم، ويزيل الشك، وهو أمر متعذر.

ويرى المصنف أن القول هو أن تضاف هذه الألفاظ إلى كل جنس من الأجناس المشتركة فيها، وكونها موجودة في لغة العرب لا تعني بالضرورة عدم وجودها في لغات أخرى، وضرب لذلك مثالاً، فقال: إن الدرهم والدينار والدواة والقلم، كلمات اتفقت ألسن العرب والفرس فيها بالألفاظ الواحدة، والمعنى الواحد.

بعدها رد المصنف على من يدعي استحالة هذا الاجتماع في المنطق قياساً على استحالة ذلك في الأنساب فأفسد القياس واعوجاج المنطق الذي قالوا به. لينتقل لعرض فهمه من قولهم: إن في القرآن من كل لسان، أي أنّ فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب وغيرها من الأمم التي تنطق به، لكون الاعتقاد بأن بعض القرآن فارسي لا عربي، أو نبطي لا عربي... إلخ، فيه نفي عن بعض القرآن أنه عربي، والله يصف القرآن كله بأنه عربي ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [يوسف: ٢] فالعربية صفة شاملة لا يجوز لأحد أن يخصص

شمولها على بعض القرآن دون بعض. ولكون البعض يقرون بإمكانية الاشتراك غير أنهم يدَّعون أن الأصل لجنس دون آخر، وأن الآخر إنما نطق بها، رد المصنف هذا الادعاء وأبطل هذا الزعم بإلزام المدعي بدليله.

**٣) القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب:**

ويُعدُّ هذا الموضوع نموذجاً للموضوعات التي طال فيها نفَسُ المصنف، فقد شغل أكثر من ثمان وأربعين صفحة من مجموع صفحات مقدمته البالغ مائة وست صفحات.

وسبق أن أشرت بأن ابن جرير إذا أراد إثبات أمر أو أراد نفيه تدرج في القول لتحقيق المراد بأيسر السبل وعلى أحكم الوجوه، وجاء هذا التدرج في المقدمات التي ذكرها بين يدي تفسيره، والتي سميتها أنواعاً اقتداءً بأصحاب الموسوعات في علوم القرآن، فبعد أن أثبت المصنف في النوع السابق عربية كل ما جاء في كتاب الله، ولكون ألسنة العرب كثيرة بكثرة قبائلها وأحيائها، أراد أن يبين في هذا النوع اللسان الذي نزل عليه القرآن من تلك الألسنة، فسرد الأخبار التي تظاهرت عنه ﷺ في اللغات التي نزل بها القرآن، والتي بلغت ستة وستون أثراً، رواها كلها بسنده، بينتْ بمجموعها نزول القرآن على سبع لغات، والاختلاف في قراءة الصحابة، وما أقرّ الرسول ﷺ منها، وما غضب لأجلها، واختلاف السلف في تفسير هذه اللغات، والأوجه والأحرف، ليؤكد أن القرآن نزل على بعض ألسن العرب دون الجميع، فألسنتها أكثر من سبعة.

عقب ذلك انتقل المصنف للتفريق بين اللغات السبع أو (الأحرف السبعة) والأبواب السبعة، وبه ردَّ على من تأول اللغات بالأبواب، وناقشهم في أدلتهم، وأكد نقلاً وعقلاً صحة ما تبناه، وخطأ ما ذهبوا إليه.

ولما ترجح لديه اقتناع القارئ بما ذهب إليه تساءل ليزيل احتمال شكٍّ يَعْلَق ببعض الأذهان إيجاد لفظة في القرآن تقرأ بسبع لغات، فقال نافياً ذلك: إنا لم نَدّعِ أن ذلك موجود اليوم.... ولم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخُيِّرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت.... فرأت قراءته بحرف، ورَفْضَ القراءة بالأحرف السبعة الباقية.

أتبع ذلك بيان العلة التي أوجبت الثبات على حرف واحد دون سائر الحروف، واستهل ذلك بذكر جملة من الآثار مشيراً إلى كثرتها في هذا المعنى، وموضحاً أن عثمان بن عفان ﷺ هو الذي جمع الأمة على حرف واحد إشفاقاً عليهم ورأفة بهم لما رأى التكذيب ببعض الحروف رغم حداثة عهدهم بنزول القرآن، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت في فعله الرشد والهداية، وتركت القراءة بالأحرف الستة.

ولهذا يرى الطبري أنه لا سبيل لأحد القراءة بها لأنها درست من الأمة معرفتها، وتعفَّت آثارها، وتتابع المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منها.

وليسوغ المصنف عمل سيدنا عثمان ﷺ في إلغاء الأحرف الستة على

اعتقاده وقبول الأمة ذلك منه، وتركهم قراءة أقرأهموها رسول اللّه ﷺ وأمرهم بقراءتها، بين أن الأمر كان أمر إباحة ورخصة، لا أمر إيجاب وفرض، وبين دليل التخيير.

وقبل أن يختم حديثه ببيان الألسن السبعة التي نزل عليها القرآن، وتحديدها أشار إلى ما أشكل على بعض العامة حين ظنوا أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع، فنفى الإشكال وأبطل الظن، وأكد أنه بمعزل عن قول الرسول ﷺ: «أُمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف».

وجاءت الخاتمة ليقرر المصنف أنه لا فائدة اليوم من معرفة تلك الأحرف لكونها لا يقرأ بها أحد، وليسرد بعض الأخبار الموضحة لها من غير أن يرجح بينها.

**٤) معنى قول الرسول ﷺ : «أنزل القرآن» من «سبعة أبواب الجنة» وذكر الأخبار الواردة في ذلك:**

حين أكد المصنف في النوع السابق أن اللغات السبعة التي نزل بها القرآن، هي غير الأبواب السبعة التي نزل منها القرآن، وبين هناك المراد بالأحرف السبعة، خصَّ هذا الباب لبيان المراد بالأبواب السبعة.

فاستهل الحديث بذكر اختلاف النقلة في ألفاظ الخبر الوارد عن رسول اللّه ﷺ الدال على نزول القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وهي ألفاظ متقاربة المعنى، وأشار في ثنايا حديثه إلى أن نزول

القرآن على النحو المذكور خاصية خصَّ اللّه بها أمة محمد ﷺ دون سائر الأمم.

وبيّن الفرق بين النزول على سبعة أحرف والنزول من سبعة أبواب، وقال: إن الكتب السابقة كانت تنزل على حرف واحد بلسان واحد، متى حُوِّل إلى غير اللسان الذي أنزل عليه كان ذلك ترجمة وتفسيراً لا تلاوة، أما القرآن الكريم فبأي السبعة تلاه التالي كان تالياً للقرآن، لا مترجماً ولا مفسراً حتى يحوله عن تلك الألسن. وهي معنى نزوله على سبعة أحرف، أما من سبعة أبواب فلكون الكتب السابقة كانت تنزل خالية من الحدود والأحكام، والحلال والحرام[1]، وكانت تنزل ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعها كتابنا الذي خص اللّه به نبينا ﷺ وأمته وهي: الأمر، والزجر، والحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال.

وبذلك أوضح أنَّ من سبقنا من الأمم كانوا يتعبدون اللّه بهذا الوجه، ويستوجبون منه القرب، أما أمة محمد ﷺ التي أنزل كتابها من سبعة أبواب فإنهم يتقربون إلى اللّه بالأوجه السبعة، وبه يأملون إدراك الفوز بالجنة، وبيَّن كيفية حصول ذلك.

ولأنه ورد في بعض ألفاظ الخبر أن لكل آية حد ومطلع، وظهر

---

(١) ذكر المصنف مثال ذلك زبور داود عليه السلام، وقال: إنه تذكير ومواعظ، وإنجيل عيسى عليه السلام كان تمجيداً ومحامداً وحضاً على الصفح والإعراض.

وبطن، بيّن المصنف المراد بذلك والمقصود منه، وبذلك أنهى المبحث.

**٥ – القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن:**

قدم المصنف لهذا النوع خلاصة ما توصل إليه في الأنواع السابقة، من عربية القرآن كله، ونزوله بألسن العرب، وأنها تقرأ اليوم ببعض الألسن دون جميعها، ثم تحدث عن الموضوع الذي هو بصدده، فبين أن أقسام التفسير – وهو ما عبر عنه بالوجوه التي من قِبَلها يصل إلى معرفة تأويل القرآن – فاستهلّه بسرد الآيات الدالات على أن تبيان الذكر هو من خاصيات الرسول ﷺ، وأن هذه الوظيفة – وظيفة البيان – هو فيما أمره اللّه أن يبينه، وأن من الآيات ما هو محكم، وآخر متشابه لا يعلم تأويله إلا اللّه، وبه وضّح أن التفسير ثلاثة أقسام:

١) قسم لا يوصل إلى تأويله إلا ببيان رسول اللّه ﷺ، إما بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أُمته على تأويله، وهو ما لا يجوز لأحد القول فيه.

٢) قسم لا يعلم تأويله إلا اللّه، استأثر سبحانه بعلمه على خلقه.

٣) قسم ثالث يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، وهذا يختلف فيه الناس ويتفاوتون حسب صلتهم بلغة القرآن.

وضرب المصنف الأمثلة على ما ذكره وختم المبحث ببيان ما جاء عن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – في بعض الروايات من كون الأقسام

أربعة، وأن الرابع هو ما لا يعذر أحد بجهالته، فأوضح أن ما ذكـره لا يعـد وجهاً يوصل إلى معرفة تأويله، وإنما هو إخبار عن ابن عباس بأن تأويلـه لا يجوز لأحد الجهل به.

وما ذكره المصنف تخريج جيد،وفهم مقبول لمقولة ابن عباس السابقة.

**٦- ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القـول في تـأويل القـرآن بالرأي:**

لما كان من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسـول اللّـه ﷺ، أو نصبه ﷺ الدلالة عليه - وهو الأمر الذي أقره المصنـف في البـاب السابق - عمد المصنف في هذا النوع إلى سرد جملة مـن الآثـار المحذِّرة مـن القول في القرآن بغير علم، وأكد أن وعيداً ورد في حق من يقول في القـرآن برأيه بعد أن ثبت قول الرسول ﷺ فيه،وإن أصاب القائل الحق في مقولتـه، وعلل إصابة القول من مثله بأنها إصابة خارص ظان ليس موقـن، والظـان قائل على اللّه ما لم يعلم.

وأوضح أن ما ذهب إليه هو مراده ﷺ من قولـه: «من قـال في القـرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ». وخطأه هو فعله من القول على اللّه بغير علم.

**٧ - ذكر الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومـن كان يفسره من الصحابة:**

انتهى بنا المصنف في النوع السابق إلى تأثيم من تقوّل على اللّه، فقـال

في القرآن برأيه بغير علم ولم يتتبع الوارد عن رسول الله ﷺ، ولأنه ﷺ لم يفسر القرآن كله، بل «فسر آياً بعدد علَّمه إياهنَّ جبريل»، كما ورد ذلك عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - ولكون المصنف ذكر من أقسام التفسير ما يعلمه كل ذي علم باللسان العربي، فقد كان من اللزوم أن يزيل المصنف ما قد يحصل من التباس وتعارض، ولهذا خص هذا النوع لذكر الأخبار التي رويت في الحض على التفسير وإعمال الفكر لفهم مراد اللّه العظيم، وذكر المبرزين من الصحابة في هذا الشأن.

بدأه بذكر الأخبار المروية، وأنهاه بفساد قول من أنكر تفسير المفسرين فيما لم يحجب عن الخلق تأويله، وبين البداية والنهاية أكد أن معرفة تأويل آي القرآن واجبة على الأمة، فقد حثَّ سبحانه على ذلك، وأمر عباده بالاتعاظ بأمثال القرآن والاعتبار بها، والاتعاظ والاعتبار لا يكون إلا عن طريق معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم، لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم مايقال له ولايعقله: اعتبر بما قيل لك.

وإذا كان ذلك كذلك عُلِمَ أنه سبحانه لم يأمر عباده بتدبر كلامه، ويحثهم على تفهم معانيه إلا وهم بما يدلهم عليه عالمون، ومنه صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آيه عارفون.

وبهذا جوَّز المصنف التفسير بالرأي على ما بينه، ولأنه تبقى بعض الآثار التي تفيد ظاهرها خلاف ما أقره المصنف هنا، خص لذلك النوع التالي، وهو:

**٨ - ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في القرآن:**

بعد أن سوغ المصنف التفسير بالرأي المبني على القواعد، وأثبت ذلك نقلاً، وبين ضرورته عقلاً، انتقل ليزيل الالتباس، ويوضح تلك الآثار التي تدل على إحجام ثلة من الصحابة والتابعين - رضي اللّه عنهم - عن القول في القرآن وتفسيره بالرأي، وتؤكد وقوفهم عند المأثور عن رسول اللّه ﷺ، فوجَّه الآثار، وخرَّج الأقوال، وبين المراد منها، وعلل أن إحجام من أحجم عن خوض هذا الميدان إنما هو إحجام حذر أن لا يبلغ أداء ما كُلِّف من إصابة صوابِ القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء الأمة، غير موجود بين أظهرهم، تماماً كإحجام بعض التابعين عن الفُتيا في النوازل والحوادث، مع إقراره بأن اللّه جل ثناؤه لم يقبض نبيه إليه إلا بعد إكمال الدين لعباده، وعلمه بأن للّه في كل نازلة وحادثة حُكماً موجوداً بنصٍّ أو دلالة.

وهكذا استند المصنف في بيانه هذا إلى المنقول من الأثر، والمعقول من صريح الرأي.

**٩ - ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير، ومن كان منهم مذموماً علمه به:**

عُرف بالتفسير من المتقدمين صنفان:

صنف نقل عنه التفسير المحمود المقبول المعتمد على القواعد

والأصول، والصادر عن علم ودراية، مثل ابن عباس ومجاهد.

وصنف أقحم نفسه هذا الميدان وليس لـه فيه ناقة ولا جمل، فهذر وتقوَّل حتى نقل عنه المذموم المستنكر، مثل باذام(١) والسدي.

ذكر ابن جرير -رحمه الله - في هذا النوع نتفاً من أخبار الصنفين المذكورين، روى الأخبار بإسناده، وأكد ما سبق أن بيَّنه من وجوه تأويل القرآن، موضحاً أن أحق الناس بالتفسير وإصابة الحق أوضحهم حجة فيما تأوَّل وفسَّر، مبيناً أن وضوح الحجة يكون من جهتين:

**الأولى**: معرفته بالثابت عنه ﷺ من أي جهة كان ثبوته(٢).

**الثانية**: معرفته باللسان من جهة علمه بالشواهد من الأشعار، ومنطق العرب ولغاتهم المعروفة.

مؤكداً أن من كانت هذه صفته كان تفسيره معتمداً لا يخرج عن تفسير الصحابة والتابعين.

---

(١) هو باذام، وقيل: باذان، أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب ،قال ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ليس بثقة. ذكره البخاري فيمن توفي بين سنة (٩٠- ١٠٠ هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي: ٤/ ٦ - وتاريخ البخاري الكبير: ٢/ ١/ ٤٤٤.

(٢) كالنقل المستفيض، والنقل عن العدول والأثبات، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته.

**١٠ - القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه:**

أورد المصنف في هذا النوع الأسماء التي سمى المنزِّل سبحانه بها تنزيله، فذكر « الْقُرْآنٌ » و « الْفُرْقَانُ » و « الْكِتَاب » و « الذِّكْرُ » ، كما ذكر لكل تسمية دليلها من كتاب الله، ووجه التسمية من كلام العرب، والخلاف في ذلك.

انتقل بعدها لعرض أسماء سور القرآن التي سماها بها رسول الله ﷺ، وعرض الآثار الواردة فى ذلك، وتوجيه تلك الأسماء ومعانيها في كلام العرب، كتسميته ﷺ بعض السور بالمفصل والمئين والسبع المثاني وغيرها.

وثلَّث الحديث ببيان معنى السورة في اللغة، ثم أصل الاشتقاق، والمعنى على كل أصل، مدعماً قوله بكلام العرب وأشعارها.

وأخيراً بيَّن معنى الآية في اللغة وما تحمله من وجوه.

وبهذا الموضوع ختم ابن جرير مقدماته، ليبدأ بمقدمات سورة الفاتحة، أول سورة في الترتيب العثماني.

**رابعاً- منهج ابن جرير في مقدمته:**

أوضح ابن جرير السمات الأساسية لمنهجه حين ذكر في مقدمته أنه مقبل على إنشاء كتاب في شرح القرآن وتأويله،وبيان معانيه، مبيناً أن منهجه فيه هو بيان ما اتفق عليه العلماء وما اختلفوا فيه، وذكر أدلة كل

مذهب مع بيان الصحيح منه والسقيم، بعبارة موجزة، واختصار غير مخلّ.

وهو نهج قويم لو التزمه المصنف وسار عليه باطراد، غير أن المتابع يلحظ أن المؤلف يخلُّ بنهجه من حين لآخر، وإن كان هذا الإخلال في التفسير أكثر منه في المقدمة، التي التزم فيها إلى حد كبير بما ذكره، ولعل الإطالة في ذكر طرق بعض الروايات في أحايين كثيرة، وعدم بيان درجة كثير من الآثار خير شاهد على هذا الأمر، ولست أزعم وحدة المنهج بين المقدمة وصلب التفسير إلا في كليات المنهج، أما في الجزئيات فالفرق والتباين بين طبيعة الموضوعين يستدعي الاختلاف في نهج المعالجة.

هذا وقد جاءت مقدمة الطبري بمقدماته العشر، كمقدمة واحدة، وهو أمر أراده المصنف، فقد ربط كل مقدمة بالتي قبلها،ووصلها بالتي تليها، وعلى المتقدم بنى المتأخر[1]،وهو نهج اتبعه ابن جرير - يرحمه اللّه- حتى ضمن النوع الواحد، فإن انتصر لفكرةٍ أو رأيٍ، سعى لإثبات ذلك منطقياً، ينطلق من أمر هو من البدهيات، ثم يتدرج في الجزئيات، كل جزئية تكون نتيجة للتي قبلها، حتى إذا اكتمل العقد صرَّح المصنف بمراده، وأظهر ما أضمره ويريد لإثباته، ويمكن ضرب المثل على هذا المنهج بالمقدمة الأولى.

فلكي يثبت المصنف أن القرآن الكريم نزل على أساليب كلام العرب ومعانيها، بيَّن أولاً أن من أعظم نعم اللّه على عباده ما منحهم من فضل

---

(١) انظر امثلة ذلك في الصفحات: ١٣-٢١-٧٣ من المقدمة.

البيان الذي به يعبرون عن ما في صدروهم، وأنهم في هذا البيان متفاوتون، ما بين خطيب مُسهبٍ وعَيٍّ لا يُبين، وأن أعلى مراتب البيان أَبْيَنُه عن مراد قائله،وأبلغه عن حاجة المبين عن نفسه، وأقربه إلى فهم سامعه، فإن تجاوز هذا المقدار، وعجز أن يأتي بمثله العباد كان حجة وعلماً للرسول.

وعلى ذلك بيّن أن القرآن هو في أعلى درجات البيان لأنه تعالى تحدى به قوماً كانوا رؤساء الفصاحة، وقيل: الشعر والسجع والكهانة، فأقروا بالعجز وأذعنوا بالتصديق، فكان فضل كلام اللّه على كلام غيره كفضله جلَّ وعلا على عباده.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن من خاطب غيره بما لا يفهمه لم يكن مبيناً عن نفسه، وعليه بنى المصنف استحالة مخاطبة اللّه جلا وعلا أحداً، من خلقه بما لا يفهم، أو إرساله رسولاً لقوم لا يفهمون خطابه، إذ إن ذلك لا يوجب فائدة، وهو أمر يستحيل على اللّه سبحانه، وعلى ذلك فكل رسول أرسل بلسان قومه، وكل كتاب أنزل بلسان من نزل عليه، وعليه فالقرآن الكريم نزل بلسان محمد ﷺ، فَبيِّنٌ أن القرآن عربي.

ويستوجب ذلك أن تكون معاني كتاب اللّه تعالى المنزّل على محمد ﷺ لمعاني كلام العرب موافقة،وظاهره لظاهر كلامها ملائمٌ.(١)

ولطول باع ابن جرير، وتمكنه في فنون العلم المتنوعة، فإن كل ما يمليه

---

(١) انظر الصفحات: ٨-١٢ من المقدمة.

يؤيده بالأدلة والحجج، فيستشهد بالآيات والأحاديث والآثار واللغة والشعر، فإن كانت طويلة أو عديدة أحال القارئ إلى موطنها من صلب التفسير، أو اعتذر عن ذكرها خشية الإطالة والسآمة، مصرحاً بذلك من حين لآخر.(١)

يبدأ ابن جرير حديثه عن الموضوع الذي هو بصدد بيان القول فيه بذكر الروايات والآثار، ثم يعقب بالمناقشات وبيان الآراء والاتجاهات، ثم الرد على المخالفين، والتصريح برأيه.(٢)

ولعل أظهر سمة لمنهج ابن جرير في مقدمته هو ما عمد إليه في عرض الموضوعات والمناقشات بأسلوب علمي هادئ يكفي القارئ مؤنة السؤال والاستفسار، فللوصول إلى بيان الفكرة التي يريد إثباتها، يطرح المصنف سؤالاً على لسان قائل، ثم يجيب عنه، أو يورد معضلة أو إشكالاً يعقبه بالتوضيح المدعوم بالأدلة، وهذا الفن هو ما يسمى بفن (الفنقلة)(٣)، وهو أسلوب جيد يربط القارئ بالنص ويشده إليه، ويبعد عنه السآمة والملل، يلجأ إليه كثيرون في حل المسائل العويصة والطويلة المملة.(٤)

---

(١) انظر مثال ذلك الصفحات: ١٤-١٥.

(٢) انظر مثال ذلك الصفحات: ١٦-١٧-١٩-٥٧.

(٣) أي المراد: إن قيل:..قلت:..

(٤) انظر الصفحات: ١٥-١٦-٢١-٤٧-٥٥-٥٩.

ومن منهج ابن جرير يرحمه اللّه يضيف إلى أدلتــه النقليـة أدلـة عقليـة قوية، فيجمع بذلك بين العقل والنقل في مناقشـاته، وهومنهـج قويـم يزيـد القارئ قناعة، ويلزم على المصنفين نهجه إن كان الموضوع محلاً لذلك، وإلا بقي في نفس القارئ ما قـد يضعـف الاقتنـاع، والأمثلـة علـى هـذا المنهـج عديدة[(١)].

والمستغرب في منهج المصنف أنه لا يعيِّن القائل عنـد ذكـره للأقـوال، ولا ينسب الآراء أثناء مناقشاته،بل يكتفــي بقولـه: فـإن قـال لنـا قـائل. أو بقوله: قال بعض من خفت معرفته.أو قوله: قال جماعة. إلى غـير ذلـك مـن العبارات التي لا تبين القائل.[(٢)]

وإذا ارتضينا بعـدم تعيـين المصنـف للقـائل عنـد إيـراد الإشـكالات، وقلنا: إنه أسلوب كتابي يقصد منـه التوضيـح بعـد إيـراد اعـتراض يـورده الكاتب على نفسه، لعلمه أن ذلك قد يورد في ذهن القارئ، فإننا لا نرتضي ذلك للمصنف في الحالات التي ينبغي بل يتعين فيها تعيين القائل، فمن حق أولئك أن يُعَيَّنـوا ويُذْكَـروا، حتـى يعرفـوا وحتـى يوثـق القـارئ بالمعلومـة ويطمئن إليها، ويتأكد منها، ثـم إن مـن بركـة العلـم أن يضـاف القـول إلى قائله.هذا واللّه أعلم.

---

(١) انظر الصفحات: ٤٨-٤٩-٥٠-٨٢-٨٣.

(٢) انظر الصفحات: ٤٧-٦٤-٦٥-١٠٣.

**خامساً: مصادر المؤلف:**

لم يذكر الطبري في مقدمته التي بلغت مائة وست صفحات مصدراً واحداً من مصادره، ولا صرَّح باسم قائل خلا أولئك الذين يذكرهم في أسانيد الروايات، وكان من حق القارئ على المصنف أن يذكر مصدر معلوماته، وأن يحيل القارئ إلى مظان تلك المعلومات، بأن يذكر بعض من ألف في الموضوع الذي يريد طرقه ليرشد من أراد التوسع إلى منابعه، وهو ما تفطن له كثير من المصنفين، من أقران المصنف ومن المتأخرين، فصنيعه هذا إذاً ليس عائداً إلى منهجية التأليف زمن المصنف كما يرى بعض الباحثين.

**سادساً: أهم مزايا مقدمة ابن جرير:**

أومأت قبل أن الريادة في أي فن من الفنون لا بد أن تترك جوانب نقص، يأتي المتأخر فيكمل ويضيف ويتمم حتى يستوي على سوقه، وتبقى المزية والفضل للرائد الذي بذر البذرة، ووضع الأساس، وعلى هذا كان من أهم مزايا مقدمة ابن جرير هو الريادة بوضع مقدمة تضم علوماً يحتاج إليها المفسر، كما يحتاج إليها القارئ للتفسير، فلم يسبقه فيما أعلم في هذا المجال أحد، إلى جانب مزايا أخرى امتاز بها المصنف:

١) حسن الترتيب والتبويب، حيث تدرَّج المصنف في ذكر العلوم بأن بنى كل علم على الذي قبله.

٢) احتكام المصنف إلى الرواية أصلاً وأساساً في تصويب الآراء.

٣) إيـراد المصنـف للإشـكالات الـتي قـد تـرد علـى المسـألة بشـكل تفصيلي، والرد عليها تفصيلاً نقلاً وعقلاً.

**سابعاً: أظهر المآخذ على المقدمة:**

فلعل أكثر ما يؤخذ على المصنف في مقدمته:

١) هو عدم ذكره لموضوعات تعد من أهم ما يجب علـى قـارئ علـم التفسير الاطلاع عليه، وللمفسر الإلمام به، لتتم الفـائدة ويكتمـل المقصـود، كعلم المكي والمدني وعلم الناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

٢) إغفال المصنف لكثير من العلوم التي تدخل تحت مسمى أصول التفسير.

٣) ومن المآخذ: التطويل بإيراد الطرق العديدة لإفادة معنىً واحد.

٤) الإكثار من الأدلة في المسألة الواحدة.

٥) عدم بيان درجة كثير من الروايات. والله أعلم.

# ٣- تفسير القرآن العظيم

## لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة (٣٧٣ هـ)

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مصنف هذا التفسير هو إمام الهدى،أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي البلخي[١] المولود بسَمَرْقَنْد[٢] من خراسان.

لم تذكر المصادر سنة ولادته، وإن كان بعضهم قد أشار أنه عاش قريباً من سبعين عاماً، ولكون وفاته كانت عام (٣٧٣هـ) على الراجح يتبين من ذلك أنه ولد في مطلع القرن الرابع الهجري، والله أعلم.[٣]

تربى أبو الليث في أسرة مغمورة لم تعرف بالعلم، وإن كان والده من المحبين لمجالس العلماء، فقد روى الابن بعض المرويات عن أبيه خاصة تلك المتعلقة بالوعظ، وقد استطاع الوالد أن يدفع بولده إلى مجالس العلم حتى حقق ما حققه من تقدم في العلوم والفنون، ساعده في ذلك أن أبا الليث

---

(١) انظر: الجواهر المضية للقرشي: ٣/ ٥٤٤ - وتاج التراجم لأبن قطلوبغا: ٣١٠.

(٢) سمرقند بلد مشهور من خراسان، قيل: من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر. انظر: معجم البلدان لياقوت: ٣/ ٢٤٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم لأبي الليث، تحقيق عبد الرحيم الزقة: ١/ ٤٩.

عاش في فترة انتشرت فيها العلوم انتشاراً عظيماً، بالرغم من الحالة السياسية المضطربة التي شهدتها خراسان وسائر البلاد الإسلامية، فالسامانيون[١] الذين كانوا يحكمون سمرقند، كانوا يكرمون أهل العلم ويقربونهم، ويحثون الطلبة بشتى الوسائل إلى التعمق والنبوغ في العلوم، فتحوا لذلك معاهد العلم، وازدهرت المكتبات، ونسخت المصنفات وتوزعت، حتى كان هذا الإقليم من أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء.[٢]

عاش السمرقندي بدايات حياته في هذا الجو المفعم بالنشاط العلمي، وإكرام أهل العلم وذويه، ورغم ذلك لم تذكر كتب التراجم غير أبي جعفر الهنداوي المتوفى (٣٦٢هـ) شيخاً لأبي الليث. وكان الهنداوي واسمه محمد ابن عبدالله إماماً في عصره وعلى جانب عظيم من الفقه والذكاء والزهد والورع[٣].

---

(١) السامانيون نسبة إلى (سامان الفارسي)، وهو جد الأسرة السامانية، أسلم في أواخر العهد الأموي، وهو من أصل فارسي. انظر: اللباب لابن الأثير: ٢/ ٥٢٤، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي لحسن إبراهيم: ٣/ ٧١.

(٢) انظر: اللباب لابن الأثير: ٢/ ٥٢٤ - وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي لحسن إبراهيم: ٣/ ٣٣٢-٣٣٤.

(٣) انظر: الجواهر المضية للقرشي: ٣/ ١٩٢ و٥٤٤- وتاج التراجم لابن قطلوبغا: ٢٦٤و٣١٠ - والفوائد البهية: ١٧٩- ومفتاح السعادة لكبرى زاده: ٢/ ٢٧٧، والشذرات لابن العماد: ٣/ ٤١.

كما توصل بعض الباحثين[١] إلى معرفة أسماء عدد من شيوخ أبي الليث وذلك بتتبع مصنفاته، أذكر منهم:

الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الحدادي[٢]، والخليل بن أحمد السجزي[٣]، هذا إضافة إلى والده وغيره من أهل العلم.

وقد استفاد أبو الليث من تلك الكوكبة استفادة عظيمة، فتكونت لديه منذ الصبا ملكة البحث والتحقيق، حتى غدا علماً يشار إليه في الفقه والتفسير والوعظ، فعرف بإمام الهدى، ولقب بالفقيه حتى أصبح هذا اللقب ملازماً له، فلا يذكر إلا به.

**أما تلامذة أبي الليث** فقد اقتصدت المصادر بذكرهم أيضاً، ومنهم أبو عبدالله

---

(١) هو الزميل/ صالح يحيى صواب، انظر تحقيقه لتفسير أبي الليث: ١/ ٢٠.

(٢) انظر: تنبيه الغافلين لأبي الليث: ٨١ .

والحدادي هو محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي، شيخ مرو في الحديث والفقه والفتيا، توفي (٣٨٨ هـ). أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٤٧٠ - الجواهر المضية للقرشي: ٣/ ١٤٤.

(٣) انظر: تنبيه الغافلين لأبي الليث: ٨٨

والسجزي هو الخليل بن أحمد بن محمد السجزي، شيخ أهل الرأي في زمانه، ومن أعظم الناس كلاماً في الوعظ، توفي (٣٧٨هـ). انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا: ١٦٧- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٤٣٧ - والجواهر المضية للقرشي: ٢/ ١٧٨.

طاهر بن محمد بن أحمد الحدادي صاحب عيون المجالس(١)،ولقمان بن حكيم الفرغاني(٢)، وقد أخذ هؤلاء وغيرهم العلم عن المصنف كما أخذوا عن مصنفاته، حيث اشتهرت مؤلفاته حتى نعته القرشي(٣)في جواهره بقوله: هو الإمام الكبير صاحب الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة(٤).

والذي يظهر أن المصنف اشتغل بالتأليف دهراً من الزمن، وترك ثروة علمية ضخمة بلغت في تعداد بعضهم(٥) أكثر من ثلاثين تصنيفاً في فنون العلم المتعددة، أذكر منها:

خزانة الفقه (مطبوع)، ومختلف الرواية في الخلافيات (قدمت رسالة علمية في جامعة الإمام كلية الشريعة)، وعيون المسائل في الفروع (مطبوع)،

---

(١) انظر: الأنساب للسمعاني: ٤/ ٨١ - وتفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق/ صالح صواب: ١/ ٢٢.

(٢) انظر: الجواهر المضية للقرشي: ٢/ ٧١٨ - وتفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق صالح صواب: ١/ ٢٢ - وينظر تفسير القرآن الكريم لأبي الليث، تحقيق عبد الرحيم الزقة (مطبوع): ١/ ٥٣-٦٦.

(٣) هو عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر اللّه القرشي ، فقيه ماهر، عنى بالطلب وكتب كثيراً، جمع طبقات الحنيفة، وخرج أحاديث الهداية، توفي (٧٧٥ هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٢/ ٣٩٢- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٣٨.

(٤) انظر الجواهر المضية للقرشي: ٣/ ٥٤٤.

(٥) انظر: تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية) تحقيق صالح صواب: ١/ ٢٧.

ورسالة في أصول الدين، وتنبيه الغافلين (مطبوع)، قرة العيون ومفرّح القلب المحزون (مطبوع). وغيرها من التآليف المفيدة.(١)

**وفاته:**

اتفق المترجمون لأبي الليث أنه توفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من شهر جمادى الثانية، واختلفوا في تحديد العام الذي توفي فيه، والراجح أنه عام (٣٧٣هـ)(٢) لكونه يوافق الحادي عشر من شهر جمادى الثانية في سنة (٣٧٣هـ) دون غيرها من السنوات المذكورة.(٣)

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

---

(١) انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا: ٣١٠- والجواهر المضية للقرشي: ٣/ ٥٤٥ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٨٧-٧٠٣-١١٨٣ - ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ٢/ ٢٧٧.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٦/ ٣٢٢ - والجواهر المضية للقرشي: ٣/ ٥٤٥ - والفوائد البهية: ٢٢٠- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٢٤٣ - ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ٢/ ٢٧٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق صالح صواب: ١/ ١٨. وينظر للمزيد في ترجمته: الأعلام للزركلي: ٨/ ٢٧- وتاج التراجم لابن قطلوبغا: ٣١٠- والتفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٢٢٥- والجواهر المضية في تراجم الحنفية للقرشي: ٣/ ٥٤٤ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٣٢٢- وطبقات المفسرين للداوودي: ٢/ ٣٤٦- والفوائد البهية: ٢٢٠- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٤١- ومعجم المؤلفين لرضا كحالة: ١٣/ ٩١ - ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ٢/ ٢٧٧- وهدية العارفين للبغدادي: ٦/ ٤٩٠.

لقي هذا التفسير الاهتمام والعناية منذ عهد قديم، حين ترجمه إلى التركية ابن عربشاه الحنفي[(١)]،وحين خرَّج أحاديثه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي[(٢)(٣)].

وقد اختلف في عنوانه، فذهب بعضهم إلى تسميته (بحر العلوم) وهو العنوان الذي اشتهر به، وحملته النسخة المطبوعة من التفسير، غير أنه ترجح لدى ثلة من المعنيين بهذا التفسير والمشتغلين به، أن هذه التسمية وردت خطأً على بعض نسخ الكتاب المخطوط، وهو من عمل المتأخرين، فبحر العلوم تفسير لسمرقندي آخر غير أبي الليث، ورأى هؤلاء أن الصحيح هو أن يقال: (تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي) أو نحو ذلك.[(٤)]

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم، المعروف بابن عربشاه، مؤرخ له اشتغال بالأدب، كان مجيداً للعربية والفارسية والتركية، ترجم بعض المصنفات، له منتهى الأرب في لغات الترك والعجم والعرب، توفي (٨٥٤ هـ). انظر شذرات الذهب لابن عماد: ٧/ ٢٨٠- والبدر الطالع للشوكاني: ١/ ١٠٩.

(٢) هو قاسم بن قطلوبغا بن عبد اللّه المصري الحنفي، عالم متفنن أثنى عليه مشايخه، سما في العلم وانتشر صيته، له تاج التراجم وغيره، توفي (٨٧٩ هـ). انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٧/ ٣٢٦- والبدر الطالع للشوكاني: ٢/ ٤٥.

(٣) انظر: البدر الطالع للشوكاني: ١/ ١١٠ - وكشف الظنون لحاجي خليفة: ١/ ٤٤١.

(٤) حول تسمية الكتاب انظر: تفسير القرآن الكريم لأبي الليث، تحقيق عبد الرحيم الزقة (مطبوع): ١/ ٩٢- وتفسير القرآن لأبي الليث تحقيق: الشيخ صالح يحيى صواب: ١/ ٣٤، والأعلام للزركلي: ٨/ ٢٨.

يُعَدُّ تفسير أبي الليث مصدراً من مصادر التفسير بالمأثور حيث اعتمد المصنف تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسُّنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، كما أورد أقوال أهل العلم السابقين، وأعمل الرأي واجتهد في تفسير بعض الآيات، وبين رأيه غير أن اعتماده المأثور كان الغالب، وبالرغم من أن أبا الليث لم يذكر تفسير ابن جرير في تفسيره غير أنه سلك المسلك نفسه في نقل المأثور من الروايات والأقوال، وإن كان ابن جرير قد ساق ذلك بأسانيده فحصر تفسيره على المختصين، بخلاف أبي الليث الذي حذف الأسانيد فجعله للعامة والخاصة.

وكما أفاد ابن جرير من اللغة وجهود أهلها في بيان المعاني والتراكيب كذلك أفاد أبو الليث، فاعتمد كثيراً على الزجاج والفراء وابن قتيبة وغيرهم.

كما أولى المصنف اهتماماً بالقراءات القرآنية، ومعاني القرآن وإعرابه، وأحكام القرآن، والمغازي والسير، والوعظ، والزهد، والحِكَم.

وطريقة أبي الليث أنه يفسر القرآن بالجزء، ويسرد الأقوال في بيان المعاني، ولكنه نادراً ما يرجح بين الأقوال، وقليلاً ما يذكر اختياره.

وبالرغم من تأثر بعض الأعلام بالمصنف، والنقل عنه، واعتماده أقواله، كالقاضي عياض[1]، والكرماني[2]، والقرطبي ت(٦٧١هـ)،

(١) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي، إمام في الحديث وعلومه،=

والسيوطي ت(٩١١هـ) والبرسوي ت(١١٢٧)[1] وغيرهم، فإنه يؤخذ على هذا التفسير مآخذ عديدة أشار إليها المشتغلون به[2]، من أهمها الركاكة في العبارة، والضعف في التعبير، الذي ظهر في مواطن عديدة منه، والإسهاب والاستطراد في سرد الحكاية التي لا فائدة منها، إضافة إلى اعتماده بعض الأحاديث الضعيفة.

وقد جاءت مقدمة أبي الليث قصيرة موجزة، أشار المصنف فيها لمسألتين فقط، الأولى في بيان الحاجة إلى علم التفسير، والأخرى في إباحة التفسير بالرأي المبني على وجوه اللغة وأحوال التنزيل، واستدل على ما ذهب إليه ببعض الآثار روى بعضها بسنده.

وقد طبعت المقدمة ثلاث طبعات، الأولى منها نسخت على الآلة الكاتبة، وقدمت رسالة علمية من (أول الكتاب إلى نهاية سورة الأنعام)،

---

=والنحو واللغة، وأيام العرب وأنسابها، تصانيفه عديدة منها المدارك، توفي (٥٤٤ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠/ ٢١٢ - والبداية والنهاية لابن كثير: ١٢/ ٢٢٥.

(٢) هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، المعروف بتاج القراء، له تفسير فيه أراء مستنكرة، توفي (٥٠٥هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ٢/ ٢٧٧- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣١٢.

(١) هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي، تركي مستعرب، له روح البيان في التفسير، توفي (١١٢٧هـ) انظر: الأعلام للزركلي: ١/ ٣١٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق صالح صواب: ١/ ٧٣.

إلى جامعة القاهرة، كلية دار العلوم عام ١٩٨٣م، نال بها الباحث عبد الرحيم أحمد الزقة، درجة الدكتوراة.

ثم طبعت بمطبعة الإشارد في بغداد عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الطبعة الأولى في ثلاثة مجلدات.

والطبعة الأخرى أيضاً نسخت على الآلة الكاتبة مع سورتي الفاتحة والبقرة، قدمت رسالة علمية إلى كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نال بها الباحث الدكتور/ محمد آل عبد القادر درجة الدكتوراة في القرآن وعلومه.

وطبعت طبعة ثالثة وظهرت كاملة غير منقوصة، في ثلاثة مجلدات، وصدرت عن دار الكتب العربية في بيروت، عام ١٤١٣هـ، بتحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

على غير عادة المفسرين الذين يستهلون تفاسيرهم بخطبة موجزة يثنون فيها على المنعم الذي جعلهم من أهل القرآن، ووفقهم للتأليف في تفسيره، كما يبينون مناهجهم ومصادرهم والباعث على التأليف وغير ذلك قبل الشروع في المقدمة التي تخصَّص في العادة للبحث في بعض المسائل الهامة للمفسر، على غير هذا النهج استهل أبو الليث مقدمته بسرد شيء من الآيات والآثار التي تحث على طلب علم التفسير، وتبين مدى الحاجة

إليه لمن أراد فهم مراد اللّه تعالى، ليقرر بذلـك أن طلـب التفسـير والتـأويل واجب ما دام أنه تعالى أنذرهم بهـذا الوحـي ﴿وَأُوحِـيَ إِلَـيَّ هَـذَا الْقُـرْآنُ لأنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وليس معنى هذا أن لكل أحد أن يطرق باب التفسير مـن ذات نفسـه برأيه، بل من اللزوم معرفة وجوه اللغة وأحوال التنزيل، فقد ورد التحذيـر الشديد من الشارع في حق من يقدم على مثل ذلك، وروى المصنف في هذا المعنى بعض الآثار التي تبين تحرُّج جماعة من الصحابة من القـول في القـرآن بالرأي. وبه ختم المقدمة، ليشرع في تفسير البسملة فالفاتحة.

# ٤- النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم

## لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة (٤٥٠هـ)

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مصنف هذا التفسير هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري(١). والماوردي بفتح الميم والواو وسكون الراء في آخرها دال مهملة نسبة إلى بيع الماورد وعمله.(٢) والبصري نسبة إلى موطنه.

عاش الماوردي ستة وثمانين عاماً، ولم يذكر المترجمون تاريخ ميلاده، غير أن حسم هذا العمر من سنة الوفاة الذي هو عام (٤٥٠هـ) يوضح لنا أنه ولد عام (٣٦٤هـ).(٣)

تربّى الماوردي في موطنه البصرة، في أسرة يغلب عليها الاهتمام بالعلم، وتلقى تعليمه الأولي برعاية والده الذي دفعه إلى حلقات العلم، وكانت البصرة في عهده مركزاً للعلم والحضارة، وعلى درجة عالية من

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٦٧ - ومعجم الأدباء لياقوت: ١٥/ ٥٢ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/ ٢٨٥.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني: ٥/ ١٨١- وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/ ٢٨٧.

(٣) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١٢/ ١٠٢ -وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٩- وانظر ما كتبه أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع في مقدمة تحقيقه للنكت والعيون: ١/ ٨.

التقدم العلمي والحضاري، وهو السر الذي دفع قوافل طلبة العلم التوجه إليها، وكانت الثانية بعد بغداد، وحين استكمل البدايات، وتقدم في التحصيل، وتضلَّع من ينابيع البصرة العلمية، وجه النظر إلى بغداد، العاصمة العلمية، فشد الرحال وودع الأهل لينضم إلى حلقات العلم هناك، ولينتظم بها، وما أن أخذ مكانه، حتى انكبَّ على الدرس والمطالعة في جو مفعم بالحركة والنشاط والحيوية، وزاحم مئات الطلبة في مدينة تعجُّ بأهل العلم، علماء ومتعلمين، في زمن كان لأهل العلم عامة والعلم الشرعي على الخصوص مكانتهم ومنزلتهم وتقديرهم الخاص، حتى كان السلاطين والأمراء يتباهون بأصحاب العمائم في مجالسهم، ويقربونهم ويغدقون عليهم العطايا والهبات، وقلّما يردون أحكامهم.

وظل الشيخ يتنقل في هذا الخضم الهائل من أهل العلم من عالم إلى آخر حتى حصل غايته، ونال مبتغاه، وتخرّج على أيدي ثلّة من أولئك المبرزين في علوم عديدة، فقُدِّمَ للتدريس، وقرر العودة إلى موطنه معلماً بعد أن كان تركها طالب علم، وتصدَّر للتدريس هناك مدة ثم عاد الكَرّة إلى بغداد ليستقر به المقام، دون أن يغادره الشوق والحنين إلى مراتع الصبا، وكانت المراسلات بينه وبين أحبته هناك تسد مسد الرؤية.

بقي في بغداد مدرساً فقاضياً ثم أقضى القضاة، وانكبّ على التأليف والتصنيف حتى اشتهر صيته وذاع اسمه، وانتهت إليه رئاسة وإمامة

المذهب الشافعي في عصره.[١]

لقي الماوردي تقديراً وإكراماً واضحين من أهل عصره، لما امتاز به يرحمه اللّه من علوّ الهمة وطول الباع في العلوم والمعارف، ولما عرف به من الوقار والأدب، يقول السبكي: كان إماماً جليلاً رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب، والمتفنن في سائر العلوم.[٢]

ويقول ابن كثير: كان حليماً وقوراً أديباً.[٣] ويقول تلميذه ابن خيرون[٤]: كان رجلاً عظيم القدر، متقدماً عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن من العلم.[٥]

وحين يصف عبد الملك الهمذاني[٦] وهو تلميذ له أدبه الجم وحياؤه

---

(١) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١٢/ ١٠٢ - وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٦٧-٢٦٩ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/ ٢٨٥-٢٨٧.

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٦٨.

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ١٢/ ٨٠.

(٤) هو أحمد بن الحسن بن خيرون، المعروف بابن الباقلاني ، محدث بغداد، كان ثقة عدلاً واسع الرواية، توفي (٤٨٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ١٠٥- ولسان الميزان لابن حجر: ١/ ١٥٥.

(٥) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٦٨ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/ ٢٨٦.

(٦) هو عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الهمذاني ، عرف عنه العلم بالفرائض والقسمة=

ووقاره يقول: لم أرَ أوقَرَ منه، ولم أسمع منه مُضحِكَةً قط، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا.[١]

وقد عرف عن الماوردي إلى جانب الرسوخ في العلم، الجرأة في قول الحق والصراحة فيه فهو لا يخشى في اللّهِ لومة لائم، وعظيمَ التقدير لأهل العلم، والتواضع والبعد عن العجب بالذات، كما عرف عنه أنه كان أواباً، متى عرف الخطأ تراجع عنه، وسيرته مليئة بأخبار تحكي هذه المعاني.[٢]

وأشيع عن الماوردي أنه معتزلي، يقول ببعض مقولاتهم، وأول من اتهمه بذلك ابن الصلاح[٣] المحدث عفا اللّه عنه[٤] وتبعه آخرون، وتصدى للتهمة ثلة من أهل العلم[٥]، وبقي الاتهام مدار البحث بين مثبت ونافٍ،

---

=والتركات، عُرض عليه القضاء فامتنع، توفي (٤٨٩هـ). انظر: طبقات السبكي: ٥/ ١٦٢ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ٣١.

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت: ١٥/ ٥٤.

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٧٠-٢٧٢- وأدب الدنيا والدين للمصنف: ٨١.

(٣) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث، له معرفة أنواع علوم الحديث، توفي (٦٤٣هـ) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٢٤٣- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٣/ ١٤٠.

(٤) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٧٠.

(٥) انظر لسان الميزان لابن حجر: ٤/ ٢٦٠.

إلى أن جاء الأستاذ عدنان زرزور ليذهب بعيداً فيجعل تفسيره من تفاسير المعتزلة، وليقول مقولته: وأياً ما كان الأمر فإن الماوردي وضع تفسيره على أصول المعتزلة ومنهجهم في التفسير، سواء خالفهم في بعض المسائل أم لا، وسواء أجاهر بالاعتزال أم لا، وإن كنا لا ندري ما هو (حد) الجهر عند ابن الصلاح.[(١)]

وقد قيّض الله للماوردي بعض أهل العلم، ردوا على الأستاذ عدنان زرزور، وبينوا أن ما قاله اتهام لا محل له من الصحة، وأنه حكمٌ متسرعٍ يعوزه التحقيق، وأن الماوردي وإن وافق القوم في القول بالقدر فإن ذلك لا يعني أنه معتزلي، بل غاية ما يقال فيه أن له مسائل وافق اجتهاده فيها مقالات المعتزلة، ولا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال، كما قال ابن حجر.[(٢)]

**شيوخه وتلاميذه:**

تتلمذ الماوردي على خلق كثير من أهل موطنه البصرة، ومهجره بغداد، وزاحم الركب في حلقات عديدة، ومن شيوخه:

---

(١) انظر الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، للدكتور/ عدنان زرزور: ١٤٣.

(٢) انظر: العز بن عبد السلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير، للدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الوهيبي: ١٩٢ - وانظر: ما كتبه أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع في مقدمة تحقيقه للنكت والعيون: ١/ ١٤١-١٥٦.

أبو القاسم عبد الواحد الصميري[١]، وأبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني وغيرهما.

أما الذين تلقوا العلم عن الماوردي فهم أيضاً خلق كثير، فالماوردي كما علمنا من سيرته عمل بالتدريس زدحاً من الزمن في البصرة وبغداد، كما أن عمله في سلك القضاء وحيازته لقب أقضى القضاة، وإسناد رئاسة وإمامة مذهب الشافعية له، جعل الطلبة يحرصون على التلقي عنه.

**فمن تلامذته:**

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي[٢]، وعلي بن سعيد العبدري ت(٤٩٣هـ)[٣] وغيرهما.

---

(١) هو عبد الواحد بن الحسين بن محمد القاضي الصميري، أحد أئمة الشافعية، نسبة إلى صمير أحد أنهار البصرة، من تصانيفه الإيضاح في المذهب، توفي (٣٨٦هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٣/ ٣٣٩- ومعجم البلدان لياقوت: ٣/ ٤٣٩.

(٢) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، حافظ ناقد مؤرخ، مصنفاته كثيرة جداً، منها تاريخ بغداد، أطال الذهبي في ترجمته، توفي (٤٦٣هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٢٧٠- تذكرة الحافظ للذهبي: ٣/ ٣١٧ - والبداية والنهاية لابن كثير: ١٢/ ١٠١.

(٣) هو علي بن سعيد بن عبد الرحمن بن محرز العبدري، عالم عارف باختلاف العلماء، صاحب الفتيا، توفي (٤٩٣هـ) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٥٧.

### مؤلفاتـه:

للماوردي تصانيف حسان في كل فن، كما قال ياقوت في معجمه[١]، فهو مُصَنِّفٌ موسوعي، وقد وصل عدد مؤلفاته إلى ثمانية عشر مؤلَّفاً، نذكر منها: الأحكام السلطانية، ولأهميته تُرجم إلى عدد من اللغات، وهو من أشهر مصنفات المؤلف[٢]، وأمثال القرآن، ويعد الماوردي أول من أفرد هذا الفن بتأليف مستقل، والحاوي الكبير في الفقه (مطبوع)، الاقناع، وهو مختصر للحاوي، مجرد عن الأدلة، وكتاب في البيوع، وقوانين الوزارة وسياسة الملك (مطبوع)، وأدب الدنيا والدين (مطبوع). إضافة إلى تفسيره النكت والعيون، وغيرها من المصنفات.[٣]

### وفاته:

توفي الماوردي رحمه اللّه يوم الثلاثاء، آخر شهر ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ ودفن في بغداد، وحضر جنازته جمع غفير من أهل العلم والريادة.[٤]

---

(١) انظر: معجم الأدباء: ١٥/ ٥٤.

(٢) انظر: مقدمة تحقيق النكت والعيون للدكتور الشايع: ١/ ٥٩.

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين للمصنف: ٨١- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٨ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/ ٢٨٦- وانظر ما كتبه الدكتور الشايع عن مصنفات الماوردي في مقدمة تحقيقه للنكت والعيون: ١/ ٢٤-٦٦.

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١٢/ ١٠٢ . وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٦٩.=

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

حصر الأقوال، وحسن العرض، مع جمال الأسلوب، ودقة العبارة والإيجاز، كلها نعوت تنطبع في فكر الناظر في النكت والعيون للماوردي منذ الوهلة الأولى، وهي كلها تدل على ما أوتي المصنف من قوة البيان وسلامة الفكر التي مكّنته من تقديم مادة تفسيره بصورة تترك ذاك الانطباع الجميل لدى القارئ.

فالقارئ للماوردي في تفسيره لا يجد الاستطراد الذي قد يبعد بالمعاني، وينأى بالقريب، كما هو الحال عند بعض المفسرين، مع أن المصنف قلّما يهمل قولاً ذي بال دون أن يذكره.

لقد اقتصر الماوردي في تفسيره على بيان الغامض الخفي من آيات الذكر الحكيم، دون الظاهر الجلي إذ هو مفهوم من التلاوة، جمع لبيان ذلك

---

=قد أورد فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، في المقدمة التي قدمها بين يدي تحقيقه للنكت والعيون: ١/ ١-٦٦ قائمة طويلة بالمصادر التي ترجمت للماوردي بلغت ستاً وأربعين مرجعاً، نختار منها ما رجعت إليه وهي: الأنساب للسمعاني: ٥/ ١٨١ - البداية والنهاية لابن كثير: ١٢/ ٨٠- وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٢/ ١٠٢ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/ ٢٨٥-٢٨٧- وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ١٦٧-١٨٥- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٧-٤٢٩ دار الكتب العلمية - بيروت - وطبقات المفسرين للسيوطي: ٧١- ولسان الميزان لابن حجر: ٤/ ٢٦٠ - ومعجم الأدباء لياقوت الحموي: ١٥/ ٥٢.

أقوال أهل العلم من السلف والخلف، وأضاف ما سنح به الخاطر مما توصل إليه بإعمال الفكر، والنظر في الأدلة، متبعاً الإيجاز والاختصار في نقل الأقوال والأخبار، وعرضها بأسلوب بديع وعبارة زادت المعاني جلاءً ووضوحاً، دون أن يغفل عن التصريح بالقائل، أو التعقيب على الرديء المتكلف من الأقوال أحياناً كثيرة.

واهتم المصنف في تفسيره أيضاً ببيان أسباب النزول والقراءات غالباً، كما أولى الجانب اللغوي اهتماماً عظيماً، وخاصة الفروق اللغوية بين المفردات التي يظن أنها مترادفة، وكذا اهتم ببيان الأحكام الفقهية، واستطاع أن يعالج الأحكام معالجة قرآنية بعيداً عن الاستطرادات الفقهية، رغم أن الماوردي عرف فقيهاً أكثر منه مفسراً.

وقد استمد المصنف مادة تفسيره من مصادر عديدة ومتنوعة، في شتى الفنون، من الأثر والمعقول. وبين في الخطبة التي قدمها بين يدي تفسيره منهجه في التصنيف فقال:

(ولما كان ظاهرُ الجليِّ مفهوماً بالتلاوة، وكان الغامضُ الخفيُّ لا يعلمُ إلا من وجهين: نقلٍ واجتهادٍ، جعلت كتابي هذا مقصوراً على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوُّرُهُ وفهمه، وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف، وموضحاً عن المؤتلف والمختلف، وذاكراً ما سنح به الخاطر من معنىً يحتمل، عبّرت عنه بأنه محتمل، ليتميَّز ما قيل مما قلته، ويُعْلَمَ ما استخرج مما استَخرَجْتُه.، وعَدَلت عمَّا ظهر معناه من فحواهُ،

اكتفاءً بفهم قارئه وتصوُّر تاليه، ليكون أقرب مأخذاً، وأسهل مطلباً).[١]

وطريقة المصنف يرحمه اللّه أنه يسرد الآية أو الجزء من الآية التي هو بصدد بيان غامضه، وتأويل خفيّه، ثم يعقب ذلك بالبيان بعبارة موجزة، فإن كان هناك اختلاف بين أهل العلم في تعيين المراد، يصرِّح بذلك في الغالب ثم يقول: (فيه أقوال)، أو يقول: (فيه قولان)، أو (ثلاثة أقوال)... وهكذا. ثم يقول: (القول الأول) ويذكره، ثم (الثاني) ويذكره.. وهكذا.

ولتفسير الماوردي أثر واضح في كثير من التفاسير التي جاءت بعده كابن الجوزي والقرطبي وأبي حيان، وغيرهم وإن كان الأول أكثرهم تأثراً، فقد التزم منهج الماوردي وطريقته في العرض والإيجاز.

وسبق أن أشرت إلى ما أُشيع حول الماوردي من تهمة الاعتزال، وعدُّ تفسيره واحداً من تفاسير القوم، وبينت أن ذلك اتهام لا يخرج التفسير من تفاسير أهل السنة بأية حال وإن وافق بعض اجتهاداته مقولات القوم.

**وعلى العموم يستطيع المرء أن يلخص القول في هذا التفسير ويقول:**

١) إنه مختصر كامل للقرآن، وتفسير للغامض من ألفاظ ومعاني الذكر الحكيم.

٢) إنه تفسير جمع المصنف فيه بين الرواية والدارية، وجعله جامعاً

---

(١) انظر المقدمة: ١/ ٢١.

لأقاويل السلف والخلف.

٣) إن المصنف اهتم بذكر اللغة والقراءات وأسباب النزول والأحكام الفقهية.

٤) امتاز هذا التفسير بحسن عرض الآراء والأقوال وحصرها، مع نسبتها إلى قائليها، بأسلوب جميل وعبارة دقيقة موجزة.

وقد قدم الماوردي لتفسير القرآن (فصولاً تكون لعلمه أصولاً، يستوضح منها ما اشتبه تأويله، وخفي دليله)[1] بهذه العبارة نعت الماوردي المقدمة التي قدمها بين يدي تفسيره والتي استغرقت ما يربو على عشرين صفحة من القطع المتوسط،وجاءت كالتفسير تماماً من حيث البلاغة والبيان وقوة العبارة والإيجاز.

تعرض المصنف لعدة موضوعات، وأسماها فصولاً، سلك فيها مسلك الإيجاز فيما يتعلق بنقل الأقوال والآراء، وذكر الأدلة باختصار، دون اعتماد الردود والمناقشات، مع تجنب ذكر الأقوال الضعيفة والمردودة.

وامتازت المقدمة بحسن السبر والتقسيم للأقوال والموضوعات، وهو أمر أجلى الموضوعات المطروقة وبيّنها، فكانت في غاية الوضوح، وهذه الموضوعات هي:

---

(١) انظر المقدمة: ١/ ٢١.

١- أسماء القرآن.

٢- أسماء سور القرآن.

٣- معنى السورة والآية.

٤- الأحرف السبعة.

٥- إعجاز القرآن.

٦- حكم التفسير بالرأي أو الاجتهاد.

٧- أقسام التفسير.

٨- الظهر والبطن والحد والمطلع.

وقد طبعت المقدمة فيما أعلم ثلاث طبعات، إحداها بالآلة الكاتبة، والطبعات على النحو التالي:

١) طبعت على الآلة الكاتبة، مع دراسة للمؤلف وللكتاب، وتحقيق أجزاء منه، بتحقيق فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، بعنوان: تفسير الماوردي النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم، قدمت رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢) قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت بطباعة ونشر الكتاب بتحقيق السيد خضر محمد خضر، ومراجعة الدكتور/ عبد

الستار أبو غدة. وعلى الطبعة ملحوظات وفيها سقط أشار إليها فضيلة الدكتور الشايع في دراسته للكتاب.[١]

٣) صدرت أخيراً طبعة علق عليها وراجعها السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، وقامت دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت بطباعتها ونشرها. وهي التي اعتمدتها في هذه الدراسة.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

أسدى الماوردي الشكر للمنعم الذي هداه والمسلمين للدين القويم، ومنَّ عليهم بالكتاب المعجز المبين، ولأن من الكتاب ما هو ظاهر جلي مفهوم بالتلاوة يفهمه العامة فضلاً عن الخاصة، ومنه الغامض الخفي الذي خص الله لتأويله العلماء دون غيرهم، جعل المصنف كتابه هذا مقصوراً على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض فهمه.

كان هذا في التقديم الذي قدمه الماوردي بين يدي تفسيره، كما بيّن فيه منهجه في التفسير، وما قدّم بين يدي تفسيره من مقدمات هي كالأصول له، يُستوضَح منها ما اشتبه تأويله، وخفي دليله. ثم سأل الله العون والسداد، وشرع في بيان المقصود.

فذكر أنه تعالى جلَّت قدرته سمى كتابه المنزل بأسماء، هي القرآن

---

(١) انظر النكت والعيون تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع: ١/ ٤٧-٥٣.

والفرقان والكتاب والذكر، فبين دليل كل تسمية من آيات الذكر الحكيم، ثم شرع في بيان تأويل تلك التسميات، وبيان أقوال العلماء فيها، وكان هذا هو مضمون الفصل الأول من المقدمات.

في حين خصص الفصل الذي يليه لبيان تأويل أسماء كتب اللّه المنزلة، التوراة والزبور والإنجيل.

وانتقل عقب ذلك إلى قوله ﷺ في الحديث الذي رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه[1]: أعطاني ربي مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضلني ربي بالمفصل.[2]

فذكر ما هي السبع الطوال، كما ذكر سبب التسمية، وبين ما هي المئين، ثم المثاني والأقوال الواردة في بيانها، وأخيراً المفصل وسبب التسمية والخلاف في تحديد أول المفصل.

ثم بين في الفصل الذي يليه معنى السورة والآية، فبيَّن أولاً أن

---

(١) هو واثلة بن الأسقع بن كعب الليثي، صحابي شجاع فاضل، أحد فقراء الصفة، قدم المدينة ورسول اللّه ﷺ يتجهز لغزوة تبوك فأسلم، وعاد إلى قومه فأسلمت أخته، ثم عاد فشهد تبوك مع رسول اللّه ﷺ، توفي (٨٥هـ). انظر: طبقات ابن سعد: ١/ ٣٠٥ - والإصابة لابن حجر: ٣/ ٦٢٦.

(٢) رواه الطبري في التفسير: ١/ ١٠٠، قال الأستاذ شاكر -يرحمه اللّه-: رواه الطبري هنا بإسنادين، أحدهما صحيح، والآخر ضعيف. ورواه الطبراني في الكبير: ٢٢/ ٧٥.

السورة وردت بالهمز وبغير همز، وبيَّن خلاف أهل العلم على كلٍّ، ثم أوضح معنى الآية وتأويلها وسبب التسمية.

عقب ذلك انتقل إلى الحديث عن الأحرف السبعة، فذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ في نزول القرآن على سبعة أحرف.[(١)] واختلاف المفسرين في تأويل السبعة أحرف التي نزل القرآن بها، فذكر أن الأقوال أربعة، سردها بعبارة مختصرة وذكر الأدلة بإيجاز، ودون أن يرجِّح شيئاً منها.

ثم كان الحديث عن إعجاز القرآن الذي عجزت العرب عن الإتيان بمثله، فذكر ثمانية وجوه للإعجاز، هي حصيلة أقوال أهل العلم في المسألة، وهي:

١) أن وجه إعجازه هو الإعجاز والبلاغة.

٢) أنه البيان والفصاحة.

٣) وقيل: بل هو الرصف الذي تنقضي به العادة، حتى صار خارجاً

---

(١) قال ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القران كفر (ثلاث مرات) فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه» .أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٢١، والإمام أحمد في المسند: ٢/ ٣٠٠ ط الحلبي. وأورده الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥١.

عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب... وغير ذلك.

٤) أن وجه إعجازه هو أن قارئه لا يكلُّ وأن سامعه لا يملُّ.

٥) أنه لما فيه من الأخبار بما كان مما علموه أو لم يعلموه، وإذا سألوا عنه عرفوا صحته.

٦) هو ما فيه من علم الغيب، والإخبار بما يكون.

٧) كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد، ولا يشتمل عليها كتاب.

٨) أن وجه إعجازه هو في الصِّرْفة بأحد وجهيه، إما أن العرب صُرفوا عن القدرة عليه، ولو تعرضوا لعجزوا عنه، أو أنهم صُرفوا عن التعرض له.

وانتهى المصنف إلى القول بأن القرآن معجز بكل تلك الوجوه. ويعد رأيه هذا بمثابة قول تاسع، وهو أبلغ في الإعجاز وأبدع في الفصاحة والإيجاز.

انتقل المصنف بعد هذا للحديث عن التفسير بالرأي والاجتهاد، فبيَّن أن كون القرآن في تلك المنزلة من الإعجاز في النظم والمعنى يستدعي لمن أراد العمل بموجبه ضرورة استخراج معاني ألفاظه، وهو أمر يحتاج إلى زيادة تأمل في الألفاظ والآيات ليصل المرء إلى جميع ما تضمنته تلك الألفاظ من المعاني، واحتملته من التأويل، ولهذا لا مناص من القول بضرورة

الاجتهاد في فهم النص، وهو أمر تعبَّد اللّه تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين، فقال تعالى ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

ثم عرّض بأولئك الذين فهموا قوله ﷺ في الحديث الذي رواه جندب بن عبداللّه رضي الله عنه [١]: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٢] فهماً خاطئاً، فظنوا أنه الإحجام عن التفسير وإن كانت الشواهد واضحة، وأمرُّوا الحديث على ظاهره، فوصفهم بقلة العلم، ونعتهم بضعف الخبرة.

بعدها بيَّن تأويل الحديث على الوجه الصحيح الذي رآه، فقال: ولهذا الحديث إن صحَّ تأويل معناه: أن من حمل القرآن على رأيه، ولم يعمل على شواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل.[٣] وهو فهم معتبر للنص ارتضاه خلق ممَّن جاء بعده كابن عطية والقرطبي وغيرهما.

إثرها ذكر المصنف المروي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن

---

(١) هو جندب بن عبد اللّه بن سفيان البجلي العَلَقي، صحابي سكن الكوفة والبصرة، توفي في فتنة الزبير فيما بين (٦٠-٧٠ هـ) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ٢١٧- والإصابة لابن حجر: ١/ ٢٤٨.

(٢) رواه الطبري في التفسير: ١/ ٧٩، والبغوي في شرح السنة: ١/ ٢٥٩، والنسائي في فضائل القرآن: ١١٤، والترمذي في سننه: ٥/ ٢٠٠، وقال: وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. وقال الحافظ في التقريب: ١/ ٣٣٨ عن سهيل بن أبي حزم: ضعيف.

(٣) انظر النكت والعيون: ١/ ٣٥.

رسول الله ﷺ: «القرآن ذَلُولٌ ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه».(١) فبين تأويل مفردات الأثر، وقال: وهذا دليل على أن تأويل القرآن مستنبط منه.(٢)

انتقل المصنف بعد هذا ليبيِّن أقسام التفسير، فأوضح أنه إذا جاز الاجتهاد في استخراج معاني القرآن من فحوى ألفاظه، وشواهد خطابه الأمر الذي أقره قبل قليل فإن الحبر ابن عباس رضي اللّه عنهما قسم التفسير أربعة أقسام، ذكرها وارتضاها، وعقب على الأخير منها وهو القسم الذي لا يعذر أحد بجهالته، فبين أنه داخل في جملة ما يعلمه العلماء، وبذلك يصير التفسير عنده ثلاثة أقسام:

١) قسم اختص اللّه تعالى بعلمه، واستأثر به ولم يُطْلِعْ عليه عباده.

٢) قسم يُرجع في معرفته إلى لسان العرب.

٣) وقسم ثالث يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء، وهو تأويل المتشابه، واستنباط الأحكام، وبيان المجمل وما إلى ذلك.

وبين أن العلماء قد يختلفون في تأويل بعض المعاني للألفاظ المحتملة لأكثر من معنى، وحينئذ لا مناص للترجيح بين الأقوال من التعويل على

---

(١) رواه الدارقطني في السنن عن ابن عباس: ٤/ ١٤٥، وفي إسناده زكريا بن عطية، قال عنه أبو حاتم: منكر الحديث. انظر ميزان الاعتدال: ٢/ ٧٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١/ ٣٦.

الضوابط التي وضعها العلماء، لهذا ذكر المصنف ما الذي يُفعَلُ في مثل هذه الحالات.

وجاء الختام لبيان معنى الحد والمطلع، والظهر والبطن، وهي المفردات الواردة في الأثر الوارد عن النبي ﷺ: «ما نزل من القرآن من آية إلا لها ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌّ، ولكل حدٍّ مَطْلَعٌ».(١)

**رابعاً: منهج الماوردي في مقدمته:**

قسم الماوردي المقدمة التي قدمها بين يدي تفسيره والتي جعلها أصولاً فصولاً، خصَّ كل فصل لأصل من تلك الأصول التي رأى أنها توضح المشتبه، وتُظهر الدليل للناظر في التفسير.

وقد اقتصد المصنف في القول والبيان، لكل ما رأى بحثه من الأصول والفنون، فقدم ما أراد تقديمه بعبارة موجزة رصينة، متبعاً نهجاً يُعَدُّ الرائد فيه، ومن أبرز ملامح هذا النهج:

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٧٤: ١/ ١٥٧، عن ابن مسعود. وذكره الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٢ ونسبه للبزار وأبي يعلى والطبراني في الأوسط. وقال: رجال أحدهما ثقات. وأخرجه الطبري في التفسير: ١/ ٢٢ عن ابن مسعود بلفظ: أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع. قال أحمد شاكر: روي بإسنادين ضعيفين، أما أحدهما فلانقطاعه بجهالة راويه. وأما الآخر فمن أجل إبراهيم الهَجَري.

١- حسن عرض الأقوال في المسائل المختلف فيها، فتراه يجمل الأقوال ويحصرها في عدد، ثم يفصلها بعد ذلك بذكر الأول فالثاني فالثالث... ذاكراً ما قد يتفرع على ما سبق أن ذكره من أقوال مع نسبة الأقوال إلى قائليها من الصحابة والتابعين والأئمة المعتبرين.

٢- إيجاز العبارة، ودقة التعبير، وجمال الأسلوب.(١)

فقد أحسن المصنف القول، وأحكم العبارة، وهو أمر يعزو فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن الشايع التوفيق فيه بعد اللّه إلى موسوعية المصنف، وسعة علمه، وتنوع ثقافته، الأمر الذي مكَّنَ المصنف من صياغة تفسيره ومنها المقدمة بأسلوب أدبي رفيع أظهرت تمكنه من ناصية اللغة، والبراعة في اختيار المفردات والتراكيب، حتى إنك نادراً ما تجد عبارة أو جملة يمكن حذفها أو الاستغناء عنها بغيرها، وهو بهذا جمع بين دقة عبارة الفقيه، وجمال أسلوب الأديب.(٢)

ومن منهج المصنف ذكر الأدلة لأغلب الأقوال والآراء التي يوردها، آيةً كانت أم حديثاً أم شاهداً من كلام العرب وأشعارها، وهو في استشهاده بالأثر لا يذكر صحة ما يستشهد به، إلا نادراً.(٣)

---

(١) انظر: النكت والعيون بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع ١- ١٢٤.

(٢) انظر: النكت والعيون بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع ١/ ١٢٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١/ ٣٥.

وللماوردي اختياراته في بعض المسائل، فهو قد يرد على بعض الأقوال ويضعفها، وقد يصرح برأيه في بعض الأحايين.(١)

تلك هي السمات البارزة لمنهج الماوردي.(٢)

**خامساً: مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

الناظر في خطبة الماوردي التي قدم بها تفسيره يجده حدد ملامح منهجه بوضوح، فهو قد حصر تفسيره على بيان الغامض إذ هو محل بحث العلماء، دون الظاهر الذي يفهمه كل عارف بلغة العرب، وهذا شرط التزمه وسار عليه.(٣)

ومن شرطه جمع أقوال علماء السلف في بيان هذا الغامض، وعرضها، وهذا الآخر التزمه المصنف فهو لا يتوانى عن عرض أقوال السلف في بيان معاني الألفاظ ومدلولاتها، ونسبة ذلك إليهم في الغالب، كما أنه يصرح بموقفه ورأيه في كثير منها، معللاً رأيه أحياناً، وتاركاً التعليل في أحايين أخرى.(٤)

---

(١) ينظر مثال ذلك: ١/ ٢٦-٢٨.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٣٠ -٣٢- ٣٤- ٣٦.

(٣) انظر: أمثلة ذلك: ١/ ١٣٩ - ٢٥٩ - ٤٦٦.

(٤) انظر: أمثلة ذلك: ١/ ١٨٧ - ٢٦٣ - ٤١٠ - ٤٦١.

كما اشترط الماوردي أن يضيف إلى أقوال السابقين ما سنح به خاطره من المعاني.(١)

**سادساً: مصادر الماوردي في مقدمته:**

لم يصرح الماوردي في مقدمته باسم مصدر واحد من مصادره التي استمد منها مادة مقدمته، وإن كان قد صرح بذكر أسماء بعض الأعلام ممن لهم اختيارات في بعض المسائل، وتأويل لبعض الآثار، وهي سمةٌ لمنهج الماوردي كما ذكرت ذلك قبل قليل، وقد عزا جملة من الأقوال إلى قائليها سواء من الصحابة كابن عباس رضي الله عنهما(٢)، أو التابعين كسعيد بن جبير(٣)، والحسن البصري(٤)، وقتادة(٥)، كما عزا إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في أكثر من موضع(٦)، والأصمعي.(٧)

---

(١) انظر أمثلة التزام المصنف بمنهجه في: ١/ -٣٧٠- ٤٦٥.

(٢) انظر مثاله الصفحات: ١/ ٢٣- ٢٦ - ٢٧ - ٣٥ - ٣٦.

(٣) انظر مثاله الصفحات: ١/ ٢٦.

(٤) انظر مثاله: ١/ ٢٦.

(٥) انظر مثاله: ١/ ٢٤.

(٦) انظر مثاله الصفحات: ١/ ٣٠ -٤١.

(٧) انظر مثاله: ١/ ٣١، والأصمعي هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي، نحوي لغوي إخباري، نعته الذهبي فقال: حجة الأدب، لسان العرب، توفي (٢١٥هـ).انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ١٦٧- وسير أعلام =

وطريقته في العزو في الغالب أنه يذكر القول، ثم يقول: وهو قول فلان. أو وهذا قاله فلان[١]. أو أن يحكي القول أو الحكاية ثم يقول: حكاه فلان.[٢]

**سابعاً: أهم مزايا مقدمة الماوردي:**

يُعدُّ الماوردي من المفسرين المتقدمين الذين قدموا بين يدي تفاسيرهم مقدمات في علوم القرآن، وهي في حد ذاتها ميزة لها أهمية خاصة إذ هم الذين أصَّلوا فن المقدمات.

**وقد امتازت المقدمة بميزات أظهرها:**

١- تناوله جملة من الموضوعات التي لها أهميتها في عصر المؤلف، كموضوع الإعجاز والتفسير بالرأي.

٢- حسن السبر والتقسيم، مع الشمول والحصر للأقوال في المسائل المطروقة، وعرضها بعبارة موجزة جميلة وأسلوب أدبي رصين.

٣- عزو الأقوال إلى قائليها في الغالب.

---

=النبلاء لذهبي: ١٠/ ١٧٥.

(١) انظر: النكت والعيون: ١/ ٢٤- ٢٦ - ٤١.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١/ ٣٠ - ٣١.

٤- التوجيه والتوضيح لبعض النصوص والآثار.

**ثامناً: أهم المآخذ على المقدمة:**

١) عدم تناول بعض الموضوعات الهامة كالمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وأحسن طرق التفسير، وحكم تفسير الصحابي، والتابعي، وغير ذلك مما هو من صلب أصول التفسير.

٢) القصور في معالجة بعض المسائل التي كان من المفترض بيانها بصورة أفضل، كالأحرف السبعة، الموضوع الذي تعددت فيه الأقوال حتى في زمن المصنف بل قبله، وتباينت بصورة ملحوظة، فكان من حق القارئ أن يبين المصنف الرأي الراجح فيه.

٣) عدم بيان درجة الآثار التي استشهد بها المصنف عند ذكره للأقوال وسرده للآراء.

# ٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد(١)

## لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة (٤٦٨هـ)

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوْيَهْ الواحدي(٢) النيسابوري المولود عام (٣٩٨هـ)(٣).

---

(١) ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ١/ ٧٣٠ تسميته: «الوسيط بين المقبوض والبسيط».

(٢) مَتُّويَه - بفتح الميم وتشديد التاء المثناه من فوقها وضمها وسكون الواو وبعدها ياء مفتوحة مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة - نسبة إلى الجد المنتسب إليه. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٣٠٤ - والأنساب للسمعاني: ٥/ ١٩٤ - والواحدي: قال ابن خلكان: لم أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي، ولا ذكرها السمعاني، ثم وجدت هذه النسبة إلى الواحد بن الديل بن مهرة، ذكره أبو أحمد العسكري. انظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٣٠٤ - ومرآة الجنان لليافعي: ٣/ ٩٦.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٣٩ - وطبقات المفسرين للسيوطي: ٦٦ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٣٠٣.

نشأ الواحدي ميسوراً في رغد من العيش، ضمن أسرة عرفت بالتجارة، واشتهرت بالثراء، وعُرف أنه ثالث أخويه، عبد الرحمن[١] الفقيه المحدث، وسعد السمسار المتفقّه، انضم إلى الكتاتيب في نيسابور، وندبه أهله للعلم فتلقّى على أفاضل البلدة التعليم الأولي، ثم التحق بدار السُّنة في نيسابور نفسها طالب علم مُجدٌ، فأخذ عن علمائها سماعاً وإملاءً، وهو لا يزال في مقتبل العمر، لم يتجاوز الثانية عشرة[٢]، ودأب على تحصيل العلوم بنهم وجلد، فكلما أتيح له فرصة اللقاء بعالم أسرع إليه، يختار النخبة، وينتقي الفضلاء، ويشد الرحال فينتقل من مصر إلى آخر يتلقى عن الشيوخ، حتى أكثر منهم، وعُرِفَ بعلو السند، يقول عن شيوخه يرحمه الله: ولو أثبتُّ المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم يعني علم التفسير من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها لطال الخطب، وملَّ الناظر.[٣] ومن شيوخه:

**شيوخه:**

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد الواحدي، ثقة صادق معمر، أملى مجالس، توفي (٤٨٧ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٤٢ - والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٥/ ١٠٤.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي: ٣٠٦- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٤٢.

(٣) انظر: البسيط للواحدي: المقدمة.

أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي[١]، وأبو الفضل أحمد بن محمد العروضي الصفَّار[٢]، وغيرهم.[٣]

تبحَّر الواحدي في الفنون والعلوم، وأحرز ما عجز غيره عن تحصيله، فكان مفسراً واحدَ عصره في التفسير، وإمام علماء التأويل[٤]، أثنى عليه أهل الفضل من العلماء، نعته ابن قاضي شهبة بقوله: كان فقيهاً إماماً في النحو واللغة وغيرهما، شاعراً، وأما التفسير فهو إمام عصره.[٥]

وقال ابن خلكان[٦]: كان أستاذ عصره في النحو والتفسير.[٧]

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، شيخ التفسير، أحد أوعية العلم، صاحب التفسير، توفي (٤٢٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٤٣٥ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٦٦.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يوسف النيسابوري، شيخ النحو، وأديب نيسابور، توفي (٤١٦هـ). انظر: معجم الأدباء لياقوت: ٤/ ٢٦١ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٣٨٩.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٣٩ - وطبقات المفسرين للسيوطي: ٦٦.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٣٩ - وطبقات المفسرين للسيوطي: ٦٦.

(٥) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ١/ ٢٥٧.

(٦) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي، أديب مؤرخ، صاحب أشهر المصنفات في التراجم، توفي (٦٨١ هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ١٤ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٥/ ٣٧١.

(٧) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٣٠٣.

ونقل الذهبي عن السمعاني قوله: كان الواحدي حقيقاً بكل احترام وإعظام لكن كان فيه بسط لسان في الأئمة. قال الذهبي: وهو لكونه قال في تفسير السلمي: ولو قال ذلك تفسيرُ القرآن لكفّرته. قال الذهبي: الواحدي معذور مأجور.[١]

وقال غيرهم غير ذلك، فأجمع الجميع على إمامته، وقعد للتدريس وتخرج به طائفة من الأئمة، ولهذا شد طلبة العلم الرحال إليه زرافات ووحداناً، واعتكفوا بين يديه، يتلقون عنه سماعاً وإملاءً، وكان منهم أئمةأعلام ومن هؤلاء التلاميذ:

**تلاميذه:**

عبد الجبار بن محمد الخواري ت(٥٣٦هـ)[٢]، وعلي بن سهل بن العباس النيسابوري ت(٤٩١هـ)، وأحمد عمر بن عبدالله بن أحمد الأرغياني ت(٥٣٤هـ) وطائفة غيرهم.[٣]

وقد صنف الواحدي كثيراً، ورزق السعادة فيها، وأمتع الناس على

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٤٢.

(٢) هو عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، ثقة خيِّر، توفي (٥٣٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠/ ٧١ - وطبقات السبكي: ٧/ ١٤٤.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٩٤- وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ١/ ٢٥٦.

حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم[١]، **ومن ذلك:**

البسيط في تفسير القرآن الكريم، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، والوجيز في تفسير القرآن العزيز، قال الذهبي: وبتلك الأسماء سمى الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه.[٢]، وله أسباب النزول، وهو أعظم ما ألف في هذا الباب كما قال الزركشي[٣]،ورسالة في شرف علم التفسير، وشرح ديوان المتنبي (مطبوع). وغير ذلك.[٤]وبعد رحلة علمية مباركة دامت ما يقرب من سبعين عاماً توفي الواحدي، وانتقل إلى جوار ربه في شهر جمادى الأولى سنة (٤٦٨هـ) بعد أن عانى من مرض عضال ألَّم به طويلاً.[٥]

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٣٠٣.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٣٤٠.

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن:

(٤) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٤٠- وطبقات المفسرين للسيوطي: ٦٧- وللداودي: ١/ ٣٩٤.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٣٩ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٣٠٣ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ٣٣٠- وينظر للمزيد في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير: ١٢/ ١١٤ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٣٣٩ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/ ٣٣٠ - وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: ١/ ٢٥٦- وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٤٠- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣٩٤- وطبقات المفسرين للسيوطي: ٦٦- وغاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٥٢٣- والكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٠/ ١٠١- ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ٣٠٣. =

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

امتاز الواحدي بأنه الوحيد الذي صنّف تفسير القرآن على ثلاث مراحل، مراعياً قدرات المتلقين عنه ومستوياتهم، وقد جاءت تفاسيره الثلاثة في قالب عكست بوضوح ثقافته الواسعة وإلمامه بالعلوم المتنوعة، كما أظهرت براعة يراعه.

ويغلب على الواحدي اهتمامه بالنقل والأثر، كما أعطى المصنف لإعمال الفكر مجالاً رحباً، فاستخرج كثيراً من دقائق المعاني، وصاغها بعبارة رصينة محكمة، زانها بالمأثور المنقول عن سلف الأمة.

وقد اخترت الوسيط من بين تفاسيره، لكونه ينحط عن درجة البسيط الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذي اقتصر على الإقلال، وهكذا عرَّف الواحدي الوسيط الذي أعفاه من التطويل وإكثار الأقوال، فجاء أسلم من خلل الوجازة والاختصار، وأتى على النمط الأوسط، والقصد الأقوم، حسنة بين السيئتين، ومنزلة بين المنزلتين، لا إقلال ولا إملال.(١)

والوسيط تفسير بالجزء، ويعد من التفاسير التي اهتمت بالأثر واللغة

---

=وترجم له الدكتور جودة محمد المهدي ترجمة وافية حقق فيها كثيراً من المسائل في كتابه: الواحدي ومنهجه في التفسير: ٥٥.

(١) انظر: الوسيط: ١/ ٥٠.

والنحو والغريب غير أنه لم يطنب في ذلك كما فعل في البسيط، كما أولى الواحدي المسائل الفقهية شيئاً من الاهتمام، وكذا أسباب النزول.

وطريقته أنه يذكر الكلمة القرآنية أو الجزء من الآية ثم يبدأ الحديث عنها من ناحية اللغة فيبين المراد والأصل اللغوي للكلمة، وقد يتكلم على نحوها ثم يسرد الأثر المحفوظ فيها ويتبعها بنقل أقوال السلف دون ذكر الأسانيد إلا نادراً، ويذكر ما استخرجه بإعمال الفكر.

هذا وللوسيط قدر واعتبار خاص عند أهل العلم فهو غاية في بابه، وقد حظي باهتمام بالغ من طلبة العلم، حتى أن السهروردي أبو النجيب المتوفى (٥٦٣هـ)(١) حفظه فقال: وحفظت وسيط الواحدي في التفسير(٢).

وقد جاءت المقدمة مع خطبة الكتاب في ست صفحات، ولا تعد من المقدمات التي أولت علوم القرآن اهتماماً خاصاً، ولعل ذلك يعود إلى كون المصنف قد أفرد شيئاً من ذلك في تصانيف خاصة كأسباب النزول، والرسالة التي خصها لبيان شرف علم التفسير.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

---

(١) هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه، أبو النجيب السهروردي، زاهد عابد من أعلام الصوفية، له مصنفات، وأملى مجالس، وأوذي وأهين في نهاية عمره، توفي (٥٦٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٠/ ٤٧٥- وطبقات الشعراني: ١/ ١٤٠.

(٢) انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ١٧٥.

حمد المصنف اللّه القادر العليم، وصلى على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الأخيار، ثم بين أن العلم أشرف منقبة، وأجل مرتبة، وأن العلماء هم خواص عباد اللّه، وهم ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء، وساق لبيان ذلك أثران بسنده، أحدهما صحيح أخرجه البخاري والآخر فيه من هو ضعيف، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات[(١)].

عقب ذلك بيَّن أن أم العلوم الشرعية كتاب اللّه، وأن العلم بتفسيره وأسباب تنزيله ومعانيه وتأويله هو أشرف العلوم، وأن من شرفه أنه يعتمد على السماع والنقل من الشارع وممن شاهدوا التنزيل من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين الذين جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئاً، وأورد بسنده عن رسول اللّه ﷺ ما ورد من التحذير في القول بالرأي، وما يبين أن خير ما يتمسك به العبد هو كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ، إشارة إلى وجوب اعتماد ما ورد عن رسول اللّه ﷺ في التفسير وغيره، فهو يذكر المعنى ثم يورد ما يعضده من الأثر.

وختم المقدمة ببيان جهده في خدمة كتاب اللّه وما سبق أن صنفه في التفسير، ثم بيان غايته من الوسيط الذي أقدم عليه طالباً العون من اللّه.

**وقد طبعت المقدمة مع التفسير طبعتان:**

**الأولى:** على آلة النسخ، قدمت رسائل علمية إلى كلية أصول الدين -

---

(١) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي: ١/ ١٢٦- والموضوعات لابن الجوزي: ١/ ٢٦٣.

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لنيل درجة الماجستير.

والثانية: ظهرت مطبوعة في أربع مجلدات، بتحقيق مجموعة من الباحثين، صدرت عن دار الكتب العلمية في بيروت عام ١٤١٥هـ.

**رابعاً: منهج الواحدي في تفسيره:**

نهج الواحدي في مقدمته منهجاً واضحاً، فهو يذكر المسألة التي يريد عرضها بعبارته مبيناً رأيه، ثم يذكر أثراً في المعنى الذي أشار إليه، ذاكراً سنده في الرواية(١).

**خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

اشترط الواحدي على نفسه أن ينهج في تدوين تفسيره منهجاً متوسطاً، لا بالطويل الممل، ولا القصير المقل، يعفيه من إكثار الأقوال والتطويل، ويسلمه من خلل الوجازه والاختصار.

وهذا الشرط التزمه المصنف في تفسيره، وسار عليه باضطراد، ويظهر هذا الالتزام جلياً للناظر في تفسيري المصنف البسيط والوسيط(٢).

**سادساً: مصادره:**

---

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٤٥- ٤٧-٤٩.

(٢) انظر مثال ذلك في الوسيط: ١/ ١١٢-٢٤٧-٢٨١.

لم يذكر الواحدي مصدراً لمقدمته لكونه لم يذكر قولاً أو رأياً لغيره.

سابعاً: أهم الميزات وأظهر المآخذ:

لا يستطيع المرء أن يصنف مقدمة الوسيط للواحدي في المقدمات التي اهتمت بعلوم القرآن، فالمصنف ما أراد إلا التنبيه إلى بعض الأمور بشكل مختصر، لذا لا يمكن ذكر شيء من الميزات أو المآخذ.

# ٦- معالم التنزيل

## لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفي سنة (٥١٦هـ)

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا التفسير هو: أبو محمد، الحسين بن محمد بن مسعود بن محمد المعروف بابن الفراء البغوي[١] الشافعي، المتوفى سنة (٥١٠هـ)[٢]، والذي لم تشر إليه معظم المصادر التي ترجمت له إلى سنة ولادته، غير أن ياقوت صاحب المعجم قال: إنه ولد سنة ٤٣٣هـ[٣]، كما ذكر الزركلي في الأعلام أن ولادته كانت عام ٤٣٦هـ[٤].

ولم تسعفنا المصادر التي وقفت عليها بشيء من المعلومات عن نشأة

(١) (البغوي) نسبة إلى (بغشور)- بضم الشين المعجمة، وسكون الواو، وراء- بليدة بين هراة ومرو الروذ من مدن خراسان، نسبوا إليها على غير القياس، وقيل (بغشور) اسم الولاية، واسم المدينة (بغ) انظر: معجم البلدان لياقوت: ١/ ٤٦٧-و وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ١٣٧- ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ٢/ ٩١.

(٢) اختلف في سنة وفاته، فقيل: إنه توفي سنة (٥١٥هـ)، وقال ابن خلكان: وقد رأيت في كتاب ((الفوائد السفرية)) التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري أنه توفي سنة ستة عشر وخمس مئة. انظر: وفيات الأعيان: ٢/ ١٣٦.

(٣) انظر معجم البلدان لياقوت: ١/ ٤٦٧.

(٤) انظر الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٥٩.

الإمام، ولا وضعت بين أيدينا أخباراً عن حياته زمن الطلب، ومزاحمة الركب، فهي الأخرى إذاً مرحلة مجهولة لنا، غير أننا نستطيع أن نعتقد بأن البغوي عاش حياته كغيره من طلبة العلم الذين تنقلوا بين حلقات العلم، يلتقون الشيوخ ويسمعون منهم، غير أنه كان مثابراً جاداً ذا نظر ثاقب، بشهادة العلماء المشهود لهم بالصلاح والعلم، وبأمارة المكانة التي تبوأها بين أهل العلم حتى حصلت له من الألقاب ما لم يحصل لغيره.

يقول الذهبي: كان عالماً، علامة، زاهداً، قانعاً باليسير، بورك في تصانيفه، ورزق فيها بالقبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته(١).

وقال الحافظ ابن كثير: برع في التفسير والحديث والفقه، وكان علامة زمانه فيها(٢).

وقال السيوطي: كان من العلماء الربانيين،ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير.(٣)وقال: كان إماماً في التفسير،إماماًفي الحديث،إماماً في الفقه.(٤)

وعن ابن الأهدل(٥): هو صاحب الفنون الجامعة، والتصانيف

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ٤٣٩.

(٢)انظر: البداية والنهاية: ١٢/ ١٩٣.

(٣) انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: ٤٥٦.

(٤)انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٨.

(٥) هو حسين بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني العلوي ،مفتي الديار اليمنية،وشيخها بلا=

النافعة[١].

وقد نشأ البغوي شافعياًفي الفروع، سلفياً في الأصول، ولم يكن ليتعصب لرأي إمامه، بل كان يتبع الدليل والحجة، كما كان يدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة،ولهذا عرف عن الإمام سلامة العقيدة، وقوة الحجة، ودقة العبارة، ووضوح المعنى، وكان لهذه السمات الأثر الكبير لدى العلماء حتى نعتوه بالإمام، وبشيخ الإسلام،وركن الدين،ومحيي السنة[٢].

**عقيدته:**

يعدُّ البغوي من أئمة السلف المتبعين للكتاب والسنة، والنصوص المبثوثة في ثنايا تآليفه إضافة إلى شهادة العلماء التي تشهد له على هذه الحقيقة،ومن هذه النصوص:

روي أن رسول اللّه ﷺ قال: « ما من قلب مؤمن إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين، إذا شاء أن يُقيمَه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه

---

=مدافع،صنف كثيراً،ومن تصانيفه القول النضر على الدعاوى الفارغة بحياة الخضر، توفي (٨٥٥هـ).انظر: البدر الطالع للشوكاني: ١/ ٢١٨ -والأعلام للزركلي: ٢/ ٢٤٠.

(١)انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٤/ ٤٨.

(٢) لقب بـ«محيي السنة» وذلك حين صنف كتابه الشهير «شرح السنة» رأى رسول اللّه ﷺ في المنام وقال له: لقد أحييت سنتي بشرح أحاديثي.فلقب بمحيي السنة.

أزاغه.. »[(١)] الحديث.

قال البغوي في شرحه لهذا الحديث: والأصبع المذكور في الحديث صفة من صفات اللّه عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات اللّه تعالى كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل،والإتيان،والمجيء،والنزول إلى السماء الدنيا،والاستواء على العرش، والضحك، والفرح.

إلى أن قال: فهذه ونظائرها صفات للّه تعالى، ورد بها السمع، يجب الإيمان بها وإمرارها على ظاهرها، معرضاًفيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال اللّه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول وتجنبوا فيها عن التمثيل

---

(١) أخرجه البغوي عن النواس بن سمعان الكلابي، شرح السنة: ١/ ١٦٦، وأحمد في المسند: ٤/ ١٨٢.وأوردها السيوطي في الجامع الصغير بلفظ: بين أصبعين من أصابع الرحمن.وعزاه لأحمد وابن ماجه والحاكم، وحسنه.قال المناوي: وأخرجه النسائي في الكبرى عن عائشة،قال الحافظ العراقي: وسنده جيد.فيض القدير: ٥/ ٤٩٣. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٢٥و٤/ ٣٢١وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.وأقره الذهبي.

والتأويل[١].

كما امتلأ تفسير المصنف بالأقوال التي انتصر فيها لمذهب أهل السنة والجماعة وتصدى لأهل البدع والأهواء.[٢]

**شيوخه وتلاميذه:**

أخذ البغوي العلم عن ثلة من العلماء البارزين، والشيوخ المجيدين في صنوف العلم المعتبرة، في بلاده وخارج دياره، ومن هؤلاء:

القاضي حسين بن محمد المَروَرُّوذِي،وقد تفقه عليه البغوي قبل عام (٤٦٠هـ)[٣]، وأبو بكر يعقوب بن أحمد النيسابوري[٤]، وأبو تراب عبد

---

(١)انظر: شرح السنة: ١/ ١٦٨.

(٢)ينظر تفسير قوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار﴾[الأنعام: ١٠٣]، وقوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[يونس: ٢٦]، وقوله﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[القيامة: ٢٢]

(٣)هو القاضي حسين بن محمد بن أحمد المروذِي، وقيل: المروَرُّوذِي، شيخ الشافعية بخراسان، قيل: كان من أنبل شيوخ محيي السنة، توفي (٤٦٢هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٦١ - و١٩/ ٤٤٠ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦١.

(٤)هو يعقوبُ بنُ أحمد بن محمد الصيرفي النيسابوري، الشيخ الرئيس الثقة المسند، قال الذهبي: كان صحيح الأصول. توفي (٤٦٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٤٥ - و١٩/ ٤٤٠ - وشذرات الذهب: ٣/ ٣٢٥.

الباقي المراغي، مفتي نيسابور(١)، وغير هؤلاء كثير(٢).

أما تلامذة البغوي فهم أيضاً كُثر، نذكرمنهم:

أبو منصور محمد بن أسعد بن العطاري ت (٥٧١هـ)(٣)، وأبو المكارم فضل اللّه بن أبي سعيد النُّوقاني(٤)، وغيرهما.

**مؤلفاته:**

ترك الإمام البغوي آثاراً مفيدة من علوم التفسير والحديث والفقه، وامتازت مؤلفات المصنف بسهولة العبارة، وقوة الدليل وصحته، وإسقاط الحشو والتطويل، ومن تلك المصنفات:

---

(١)هو عبدُ الباقي بن يوسف بن علي المراغي الشافعي، إمام فقيه قدوة، عُرف عنه حب النفع للخلق، توفي (٤٩٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ١٧٠ - و١٩/ ٤٤٠ - وشذرات الذهب: ٣/ ٣٩٨.

(٢)ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٤٠.

(٣) هو محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين العطاري المعروف بحَفَدة، فقيه واعظ، سمع من البغوي تفسيره وشرح السنة وكتبهما، توفي (٥٧١هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٥٣٩و ١٩/ ٤٤٠ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦١.

(٤) هو فضل اللّه بن محمد بن أحمد النوقاني الشافعي، فقيه عالم، أخذ له والده من محيي السنة إجازة بمروياته، توفي (٦٠٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤١٣ - و١٩/ ٤٤٠ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦١.

١) التهذيب في فقه الشافعية، وهو من الكتب المحررة والمعتمدة عند الشافعية، نقل النووي منه مراراً في الروضة[١].

٢) معالم التنزيل: وهو تفسيره المشهور الذي نحن بصدد الحديث عنه.

٣) شرح السنة: وهومن أجلّ شروح السنة التي وصلت إلينا، انتقى المؤلف الأحاديث التي شرحها بدقة تامة، وأولى هذا الكتاب عناية خاصة، فجاء مليئاً بالفوائد.

٤) مصابيح السنة: ضمن المصنف هذا الكتاب مجموعة من الأحاديث الصحاح والحسان، وعنى بالصحاح الأحاديثَ التي أخرجها البخاري ومسلم، وبالحسان التي أخرجها أصحاب السنن، وقد حذف الأسانيد.

٥) الأنوار في شمائل النبي المختار-ﷺ[٢].

٦) مجموعة من الفتاوى الفقهية: سأل عنها شيخَه أبا علي المروزي[٣].وغيرها.

**وفاته:**

---

(١) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي: ١/ ٩.

(٢) انظر: كشف الظنون: ١/ ١٩٥ - والرسالة المستطرفة للكتاني: ١٠٥.

(٣) انظر: شرح السنة: ١/ ٢٩ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦١.

توفي رحمه اللّه تعالى بمرو في شهر شوال سنة ست عشرة وخمس مئة للهجرة (٥١٦هـ)، على الراجح من أقوال أهل العلم[١].

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

أثنى شيخ الإسلام ابن تيمية على تفسير البغوي حين سئل يرحمه اللّه عن أقرب التفاسير إلى الكتاب والسنة: الزمخشري أم القرطبي أم البغوي؟ وكانت إجابته أن: (أسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف منه الأحاديث الموضوعة، والبدع التي فيها، وحذف أشياء غير ذلك)[٢]. وقال: صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة.[٣]

وقد ألف البغوي تفسيره هذا استجابة لجماعة من أصحابه المخلصين

---

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ١٣٦.

وللمزيد في ترجمته ينظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير: ١٢/ ١٩٣ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ٤٣٩- ٤٤٠ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٤/ ٤٨ - وطبقات الحفاظ للسيوطي: ٤٥٦- وطبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٥٧- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٦٠ - وطبقات المفسرين للسيوطي: ٣٨- ومرآة الجنان لليافعي: ٣/ ٢١٣ - ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ٢/ ٩١ و٢/ ١٢٩ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ١٣٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٣١/ ٣٨٦.

(٣) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٧٦.

الذين طلبوا إليه تفسيراً لكتاب اللّه. فصنف هذا التفسير الذي جاء متوسطاً بين الطويل الممل، والقصير المخل.

كما صرح المصنف بأن ما ضمنه هذا التفسير ليس زيادة على من سبقوه من المفسرين،ولا إضافةً إلى ما قدموه، ولكنه جاء تلبية لحاجة زمانه من التجديد الذي طال به العهد، وتنبيهاً للمتوفقين، وتحريضاً للمتثبطين[١].

وقد جاء هذا التفسير الذي هو في الأصل مختصر لتفسير الثعلبي في أجمل صورة، وأحلى زينة، فكان - على حد قول الخازن - من أجلِّ المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبلها وأسناها، جامعاً للصحيح من الأقاويل، عارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل، محلى بالأحاديث النبوية مطرزاً بالأحكام الشرعية، موشىً بالقصص الغريبة، وأخبار الماضين العجيبة، مرصعاً بأحسن الإشارات، مخرجاً بأوضح العبارات، مفرغاً في قالب الجمال بأفصح مقال[٢].

هذا وقد طعن البعض في هذا التفسير الجليل، وأفاد بأنه يوجد فيه من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه[٣]. وهو ما يفهم من ظاهر

---

(١) ينظر مقدمة التفسير: ١/ ٣٣.

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: ١/ ٣.

(٣) انظر: الرسالة المستطرفة للكتاني: ٧٨، يقول الدكتور محمد إبراهيم شريف: لقد نقل الذهبي هذه العبارة من الكتاني، وتبعه الشيخ د/ عبد اللّه شحاته في كتابه تاريخ القرآن والتفسير؛ انظر: البغوي الفراء وتفسيره للقرآن الكريم: ١٠٤.

تلك الجملة الموهمة التي أطلقها الخازن قبل قليل، والتي تفيد بأن البغوي جاء في تفسيره بالقصص الغريبة التي لا أصل لها.

وهو زعم باطل في رأي بعض الدارسين[1]، الذين يرون أن الناس قد تلقوا هذا التفسير بقبول حسن، وأن أرباب الصناعة قد شهدوا له بالإعجاب والتقدير، وأن ما لقيه من الرواج والانتشار بين أهل العلم ينفي عنه هذه التهمة.

والحق والتفسير بين أيدينا يشهد على البغوي أنه أورد بعض الإسرائيليات التي نص أئمة الحديث على أنها أخبار موضوعة، كالذي أورده في قصة هاروت وماروت، ولا يعفيه من المسؤولية - وهو المفسر المحدث -أنه تابع في ذلك ما جاء في كتب التفسير بالمأثور، وإن كان تفسيره أسلم في هذا من غيره.

---

(١) أشار الدكتور محمد إبراهيم الشريف إلى أنَّ البغوي الذى عناه الكتاني في رسالته هو بغوي آخر غير محيي السنة واسمه عبد الله بن محمد، المعروف بالبغوي الكبير وأن المعنيَّ توفي سنة (٣١٧هـ) وأورد نص الكتاني وتوصل منه إلى ما أقره من نفي هذه الشبهة وردَّها. انظر: البغوي الفراء وتفسيره للقرآن: ١٠٤.

قلت: كلام الكتاني هو عن التفسير المسمى «معالم التنزيل» ومعروف أنه للبغوي محيي السنة، ولا نعلم للبغوي الكبير تفسيراً بهذا الاسم، وإنما جاء الخطأ من الكتاني الذى نسبه للبغوي الكبير، ثم إن تفسير البغوي «معالم التنزيل» موجود بين أيدينا يشهد له أو عليه.

مهما يكن الأمر فإن ما جاء من هذا القبيل في هذا التفسير هو أقل بكثير مما جاء في غيره من التفاسير السابقة عليه واللاحقة. كما أن ما جاء فيه لا ينقص من قدره وقيمته، لكونه لا يذكرها في مناط الجزم والاعتماد لتوجيه الآية، ولكون رواية الإسرائيليات المسكوت عنها أمر لا حرج فيه.

وامتاز تفسير البغوي بسهولة العبارة بعيداً عن التكلف والتطويل،ثم الاعتماد على أحسن الطرق في التفسير وهو التفسير بالمأثور، كما يلاحظ أن تفسيره قد امتلأ بالمواطن التي انتصر فيها المصنف لأهل السنة والجماعه، فهو لهذا يعد واحداً من التفاسير الهامة التي تحوي آراء أهل السنة.

وقد قدم البغوي تفسيره بمقدمة مختصرة، بين فيها منهجه في الكتابة ودواعي التأليف، كما ذكر مصادره من كتب التفسير بالمأثور وكتب الأخبار والسير والقراءات والحديث، وعقد فصولاً لبعض موضوعات علوم القرآن.

قدم الإمام البغوي لتفسيره مقدمة استغرقت أربع عشرة صفحة من القطع الكبير، بين فيها الدواعي إلى تأليف هذا التفسير، كما بين فيها مصادره من الصحابة والتابعين وأئمة السلف، وتعرض لثلاثة موضوعات من موضوعات علوم القرآن، وأفردها بالحديث، وجعل كل موضوع في فصل مستقل، وهي:

**١) فضائل القرآن وتعليمه.**

**٢) فضائل تلاوة القرآن.**

**٣) وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم.**

كما تعرض لبيان معنى التفسير والتأويل، ونزول القرآن على سبعة أحرف.

وقد انتخب المصنف لكل موضوع جملة من الآثار، ولم يكثر منها، وأوردها بأسانيده، وذكر من خرجها من الأئمة، وبين حكمها ودرجتها.

**وقد طبعت بعدد طبعات الكتاب، نذكرمنها:**

١) طبعة حجرية عام ١٢٨٥ هـ، مكونة من أربعة أجزاء، عليها بعض التعليقات.

٢) طبع على هامش تفسير ابن كثير في تسعة مجلدات، بمطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٣هـ.

٣) طبع على هامش تفسير الخازن في أربعة مجلدات عام ١٣٧٥هـ.

٤) طبع طبعة جيده بتحقيق الأستاذين: خالد بن عبد الرحمن العك، ومروان سوار، ونشر دار المعرفة - بيروت - لبنان عام ١٤٠٦هـ.

٥) طبع طبعة ممتازة، ومن أفضل طبعات الكتاب بتحقيق الأساتذة: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش،

ونشرته دار طيبة بالرياض عام ١٤٠٩هـ.

**ثالثاً- عرض موضوعات المقدمة:**

استهل المصنف مقدمته بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على نبيه وصفيه محمد ﷺ خاتم النبيين، ثم وضّح مهمة الرسول ﷺ، وإنزال الكتاب عليه الذي كان به الإعجاز والتحدي للخليقة أجمع، لذا كان في اتباعه النجاة وفي الإعراض عنه الخسارة والضياع، وبيّن ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أمور العقيده والفقه والقصص والأمثال، والذي يفهم بمعرفة تفسيره.

وأشار إلى أن السابقين قد بذلوا جهوداً مباركة في تفسير كتاب اللّه، وألفوا الكتب لبيان علومه وفنونه، ثم نقل لنا دواعي تأليفه لهذا التفسير وأجملها في أمرين:

**الأول: استجابة لجماعة من أصحابه من طلبة العلم**، ويقول في ذلك: فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه معتمداً على فضل اللّه تعالى وتيسيره...[(١)]

**الثاني: اقتداء بأئمة السلف** الذين رأوا في تقييد العلم بالكتاب إبقاء للخلف.

---

(١) انظر: مقدمة معالم التنزيل: ١/ ٣٤.

ثم صرح بأنه اختار لتفسيره طريقة بين الطويل الممل والقصير المخل، فجاء متوسطاً كما أراد.

بعدها بيَّن المصنف أن التعبد يكون بتلاوة الكتاب كما يكون باتباع أحكامه، على أن تكون التلاوة وفق رسم المصحف الإمام الذي اتفقت الصحابة عليه وأن لا تتجاوز بأية حال قراءة أحد القراء المعروفين الذين خلفوا الصحابة والتابعين واتفقت الأئمة على اختياراتهم وإمامتهم وذكر أسانيدهم في القراءة.

وقبل أن يتعرض لموضوعات علوم القرآن الثلاثة التي قدمها بين يدي تفسيره، بيَّن منهجه في الاستشهاد بالأحاديث والآثار النبوية.

**الفصل الأول: فصل في فضائل القرآن وتعليمه:**

اكتفى المصنف في هذا الفصل بسوق مجموعة من الآثار الدالة على فضل القرآن بأسانيده، مع عزوها إلى من أخرجها من أئمة الحديث في مصنفاتهم، ولم يشأ المصنف بيان النصوص المشكلة، ولا شرح غريبها على عادة العلماء، وهو منهج اتخذه في الفصول اللاحقة أيضاً.

**الفصل الثاني: فصل في فضائل تلاوة القرآن:**

كان من حق هذا الفصل أن يدمج مع سابقه غير أن المصنف فصل بينهما، فأورد في هذا الفصل تسعة آثار ساقها بسنده بينَتْ فضل تالي القرآن، وما ينتظره من الأجر والمثوبة، ولم أرَ مسوغاً لصنيع المصنف هذا

بفصل الموضوعين وهما موضوع واحد، ولهذا أدمجهما الخازن في تفسيره.

## الفصل الثالث: فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غيرعلم:

ثلاثة آثار هي التي أوردها المصنف ليبين الوعيد الشديد الذي ورد في حق المتقوّل على كتاب اللّه برأيه، كما ذكر أثرين عن الصحابة يؤكدان ما أحدثه الوعيد الوارد من الخشية في نفوس الصحابة حتى أحجموا عن خوض هذا المضمار.

ولأن المصنف يرى جواز التأويل في كتاب اللّه، وخشية أن يلتبس ذلك بالقول في القرآن بالرأي أشار المصنف إلى أن التأويل لا يدخل تحت هذا الوعيد، كما بين معنى التفسير بأنه الكلام في أسباب نزول الآية ونشأتها وقصتها، وأن ذلك يكون بالسماع بعد ثبوته بالنقل.

وختم الفصل بسوق الأثر الذي رواه عبد اللّه بن مسعود -رضي الله عنه- عن رسول اللّه ﷺ والذي يبين نزول القرآن على سبعة أحرف وأن لكل آية ظهر وبطن، وحد ومطلع. كما ذكر اختلاف العلماء في تأويلهم للظهر والبطن والحد والمطلع.

## رابعاً- منهج البغوي في مقدمته:

منهج البغوي في المقدمة أنه يبدأ الفصل بسرد الآثار التي اختارها مما يليق بموضوع الباب، وذلك بذكر الأثر بإسناده إلى رسول اللّه ﷺ. ثم يبين من أخرجه من الأئمة في الغالب، وإن كان المخرج قد قال فيه مقولة، نقله،

أو حكماً أورده، وإلا حكم هو على المروي بالصحة أو الغرابة أو غير ذلك - في الغالب - أيضاً. وقد يترك الرواية دون أن يذكر من خرجها من الأئمة، وفي الغالب يكون له أصل أو شاهد قوي في الصحيح.

وقد أعفى البغوي نفسه تتبع الغريب من الألفاظ بالبسط والشرح، ولهذا لم نجده وقف عند لفظة غريبة، وهو الأمر الذي دعا الخازن - مختصر الكتاب - إلى استدراكه، واستبدال الغريب بالأسانيد، وكأن البغوي استغنى عن شرح الغريب لكونه قد خصص لذلك كتابه الحافل الجامع شرح السنة.

هذا ولم يخرج البغوي عن هذه القاعده في مقدمته إلا عند حديثه عن الحد والمطلع، والظهر والبطن، حيث بيَّن اختلاف أهل العلم في تفسير هذه الألفاظ(١).

**خامساً- بيان مدى التزام البغوي في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

بيَّن البغوي منهجه الذي انتهجه في تفسيره، فوصفه بالتوسط والاعتدال في ذكر الأقوال وبسطها، والإعراض عن ذكر المناكير من الأحاديث والآثار، وما لا يليق بمجال التفسير، والاكتفاء بما ثبت في الكتب

---

(١) ينظر أمثلة المنهج في: ١/ ٣٨-٣٩.

المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث،كما تعهد المصنف بذكر القراءات القرآنية للقراء المشهورين واختياراتهم.

وهي ضوابط التزمها المصنف في تفسيره على العموم، فالقارئ في معالم التنزيل يجد البغوي قد تحاشى مثلاً النكات البلاغية، والمباحث اللغوية،إلا ما كان ضرورياً منها لإجلاء المعنى[١]،ويجده تجنب ذكر ما ولع به أصحاب المطولات في التفسير كالرازي وغيره من المباحث التي لاصلة لها بعلم التفسير.

كما يلاحظ أن المصنف قد أورد أقوال العلماء في بيان معنى الآية، واقتصد في ذلك، وذكر الاختلاف من غير إطالة في الغالب، ولا ترجيح[٢].

وكذا التزامه بذكر القراءات، فهو يتعرض للقراءات من غير إسراف منه في ذلك[٣].

أما ما ذكره من الالتزام بالإعراض عن المناكير، والاعتماد على الثابت عند الحفاظ، فقد التزمه إلى درجة كبيرة، وإن كان قد وقع في شيء

(١) انظر مثال ذلك: ١/ ١٦٠ -١٨١.

(٢) انظرمثال ذلك: ١/ ١٢١ - ٢٧٩.

(٣) انظر مثال ذلك: ١/ ١١٧ -٢١٢-٢٥٨-٣٣٦.

منها، فذكر بعض الإسرائيليات دون أن يعقب عليها، أو يبين ما فيها[١].

**سادساً- مصادر البغوي في مقدمته:**

رغم التزام البغوي بالنهج الذي انتهجه من رواية الأحاديث والآثار بأسانيده إلى رسول الله ﷺ، فقد ذكر من خرج الروايات التي ساقها من الأئمة في كتبهم، وهي وإن كانت لا تعد مصادر للبغوي لكونه لم يعتمد عليها غير أن ذكره لها، واعتماده حكم أصحابها يجعلنا نعدها بمثابة مصادره في المقدمة وهي:

١) صحيح البخاري[٢].

٢)صحيح مسلم[٣].

٣) سنن الترمذي[٤].

**سابعاً- مزايا المقدمة والمآخذ عليها:**

لا يستطيع المرء اعتبار مقدمة البغوي هذه مقدمة في علوم القرآن

---

(١) انظر مثال ذلك: ١/ ٢٩٨ - ٣٠٢.

(٢) انظر مثاله صفحة: ١/ ٣٩-٤٢.

(٣) انظر مثاله صفحة: ١/ ٤١.

(٤) انظر مثاله صفحة: ١/ ٣٩-٤١.

بالمصطلح المعروف، وذلك لكونه لم يقدم لنا إلا أحاديث بعدد انتقاها ليؤكد على أهمية تلاوة كتاب اللّه، وفضل التلاوة والتعليم، والنهي عن التفسير بالرأي ليؤكد به أن ما نهجه من التفسير بالأثر هو المطلوب والسالم عن المعارضة، فهو لم يتعرض لموضوعات هامة في علوم القرآن،كما أنه لم يفصل -ولو بقدر - في الموضوعات الثلاثة التي تعرض لها، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نحكم على هذه المقدمة فنذكر ما لها من المزايا،أو عليها من المآخذ اكتفاء بما سبق من الحديث عنها.

# ٧- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز(١)

## لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المتوفي سنة(٥٤٦)هـ

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مصنف هذا التفسير الجليل هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام ابن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل(٢)،المولود سنة(٤٨١هـ).

وينحدر المصنف-رحمه الله-من سلالة عربية أصيلة،فقد كان جدهم جندياً من جنود الفتح الإسلامي للأندلس،وهو عطية بن خالد بن خفاف

---

(١) إطلاق هذه التسمية على التفسير ليس من صنيع ابن عطية-يرحمه الله -بل جاء متأخراً،فقد ذكر المترجمون أن له تفسيراً جيداً، غير أنهم لم يسموه،كما أن المصنف لم يسمه،وهذه التسمية التي عرف بها التفسير،أطلق جزءاً منها لسان الدين الخطيب ت(٧٧٦هـ)فقال: (الوجيز)،ثم جاء ملا كاتب جلبي ت(١٠٦٧هـ)فأطلق عليه اسم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،اقتبسها من قول المصنف في مقدمته: وقصدت فيه -أي في التفسير -أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً.هذا وقد عالج الأستاذ عبد الوهاب فايد هذه التسمية معالجة علمية.انظر: مختصر الإحاطة: ٢/ ١٦٥-وكشف الظنون: ٢/ ١٦١٣- ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب فايد: ٨٢.

(٢) انظر: فهرس ابن عطية: ٥٩-والصلة لابن بشكوال: ٤٣١تحقيق عزت العطار.

المحاربي،نازل قرية (قشتالة)[١].أنسل-كما يقول ابن فرحون-كثيراً لهم قدر وفيهم فضل[٢].وعن ابن خاقان قوله في أحد رجالات هذه الأسرة: نشأ في بيئة كريمة،وأرومة من الشرف غير مرومة،لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم،وأرباب مجد ضخم،قد قيدت مآثرهم الكتب،وأطلقتهم. التواريخ كالشهب [٣].

نشأ ابن عطية في كنف أبيه،وتربى منذ الصغر على تعاليمه وتوجيهاته،محيطاً بعنايته،وفر له-رحمه اللّه-أسباب الراحة،ويسر له النجاح،فاجتمعت الرعاية الحسنة وصدق التوجه وقوة العزيمة،مع سلالة الأرومة،حتى سعى لطلب العلم منذ اليفاعة ولازمه هذا الطموح حتى برزت مواهبه،وغدا شخصية علمية يشار إليها بالبنان،فكان رحمه اللّه يتوقد ذكاءً، سابق الأمجاد فاستولى على الأمد بغلابة،ولم ينض ثوب شبابه،أدمن التعب في السؤدد جاهداً حتى تناول الكواكب قاعداً[٤].

سما إلى رتبة الكهول صغيراً،وشنَّ كتيبة ذهنه على العلوم

---

(١)انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ١/ ١٣٣.

(٢) انظر الديباج المذهب لابن فرحون: ١٧٤ ط عباس بن شقرون، عام ١٣٥١م.

(٣) انظر: قلائد العقيان لابن خاقان: ٢١٦.

(٤) انظر: المراجع السابق: ٢١٧.

مغيراً،فسباها معناً وفضلاً،وحواها فرعاً وأصلاً.[١]

ويرجع نبوغ المصنف إلى الاهتمام العظيم الذي أولاه والده-رحمه الله كما ذكرنا قبل قليل-فقد كان من علماء غرناطة المعتبرين،والمشهود لهم برسوخ القدم في العلوم الشرعية،دفع بولده إلى حلقات العلم المنتشرة في أنحاء المدينة العامرة،كما كانت لحلقات والده،وأرتال الطلبة في غدو ورواح،متناوبين لحضور تلك الحلقات،ووالده يتوسطهم يعلم ويربي ويوجه،كان لهذا المشهد البديع أثره الكبير في نفس ابن عطية،وشغوفه بالعلم،حتى دفعه هذا الهيام إلى الانخراط في ذلك الجمع المبارك،حتى فاق أقرانه، يتصيد العلماء الواردين على غرناطة وينتقيهم،فما أن يسمع بوجود أحدهم في المدينة حتى يعزم لقاءه،والتلقي عنه،وقد روي أن محمد عبد العزيز بن عبد الوهاب القيرواني،دخل غرناطة،وكان عالي الرواية،قديم السماع،فأسرع إليه ابن عطية حين علم بوجوده،رغم صغر سنه،وطلب الإجازة،وحين رآه الشيخ أهلاً كتب له بخطه إجازة علمية[٢].وكذا فعل مع غير واحد كالحافظ أبي علي الغساني،وغيره.[٣]

كما كان لترحاله في أنحاء الأندلس طالباً للعلم، دور في علو قدره،

---

(١) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٧٩.

(٢) انظر: فهرس ابن عطية: ٩٤.

(٣) ينظر فهرس ابن عطية فهو مليء بمثل هذه الروايات.

فمن لم يلتق به في غرناطة من العلماء شد الترحال إليه حيث وُجد من ديار الأندلس،قصد أرباب العلم في كافة عواصم الأندلس وحواضرها، مثل قرطبة وأشبيلية ومرسية وبلنسية وغيرها،وكان في ذلك عوضاً له من الترحال إلى المشرق الذي كان يومها مصدر إشعاع حضاري في كثير من العلوم.(١)

## مكانته العلمية:

كان ابن عطية-رحمه اللّه-فقيها عالماً بالتفسير والأحكام،محدثاً عالي السند،لغوياً عارفاً بالنحو والأدب، مقيداً حسن التقييد،له نظم رائق،ونثر محكم رصين، ولي القضاء بالمرية، فكان غاية في الدهاء والذكاء، والتهمُّم بالعلم، سري الهمة في اقتناء الكتب(٢).

وكان رحمه اللّه من الرجال البارزين الذين أسهموا إسهاماً فعالاً في نشر العلم في ديار الأندلس حتى قال عنه السيوطي: هو الإمام الكبير،قدوة

---

(١) يعلل بعضهم عدم توجه ابن عطية للمشرق طالباً للعلم انشغاله-يرحمه اللّه- بالجهاد والدفاع عن ديار الأندلس،حيث كانت مهددة بالسقوط آنذاك،[انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن العظيم للدكتور عبد الوهاب فايد: ٥٥]ويدل على ذلك أن المصنف-يرحمه اللّه- قد اشترك في عدة غزوات،ودافع عن الديار،كما أن لبعض شعره وقصائده ورسائله إلى الملوك والأمراء دوراً عظيماًفي تثبيت الهمم.

(٢) انظر: الإحاطة للسان الدين بن الخطيب: ٣/ ٥٣٩-والديباج المذهب لابن فرحون: ١٧٤.

المفسرين.[(١)]

وقال صاحب البحر المحيط أبو حيان عنه وعن الزمخشري: إنهما أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير،وقد اشتهرا ولا كاشتهار الشمس.

إلى أن قال: وفي خطبتيْ كتابهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على أنهما فارسا ميدان، وممارسا فصاحة وبيان.

ويتابع فيقول: إذ هذان الرجلان هما فارسا علم التفسير،وممارسا تحريره والتحبير، نشراه نشراً،وطار لهما به ذكراً،وكانا متعاصرين في الحياة،متقاربين في الممات.[(٢)]

وقال ابن عاشور عنه وعن الزمخشري: كلاهما عضادتا الباب،ومرجع من بعدهما من أولي الألباب.[(٣)]

ويقول ابن خاقان[(٤)]: فيه نبعة روح العلا،ومحرز ملابس الثنا،فذ الجلالة،وواحد العصر والأصالة، وقّار كما رسا الهضب،وأدب كما اطّرد السلسل العذب،أثره في كل معرفة، علمٌ في رأسه نار،وطوالعه في آفاقها

(١) انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ٢٩٥.

(٢)انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٠-٢١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/ ١٦.

صبح ونهار[١] [٢]

إن هذه النصوص توكد المنزلة العلمية،والمكانة المرموقة التي شغلها ابن عطية _رحمه الله_ كما أن تفسيره وهو شاهد بين أيدينا، خير دليل على نبوغ المصنف،وما اتكال جل المفسرين من بعده عليه،مع الإكثار من الاستشهاد بنصوصه،وترجيح اختياراته إلا تعزيزلتلك المكانة.[٣]

**شيوخه وتلاميذه:**

يعد العلماء المعتبرين ابن عطية من أعيان غرناطة،وعلماً من أعلامها البارزين في القرن السادس الهجري،خاصة في علم التفسير،ومن كبار العلماء الذين صدرتهم الأندلس الحبيب،ولا شك أن استحق هذا الثناء أن يكون من الواردين على أكثر من نبع يتلقى العلم ويتضلع منه،كما كان لدور والده أثر كبير في كثرة شيوخه،وعلو مكانتهم،ولهذا فلا غرو أن نجد من بين شيوخ ابن عطية من اشتهر بالعلم والفضل،وعلو الكعب،وسمو القدر،ومن قصدهم الغريب البعيد،وفهرس شيوخه الذي أعده وضمنه

---

(١) هو الفتح بن محمد بن عبيد اللّه بن خاقان ،كاتب مؤرخ،من أذكياء الأدباء،كثير الأسفار،كان لعاباً مستهتراً،له قلائد العقيان،توفي مقتولاً(٥٣٥هـ).انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٢٣-الأعلام للزركلي: ٥/ ١٣٤.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٠.

(٣) سيرد مزيد من النصوص عند الحديث عن تفسيره بمشيئة اللّه.

أسماءهم دليل وشاهد على ما ذكرنا.

كما كان للطرق التي تتبعها المصنف في تحصيل العلوم الأثر الواضح في كثرة الشيوخ،والإفادة منها،فقد تلقى العلم -يرحمه الله-سماعاًوقراءة ومناولة وإجازة،حتى بلغ عدد شيوخه الذين هم من أهل الذروة في العلم،في شتى ميادينه تفسيراً وحديثاً وأدباً ولغةوفقهاً وغيرها، أكثر من ثلاثين شيخاً،ضمنهم فهرسه،**ومن هؤلاء:**

**والده الإمام غالب بن عطية**(١)،والحسين بن محمد الغساني(٢)،وغيرهم كثير ينظر فهرس ابن عطية للوقوف عليهم.

**أما تلاميذه:**

فكثيرون بلا شك تلقوا العلم عن المصنف،منهم المواظبون علىمدرسة أبيه_رحمه الله_ حيث تلقوا عنه أمداً من الزمن، ومنهم الذين شاركوا المصنف في ساحات الجهاد، وأسفار الغزو، كما أن الأمراء الذين

---

(١) هو غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ،إمام ناقد مجود،حافظ للحديث وطرقه وعلله،عارف بالرجال، له اهتمام بالأدب والشعر،توفي(٥١٨هـ).انظر: قلائد العقيان لابن خاقان: ٢١٥-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ٥٨٦.

(٢)هو الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني،حافظ حجة ناقد أديب شاعر،محدث الأندلس في عصره،مصنفاته كثيرة منها تقييد المهمل،توفي(٤٩٨هـ).انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٩/ ١٤٨_وتذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/ ١٢٣٣_والصلة لابن بشكوال: ١٤٢.

عرفوا قدره،وكانوامحبين للعلم سمعوا منه، ومن هؤلاء: الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي(١).والإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الأنصاري(٢) وغيرهم.

**مؤلفاته:**

كان مما جاء في التقديم الذي قدمه المصنف بين يدي تفسيره: رأيت أن من الواجب على من احتبى، وتخير من العلوم واجتبى،أن يعتمدعلى علم من علوم الشرع،يستنفد فيه غاية الوسع،يجوب آفاقه، ويتبع أعماقه، ويضبط أُصوله،ويحكم فصوله، ويلخص ما هو منه،أو يؤول إليه، ويفي بدفع الاعتراضات عليه.... إلى أن قال: فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أُعد أنواره لظلم رَمسي؛ سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم،فوجدت أمتنها حبالاً،وأرسخها جبالاً،وأجملها آثاراً،وأسطعها أنواراً: علم كتاب الله جلت قدرته... فثنيت

(١) هو محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي ، حافظ مجودٌمقرئ أديب، تلقى العلم عن كثيرين، توفي(٥٧٥هـ).انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٨٥-وفهرس ابن خير: ٢٢-والتكملة لابن الأبار: ٥٢٤.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف الأنصاري،المعروف بابن حبيش ، فارس من فرسان الحديث بالأندلس، بارع في اللغة، تصانيفه كثيرة منها المغازي،توفي(٥٨٤هـ).انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ١١٨-وتذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/ ١٣٥٣-وشذرات الذهب: ٤/ ٢٨٠.

إليه عنان النظر،وأقطعته جانب الفكر،وجعلته فائدة العمر.[١]

يتبين من هذا النص أن ابن عطية-رحمه الله- فد انتهج لنفسه منهجاً خاصاً،وهو أنه رأى أن الفائدة تكون أعظم حين ينصرف كل عالم إلى فرع من فروع العلم يفني في مسائله العمر، ويجعل همه ضبط أصوله، وهو منهج آل إليه أهل العصر،وأسموه التخصص الدقيق.

ولهذا الأمر لا يقف الناظر في ترجمة ابن عطية على مؤلف له غير التفسير الذي ذكر أنه أفنى فيه العمر،وكانت حصيلة جده واجتهاده، كما يجد القارىء أن المترجمين يذكرون للمصنف فهرساً أثبت فيه-يرحمه الله- أسماء شيوخه الذين تلقى العلم عنهم،وقد بلغ عددهم ثلاثون شيخاً،والفهرس مطبوع متداول.

**وفاته:**

اختلف في تحديد سنة وفاة ابن عطية،والراجح أنه توفي سنة(٥٤٦هـ)[٢]في منتصف شهر رمضان المبارك،في مدينة(لورقة)،غرب

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١/ ٨-٩.

(٢)انظر: المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأثير: ٢٦١ط مدريد ١٨٨٥م-والصلة لابن بشكوال: ٣٦٨-والديباج المذهب لابن فرحون: ١٧٥-ونفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٧٩-وطبقات المفسرين للسيوطي: ٥٠-وللداودي: ٢٦٥.

وينظرللمزيد في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة،للوزير لسان الدين الخطيب:=

مرسية،وقد بلغ ستين عاماً،رحمه اللّه رحمه واسعة،وغفر اللّه لنا وله.

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

لم يحظ تفسير ابن عطية بالاهتمام المطلوب من أهل عصرنا،حيث تأخر ظهوره مطبوعاً عن تفاسير كثيرة لا تدانيه مرتبة،ولا تقربه منزلة،بل اعتمد كثير منهم على ابن عطية وآرائة في قضايا مشكلة في التفسير،مع أن جلّ العلماء المعتبرين قد أشادوا بهذا التفسير وبمصنفه،قديماً وحديثاً،حتى قيَّض اللّه لإخراجه وتحقيقه-بعد أن طبعت مقدمته طبعة مستقلة-ثلة من أهل التحقيق،فأخرجوه في طبعة أنيقة، وحلة قشيبة،وتكرم بعض من رجا الخير من وراء طبعه، فطبعها على نفقته الخاصة،ووزع على طلبة العلم والمكتبات الخاصة والعامة فانتشر بذلك انتشاراً عظيماً عم به النفع.

والقارىء في تفسير ابن عطية يستشعر أمرين ربما امتاز بهما المصنف عن غيره ممن سبقوه،أكسبا التفسير قوة وحظوة، **أولهما** ما يلاحظه القارىء من العناية الفائقة بالتحقيق والتدقيق في المسائل العلمية،وتحري ما هو أقرب

---

=١/ ١٣٣-والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون: ١٧٤_والصلة لأبي القاسم بن بشكوال: ٤٣١-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٦٥ طبعة دار الكتب العلمية، طبقات المفسرين للسيوطي: ٥٠-وفهرس ابن عطية-وقلائد العقيان لأبي نصر بن خاقان: ٢١٥-والمعجم في أصحاب أبي علي الصدفي،لابن الأبار: ٢٦١- ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم،د/ عبد الوهاب فايد_ونفح الطيب من غصن أندلس الرطيب للمقري: ٣/ ٢٧٩.

إلى الصواب،وأبعد عن البدع،إضافة إلى النَّفَس الطويل الذي يظهر بوضوح في معالجته للنصوص المشكلة،والمسائل المعضلة،والغوص في خبايا النص، وهو أمر غير مستغرب إذا علمنا أن هذا التفسير كان أثراً من آثار الشباب،فقد أفنى المصنف فيه عمره،ورسم بداياته منذ اليفاعة،فكم أيقظه والده وهو شاب من النوم في أنصاف الليالي يقول له: قم يا ولدي أكتب كذا وكذا في موضع كذا من تفسيرك[١].

والأمر الآخر الملاحظ في هذا التفسير هو قوة البيان،وسلامة العبارة وسلاستها،والنصوص الأدبية المحبوكة كأفضل ما يكون،والمنسجمة بقوة،وهي كلها أعطت لهذا التفسير قدراً خاصاً عند المشتغلين باللغة،وربما يعود سبب هذا التفوق والله أعلم إلى عروبة المصنف،فقد أفادته طبعاً أصيلاً،وسليقة صافية حتى فاض بيانه قوياً سائغاًسلسلاً[٢].

وقد سار المصنف في تفسيره على منهج السلف،حيث جعل ظاهر الآيات هو مدار البحث والدرس، دون القول بالرمز والإشارة،الذي يلجأ إليه أهل الزيغ والضلالة[٣].

---

(١) انظر: بغية الملتمس: ٤٢٧.

(٢) انظر: التفسير ورجاله لابن عاشور: ٩٢.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١/١١.

وهو أمر جعل للتفسير قدراً واعتباراً عند أهل العلم،حتى أغدقوا عليه الثناء،يقول ابن عميرة الضبي ت(٥٩٩هـ)[١]: ألف ابن عطيةفي التفسير كتاباً ضخماً أربى فيه على كل متقدم.[٢]

ويقول ابن جزي الكلبي ت(٧٤١هـ): وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها،فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها،وهو مع ذلك حسن العبارة،مسدد النظر، محافظ على السنة.[٣]

وقال أبو حيان عنه وعن تفسير الزمخشري أنهما: قد أنجدا وأغارا،وأشرقا في سماء هذا العلم بدريْن وأنارا،وتنزلا من كتب التفسير منزلة الإنسان من العين، والذهب الإبريز من العين... إلى أن قال: وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص.[٤]

هذا وقد كان لإخلاص ابن عطية، والغاية التى لها صنّف كتابه،أثره البالغ في انتشاره،وقبوله عندالخاصة من أهل العلم، حتى صار أصدق

---

(١) هو أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، مؤرخ من علماء الأندلس،كان يعمل وراقاً،آية في سرعة الكتابة،له بغية الملتمس في تاريخ الأندلس،توفي(٥٩٩هـ).انظر: الأعلام للزركلي: ١/ ٢٦٨.

(٢) انظر: بغية الملتمس: ٣٧٦.

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ١/ ١٧.

(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٠.

شاهد على إمامته،فحين ذكر المصنف الغاية التي لها صنف قال: ورجوتُ أن اللّه تعالى يُحرِّم على النار فكراً عَمَرَتْهُ أكثر عمره -معانيه،ولساناً مَرَنَ على آياته ومثانيه،ونفساً ميزت براعة رصفه ومبانيه[١].

والمحرر الوجيز تفسير جمع بين مدرستي التفسير،التفسير بالأثر،والتفسير بالرأي المحمود.وطبقاً للمنهج الذي انتهجه المصنف،وهو تحقيق الغرض المراد بإيجاز وتوسط، فقد حذف يرحمه اللّه أسانيد الروايات التي استشهد بها في مواضعها المتعددة.

وجاء اهتمام المصنف باللغة والقضايا اللغوية في المرتبة الأولى،فقد أولى هذا الجانب اهتماماً خاصاً،تمثلت في شرح المفردات القرآنية،والآراء النحوية وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر[٢]كما في كثير من المفسرين[٣].

كما اهتم المصنف بالقراءات القرآنية،حتى الشاذة منها،يوجهها أو ينقدها وقصدت إيراد جميع القراءات،مستعملها وشاذها[٤] .

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١/ ٩.

(٢)الطفر: وثبة في ارتفاع،وطفر الحائط: وثبه إلى ما وراءه.والمراد هنا: أنه تتبع ألفاظ الآيات عكس بعض المفسرين الذين تركوا بعض الألفاظ. انظر: لسان العرب لابن منظور (طفر): ٢/ ٥٩٧.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١/ ١١.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١/ ١١.

ولم يغفل الأحكام القرآنية المستفادة من الآيات، ولا المسائل الفقهية، دون الإكثار منها متمشياً مع الدليل.

هذا ولم يسلم تفسير ابن عطية -رغم الحيطة- من بعض الإسرائيليات،فقد اشترط المصنف على نفسه أن لا يذكر منها إلا ما لا تنفك الآية إلا به[1]،غير أنه وقع في المحظور الذي حذَّر منه في بعض المواضع-وسيأتي بيان ذلك إن شاء اللّه-وهو مع هذا يبقى الرائد الذي خلَّص التفسير من كثير من الدخيل،يقول الأستاذ عبد الوهاب فايد: إن ابن عطية في تفسيره على وجه العموم قد اتخذ لنفسه منهجاً علمياً دقيقاً بالنسبة للروايات الإسرائيلية،ومن هنا يرتقي ابن عطيةإلى مصاف المفسرين الذين احتاطوا في الأخذ بالإسرائيليات،وقاموا بمحاولات جدية ومشكورة لتصفية التفسير من هذا الهشيم الإسرائيلي المركوم،الذي يشوه كتاب اللّه تعالى.[2]

وهو الأمر الذي حدا بابن خلدون إلى القول: فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص،وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب،فلخص تلك التفاسير كلها،وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها،ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١/ ١٠.

(٢) انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن، د/ عبد الوهاب فايد: ١٨٥.

المنحى.[١]

هذا وقد استحوذت مقدمة ابن عطية-رحمه اللّه-على اهتمام العلماء،حيث كانت محل عناية المفسرين والمهتمين بعلوم القرآن،فلم تخلُ كتاباتهم ومصنفاتهم من نصوص ابن عطية وآرائه،وما ذلك إلا لأهمية ما أثبته المصنف في مقدمته،ولهذا الأمر وجدنا الأيدي تمتد لإخراجها مستقلة عن أصلها منفصلةً عنه،فقد كانت هذة المقدمة أول مقدمة في علوم القرآن تطبع مستقلة،وكان ذلك عام ١٩٥٤م على يد المستشرق(آرثر جفري)حيث ضمها إلى مقدمة كتاب «المباني»،وأخرجهما معاً بعنوان «مقدمتان في علوم القرآن»،ونال الشهرة والانتشار بين طلبة العلم.

وقد جاءت مقدمة المصنف-حسب النسخة التي اعتمدتها، المثقلة بالهوامش-في أربع وستين صفحة من القطع المتوسطة، شغلت الهوامش ما يربو على نصفه، شارحة لعباراتة، مخرجة لرواياته، معرِّفة برجالاته.

قسم ابن عطية مقدمته إلى تسعة أبواب،إضافة إلى التقديم الذي بين فيه أهمية علم التفسير،والأسباب الداعية للتصنيف، والمنهج المتبع في التأليف، وهذه الأبواب هي:

١) ما ورد عن النبي ﷺ وعن الصحابة ونبهاء العلماء-رضي اللّه عنهم-في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به.

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون: ٣١٤طبعة دار المصحف بالقاهرة.

٢) في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته. والنظر في إعرابه ودقائق معانيه.

٣) ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين.

٤) معنى قول النبي: « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه ».

٥) ذكر جمع القرآن،وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتعشيره.

٦) في ذكر الألفاظ التي في كتاب اللّه وللغات العجم بها تعلق.

٧) نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن.

٨) في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب اللّه تعالى.

٩) في تفسير أسماء القرآن،وذكر السورة والآية.

وهذه الأبواب كما يظهر من عناوينها قد حوت موضوعات أربت على عدد الأبواب، وهي من الموضوعات التي ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في التفسير، مجتمعة لذهنه، بذل فيها المصنف جهداً عظيماً حتى استوى على سوقه،فأكثر من الروايات والآثار بقدر ما تدعو إليه الحاجة، وبين اختلاف أهل العلم في المعضلات والمشكلات،بعبارة رصينة محكمة، عصمته من التطويل الذي اشترط على نفسه تجنبه.

وقد وقفْتُ على ثلاث طبعات للمقدمة، إحداها مستقلة طبعت

بعناية المستشرق(آرثر جفري)وهي التي أشرت إليها قبل قليل،طبعت قبل طباعة صلب التفسير بأكثر من ثلاثة عقود، واعتمدها طلبة العلم بتحريفاتها وأغلاطها التي ربما كان بعضها متعمدة من المحقق، بل يجزم الأستاذ عبد الوهاب فايد في دراسته لتفسير ابن عطية بأنها تحريفات مقصودة، أراد منها المحقق الدس في هذا التفسير العظيم.(١)

والطبعتان الأخريتان هما اللتان طبعتا مع صلب التفسير، الأولى من إصدارات المجلس العلمي بفاس، عام ١٣٩٥هـ، صدرت على أجزاء متفرقة في عدة سنوات على نفقة ملك المغرب.

والثانية عام ١٣٩٨هـ طبع على نفقة أمير دولة قطر،بتحقيق الأساتذة الرحالي الفاروق -وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري-والسيد عبد العال السيد إبراهيم- ومحمد الشافعي صادق العناني.

وهذه الطبعة هي التي اعتمدتها في هذه الدراسة وهي قليلة الأخطاء، مثقلة بالحواشي.

---

(١) ذكر ابن عطية في معرض حديثه عن البسملة أثران يقتضيان أن البسملة آية من الحمد، ثم قال: ويرد ذلك حديث أبيّ بن كعب الصحيح وجاءت هذه العبارة في نسخة آرثر جفري على النحو التالي: (ويبين ذلك حديث أبي بن كعب الصحيح). انظر المقدمة: ٢٨٧،وانظر المحرر الوجيز: ١/ ٧٩، وقد ذكر الأستاذ الفايد أكثر من تحريف في هذه المقدمة،انظره في: منهج ابن عطية في تفسير القرآن: ٨٤.

**ثالثاً:عرض موضوعات المقدمة:**

بدأ ابن عطية -يرحمه اللّه-تفسيره بالحمد للّه، والشكر له على تفضله وامتنانه، حيث جعل أمة محمد ﷺ أمة وسطاً بين الأمم، وألهمها من العوارف والمعارف ما يوصلها إلى معرفته جلت قدرته.

وأسدى التزكيات المباركات على رسول اللّه ﷺ الذي نهض بأعباء الرسالة حتى بلّغها أتم تبليغ.

بعدها بيَّن-رحمه اللّه- أنه تحمل المتاعب الجمة،وركب الصعاب، فأوصل الليل بالنهار طالباً للعلم، وباحثاً عن المعرفة، حتى نال ما سعى إليه وتمناه،فأخذ من العلوم ما قدر عليه،ثم إنه حين رأى تنوع العلوم وكثرتها،وتشعبها،أراد أن يختار لنفسه علماً يقضي في بحث مسائله جلَّ أوقاته، ويفني فيه العمر،فكان أن هداه اللّه إلى علم كتابه جلت قدرته،أمتن العلوم وأرسخها وأسطعها، فجعله مدار بحثه ودرسه، وأثنى إليه عنان النظر،وأقطعه جانب الفكر.

ثم عرض المصنف منهجه في كتابه، فوصفه بالتوسط والإيجاز، على مذهب السلف في النظر إلى ظواهر النصوص، دون الخوض في الرمز والإيحاء على مذهب أهل الزيغ والإلحاد.

وقبل أن يقدم بين القول في التفسير الأشياء التي ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم،مجتمعة له، قبل ذلك رجا اللّه الثواب

من وراء العمل، وأن يبارك له في الذي فعل.

## الباب الأول: ما ورد عن النبي ﷺ وعن الصحابة ونبهاء العلماء - رضي الله عنهم - في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به

ذكر المصنف في هذا الباب جملة من الأحاديث والآثار وأقوال أهل العلم، في فضل القرآن الكريم،أراد من خلالها بيان فضل كتاب الله تعالى،وأن المتمسك به لن يضل أبداً، كما أشارت تلك الآثار إلى العديد من خواص كتاب الله، وكان من جملة تلك الآثار التي أوردها تلك التي أكدت على فضل تلاوة القرآن الكريم،وفضل تعلمه وتعليمه،وما يلقاه التالي له من النور، وما ينتظره من الوعد المقيم.

أعقب ذكر الآثار التنبيه إلى أن التلاوة الحقة تقتضي العمل بالمتلو، فذكر أن مراد الحق تعالى من ﴿ثَقِيلاً﴾في قوله ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[المزمل: ٥] هو العلم بمعانيه والعمل به، والقيام بحقوقه.

وقد جاء هذا الباب في اثني عشرة صفحة.

## الباب الثاني: في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته،والنظر في إعرابه ودقائق معانيه

جاء هذا الباب مختصراً،أكد فيه المصنف أن إعراب القرآن أصل في الشريعة لأنَّ به تقوم معانيه، وروى في ذلك حديثين للدلالة على أهمية

الموضوع، وعدة آثار عن كبار الصحابة والتابعين تبين مكانة العارف بتفسير كتاب اللّه، ومدى حرص السلف رضوان اللّه عليهم على تعلم علم القرآن، والنظر في دقائق معانيه.

وقد اختار المصنف الآثار التي ذكرها كنماذج للدلالة على ما أراد بيانه،ولم يكثرمن ذلك تمشياً مع المنهج الذي رسمه لنفسه، وهو الإيجاز والاختصار غير المخل، وإلا فالآثار الواردة في هذا الباب كثيرة.

## الباب الثالث: ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه،ومراتب المفسرين

في هذا الباب تحدث المصنف عن ثلاثة موضوعات كما يظهر من عنوانه:

١) الكلام في تفسير القرآن.

٢)التفسير بالرأي، وهو ما عبر عنه بالجرأة عليه.

٣) مراتب المفسرين.

أورد المصنف للموضوع الأول،الأثر الوارد عن أم المؤمنين عائشة- رضي اللّه عنها- وهي تؤكد أن رسول اللّه ﷺ لم يفسر القرآن كله،وإنما فسر آياً بعدد علّمه إياهن جبريل؛ ثم تحدث عن تأويل ذلك وبين أنه وارد في مغيبات القرآن،وتفسير مجمله،مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من اللّه تعالى.

انتقل عقب ذلك إلى الموضوع الثاني، فأورد عن رسول اللّه ﷺ أنه

قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»، وذكر أن مراده ﷺ أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء،ولهذا فإن التفسير المبني على النظر في الأدلة لايدخل في هذا الحديث،وأن من السلف من كان يتحرج من الخوض في تفسير الآيات بالرأي تورعاً واحتياطاً،وأن آخرين منهم فسروا كثيراً من الآيات بعد أن ملكوا أدوات التفسير،وهؤلاء كانوا أشفق على الأمة في ذلك،إذ بينوا الغريب من الألفاظ،والغامض من المعاني.

وبذلك انتقل للحديث عن الموضوع الثالث،وهو الأخير في هذا الباب،فذكر -يرحمه الله -نماذج ممن برزوا في جانب التفسير،من الجيل الأول،وإلى عصره،وقال معقباً: وكلهم مجتهدون مأجورون. وقد جاء هذا الباب في أربع صفحات.

## الباب الرابع: معنى قول النبي ﷺ : «القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه»

هذا أطول باب تعرض له المصنف في مقدمته،فقد جاء في خمس عشرة صفحة،قرر المصنف في بدايته اختلاف الناس فيه اختلافاً شديداً،ثم ذكر بعض تلك الآراء في بيان معنى الأثر الوارد فيه،يعقب على كل قول يورده، فيضعف بعضها،ويجوِّز غيرها،ويناقش القائل.

وارتضى من الأقوال اختيار أبي عبيد وغيره من أهل العلم،وهو أن

معنى الحديث أنه سبع لغات لسبع قبائل،ورجح الرأي وانتصر له،ثم سعى لتحديد القبائل التي نزل القرآن على لغاتها،فذكر أنها قريش،وكنانة،وأسد، وهذيل، وتميم، وضبَّة وألفافها،وقيس،وهي القبائل التي انتهت إليها الفصاحة،وسلمت لغاتها من الدّخل.

ولكون أبي عبيد والمبرد وغيرهما من القائلين بهذا القول كانوا قد ذكروا أن عرب اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلسانها،لهذا الأمر أوّل المصنف قولهم، وقال: ذلك عندي إنما هو فيما استعمله عرب الحجاز من لغة اليمن، فأما ما انفردوا به فليس في كتاب اللّه منه شيء،فقد أفسد كلام اليمن خلطة الحبشة والهنود.

بعد هذا ذكر من أفسد لغة شرقي الجزيرة مما والى العراق،وشمال الجزيرة مما والى الشام،وذكر أن ما يقوي هذا المنزع أنه حين اتسع نطاق الإسلام،وتجرد أهل البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب،وكتب لغتها،لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة،وتجنبوا اليمن والعراق والشام،كما تجنبوا لغة الحواضر مكة والمدينة والطائف،لأن السبي والتجار من الأمم كثروا فيها،فأفسدوا اللغة،وقد كانت في مدة النبي ﷺ سليمة لقلة المخالطة.

إذاً سبع قبائل عربية،بلغة جملتها نزل القرآن،هو التفسير الراجح لدى المصنف في معنى الحديث الوارد في هذا الباب.

وحين انتشرت الروايات الكثيرة في القراءات التي وردت على لسان

رسول اللّه ﷺ وافترقت الصحابة رضوان اللّه عليهم في البلدان،ووقع بين أهل الشام والعراق ما وقع من الخلاف في القراءة،ونقل حذيفة الأمر لعثمان بن عفان - رضي اللّه عنهما- رجاء أن يدرك الأمة قبل أن يشتد الخلاف،استناب عثمان الكفاءات العلمية الفصحاء ليكتبوا القرآن، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول اللّه ﷺ،وأفصح اللغات، فترك الناس ما خرج عنه مما كان كتب،سداً للذريعة، وتغليباً للمصلحة.

بعدها ذكر المصنف مصحف ابن مسعود - رضي اللّه عنه - وأن العلماء تركوه سداً للذريعة ولكونه حوى أشياء على جهة التفسير، كما ذكر قراءات القراء السبع المشتهرة،وشاذ القراءة،وقراءة أبي السمال.

وختم الباب بالإشارة إلى أن ما تعرض له في هذا الباب قد وقع فيه خلاف غير أنه أعرض عن ذكره والغوص فيه تجنباً وكراهية للإطالة،والتزاماً بالمنهج.

## الباب الخامس: ذكر جمع القرآن،وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتعشيره

أشار المصنف في بداية حديثه أن القرآن كان مجموعاً في صدور الرجال،كما كان مكتوباً في الصحف واللخاف وغيرها من وسائل حفظ المكتوبات،فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة،جُمع المصحف بإشارة من عمر - رضي اللّه عنه - وندب من أبي بكر ﷺ- فجمعت الصحف على

يد زيد ﷺ، وبقيت تلك الصحف مجموعةً إلى خلافة عثمان - رضي اللّه عنه حين اختلف الناس في المصاحف التي انتشرت على الأحرف السبعة،كمصحف ابن مسعود،ومصحف أبيّ بن كعب وغيرهما، فندب عثمان - رضي اللّه عنه زيد بن ثابت وغيره بإيحاء من حذيفة - رضي اللّه عنه إلى جمع الناس على مصحف واحد،ووضع لهم عثمان منهج الجمع والتدوين،فنسخت الصحف، عدة نسخ،وأرسلت إلى الأمصار لاعتمادها،وأمر بما سواها أن تحرق أو تخرق.

بعدها تحدث المصنف عن ترتيب السور، لكونها مختلفة في مصاحف الصحابة، فذكر قول الباقلاني وغيره بأن ترتيب السور كان من زيد ومن معه،بمشاركة من عثمان ﷺ وهو رأي مكي بن أبي طالب، أما ترتيب الآيات ووضع البسملة فهي توقيفية من النبي ﷺ، خلا براءة التي أرجأ المصنف الحديث عنها إلى حينه.

ثم بيَّن أن ظواهر الآثار تؤكد أن السبع الطول والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي ﷺ،وكان من السور ما لم يرتب،فذلك هو الذي رتّب وقت الكَتْب.

وختم الحديث عن شكل المصحف ونقطه وتحزيبه وتعشيره، فصرح أن العلماء مختلفون في تعيين أول من أقدم على ذلك.

وقد جاء هذا الباب في سبع صفحات.

## الباب السادس: في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق

بدأ المصنف هذا الباب بذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة،فذكر أنهم فريقان،الأول يرى أن في كتاب الله من كل لغة،والآخر يرى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة،وذكر الأمثلة على الكلمات التي وقع الخلاف فيها.

وصرح باختياره،فبين أن تلك الألفاظ في أصلها أعجمية،لكن استعملتها العرب وعربتها،فغيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها،حتى جرت مجرى العربي الأصيل،ووقع بها البيان.

وختم الباب بالرد على ابن جرير رائد الفريق الثاني،والقائل أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة،فاستبعد ذلك، وأكد أن إحداها أصل والأخرى فرع.

## الباب السابع نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن

ذكر المصنف أن الناس اختلفوا في إعجاز القرآن بأي شيء هو؟ فأورد بعض تلك الأقوال،وبين أن التحدي وقع بنظمه،وصحة معانيه،وتوالي فصاحة ألفاظه،وفي ذلك ردٌّ على القائلين بالصرفة.

ثم أوضح أن كلام البشر لا يمكن أن يصل إلى الإحكام الذي هو في كلام منزل الكتاب،وضرب الأمثلة من كلام الفصحاء والشعراء،وكيف أن

كلامهم يميِّز رغم تنقيحه مدة طويلة،ولذلك أذعنت العرب للأمر،وتـأكدت أنه لا يمكن لبشر أن يأتي بمثـل مـا أتـى بـه محمـد ﷺ،فكـان سـبب إيمـان بعضهم.

ولهذا فإنه تعالى اختار معجزةِ كل نبي بالوجه الشهير في زمانـه،وعليـه كانت معجزة موسى عليه السلام للسـحرة،وعيسـى عليـه السـلام للطـب، ومحمد ﷺ للفصاحة.

## الباب الثامن في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب اللّه تعالى

أراد المصنف من وراء هذا الباب في مقدمته أن يبين موقفه مـن إسـناد بعض الأفعال إلى اللّه،وهي لم تثبت بتوقيف من الشارع، فذكر أن جلة مـن المفسرين قد أباحوا ذلك،وفعلوه،وذلك جرياً على عادة العرب في استعمال ذلك في سياق كلامها، وهي محمولة على المجاز،كقولهم: حكى اللّه تعالى عن أم موسى أنها قالت ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] وكقولهم: وقـف اللّـه ذريـة آدم على ربوبيته بقوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ونحو ذلك.

يريد المصنف بذلك الاحتراز من الخوض في مثل هـذا الأمـر،فكـلام اللّه صفة قديمة من صفاته،والحكاية عن المذكورين أمر محدث،وهو يقتضـي تأخير المحكي.

أوضح يرحمه اللّه أنه يتحفظ من مثل هذا الأمر،وهـو يخشـى أن يقـع منه ذلك،مع أنه جار في كلام العرب، وهـو الأمـر الـذي يـبرر للمفسـرين

الذين وقعوا فيه، ولهذا اعتذر لإخوانه من المفسرين فعلتهم،وذكر أدلة كثيرة من كلام فصحاء العرب، وشعر شعرائها.

## الباب التاسع في تفسير أسماء القرآن، وذكر السورة والآية

ذكر للقرآن أربعة أسماء: القرآن،والكتاب، والفرقان،والذكر،وهي الأسماء الأربعة المشهورة،وبيَّن أصل تلك التسميات،والأدلة عليها.

ثم انتقل لذكر السورة،فذكر الاختلاف المشهور فيها حول كونها مهموزة أو غير مهموزة،وكذا سبب إطلاقها على ذلك المجموع من كلام اللّه.

كما بين معنى الآية في كلام العرب،وسبب إطلاقها على الجملة التامة من القرآن،والخلاف في ذلك،وأصل اللفظة واشتقاقها.

تلك هي المقدمات التي بدأ بها ابن عطية كتابه،ليدل على أن الدواعي إلى معرفة هذه العلوم قوية،وأن الحاجة إليها ماسة لمن أراد فهم كتاب اللّه على الشكل الصحيح المبني على القواعد السليمة.

**رابعاً: منهج ابن عطية في مقدمته:**

الإيجاز وحذف فضول القول كانت السمة الأساسية لمنهج ابن عطية يرحمه اللّه- فقد ظهر ذلك جلياً في مادة مقدمته كلها، والإيجاز قد يكون مخلاً بالمادة العلمية أحياناً،فيظهر القصور في العبارة،والغموض في القول،والنقص في الأدلة،غير أن الأمر يختلف إذا كان الموجز من فرسان البلاغة،صاحب عبارة رصينة،وأسلوب بياني محكم كابن عطية.

لقد استطاع المصنف أن يوجز دون أن يخل،ويوضح دون أن يطيل،حتى جاءت المقدمة غاية في الدقة والإيجاز،عبارة ومنهجاً.

**ويتلخص منهج المصنف في مقدمته في الآتي:**

١) ذكر أقوال أهل العلم في المسائل منسوبة إليهم[(١)]،وهو النهج الذي ألزم المصنف نفسه به، وقد التزمه في الغالب، غير أنه قد يخرج عن نهجه هذا فيطلق نسبة القول، ويقول: قال بعض العلماء، أو نحو ذلك.[(٢)]

٢) إيراد الخلاف في المسائل الهامة، مع عرض الآراء بعبارة موجزة.[(٣)]

٣) التصريح بموقفه من الخلاف وبيان رأيه ومناقشة الآراء الوجيهة بعبارة مختصرة[(٤)].

٤) عدم الإكثار من الآثار والأدلة على المسألة الواحدة، والاكتفاء بما يبين المقصود.

٥) ومن منهج المصنف الاستشهاد بالحديث والأثر واللغة والشعر

---

(١)انظر أمثلة ذلك في الصفحات:: ١٤، ١٥، ٢٠، ٢١، ٣٧، ٣٨، ٥٥، ٥٧، ٦٨، ٧١.

(٢) انظر أمثلة ذلك في الصفحات: ١٩، ٢٠، ٣٥، ٣٨.

(٣) انظر أمثلة ذلك في الباب الرابع والسادس والسابع، من المقدمة.

(٤) انظر أمثلة ذلك في الصفحات: ٢٨، ٣٥، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٩.

لتأكيد معنى، أو تأييد رأي[١].

٦) عدم ذكر سند الرواية، والاكتفاء بذكر الصحابي الذي روى الحديث في الغالب[٢]،وقد يحذف الصحابي أيضاً[٣].

٧) وهذا والمصنف يرحمه الله- قد يحيل القار في المسائل الهامة التي تحتاج إلى بسط القول فيها إلى موضعه من التفسير، خصوصاً تلك التي تعرض لها، ولها تعلق بالسور والآيات.[٤]

**خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

أما ما يخص التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته، فقد ذكر المصنف أنه قصد من تفسيره أن يكون جامعاً للأقوال والعلوم، وجيزاً بحذف فضول القول، مبيناً أن العناصر التي سيذكرها عند حديثه عن الآية أو الآيات هي النحو واللغة والمعنى والقراءة. وهو أمر يجده القارئ بوضوح في تفسيره، فقد راعى المصنف ذلك إلى حد كبير.

كما ذكر المصنف أنه سيسقط القصص الإسرائيلي، ولن يذكر منه إلا ما لا تنفك الآية إلا به، وهو أمر حاول المصنف الالتزام به، فكثيراً ما نجده

---

(١) انظر أمثلة ذلك في الصفحات: ١٤، ٢٥، ٢٦، ٤٦، ٦٩، ٧٠، ٧١.

(٢) انظر أمثلة ذلك في الصفحات: ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٥، ٢٧.

(٣) انظر أمثلة ذلك في الصفحات: ١٣،١٤،٢٣،٢٦.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ١/ ٥٤.

يذكر القصة ثم ينبه إلى أن المروي في الباب أكثر، غير أنه اختصرها لكونه لا يقطع منها بشيء، أو يقول في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وكثر الرواة في قصص التابوت وصورة حمله بما لا أرى لإثباته وجهاً للين إسناده، أو نحو ذلك(١). غير أنه لم يلتزمه دائماً، فقد يجد القارئ ابن عطية في أكثر من موضع وهو يورد الرواية الإسرائيلية ويتركها دون تعقيب وبيان لحالتها(٢).

ومن شرطه في كتابه أيضاً إثبات أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان اللّه عليهم كتاب اللّه من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن. وهذا مما التزمه المصنف بشكل تام، فهو إذا شرع في تفسير الآية وكان لأصحاب المنحى الإشاري قول فيه ذكره أو أشار إليه مستبعداً له،(٣) وخاصة من أولئك الذين قال عنهم في مقدمته: فمتى وقع لأحد من العلماء الذين حازوا حُسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين نبهت عليه.

ومن شرطه أيضاً ذكر القراءات المستعملة منها والشاذة، ويقصد بالمستعملة التي ثبتت بالإجماع والتي يقرأ بها في الصلاة، والشاذة التي لا

---

(١) انظر مثاله: ٢/ ٣٦٠-٣٧١-٤/ ٢٨٤.

(٢) انظر مثاله: ٣/ ٩٥-١٣١.

(٣) انظر مثاله: ٥/ ١٢٢-٢٢٣-٨/ ١٥٨-٤١٦.

يصلى بها لأنها لم تثبت بالإجماع. والناظر في المحرر الوجيز يجد أن المصنف قد التزم هذا الشرط، وسار عليه من بداية تفسيره إلى منتهاه.[١]

**سادساً: مصادر المؤلف في مقدمته:**

اعتمد ابن عطية يرحمه الله في مقدمته على عدد من المصادر الهامة، والمعتمدة لدى المشتغلين بعلوم القرآن، وقد اختلف منهجه في الاستفادة منها، فهو مرة ينقل النص من المصدر ويذكر ذلك، وحيناً يذكر نصاً وينسبه إلى قائله، ويكون القائل صاحب تصنيف مشهور في الباب، وهذا الأخير هو الغالب عليه، والأمثلة على ذلك كثيرة.

**ومن أهم مصادر ابن عطية:**

محمد بن جرير الطبري.[٢]، وأبو بكر بن الطيب الباقلاني، وقد اعتمد أقواله في باب الأحرف السبعة، وجمع القرآن وهي مما جاء في كتابه الانتصار لصحة نقل القرآن[٣]، وأبو عبيدة صاحب مجاز القرآن[٤] وأبو عبيد القاسم

---

(١) انظر مثاله: ٢/ ٤٠٧-٤/ ٤٠١-٧/ ١٤٧.

(٢) انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: ٥١، ٥٢، ٥٧.

(٣) انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٥٣.

(٤) انظر مواضع النقل عنه في الصفحة: ٥٧-٧٠.

بن سلام، صاحب فضائل القرآن،[١] والإمام المقرئ أبو عمرو الداني[٢] وأبو علي الفارسي[٣] والإمام البخاري[٤] وثابت بن قاسم، صاحب كتاب الدلائل في شرح الحديث، هو من الكتب القليلة التي صرح المصنف بالأخذ عنه.[٥]

وعدد آخر لم يرد ذكرهم إلا قليلاً كأبي المعالي الجويني وكتابه الإرشاد[٦] ومكي ابن أبي طالب[٧]، والفراء[٨] والإمام مسلم القشيري صاحب الصحيح[٩]، والجاحظ في كتاب الأمصار[١٠]، والزبيدي في كتاب

---

(١) انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: ٤١، ٤٣.

(٢) انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: ٢١، ٥٦.

(٣) انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: ٦٤، ٦٥، ٧٢.

(٤) انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١.

(٥) انظر موضع النقل عنه في الصفحات: ٣٥، ٣٨، ٤٢.

(٦) انظر موضع النقل عنه في الصفحة: ٦٣.

(٧) انظر موضع النقل عنه في الصفحة: ٧٢.

(٨) انظر موضع النقل عنه في الصفحة: ٧٢.

(٩) انظر موضع النقل عنه في الصفحة: ٣٥.

(١٠) انظر موضع النقل عنه في الصفحة: ٥٥.

الطبقات[١] وأبو الفرج صاحب الأغاني[٢] وغيرهم.

**سابعاً– أهم مزايا المقدمة:**

لمقدمة ابن عطية يرحمه الله مزايا عديدة، ربما تفرد ببعضها، وأذكر منها:

١) تنوع الموضوعات التي اختارها المصنف، وقدمها بين يدي تفسيره.

٢) الإيجاز والاختصار في عرض الموضوعات، وكذا في سرد الأقوال.

٣) الإعراض عن الأقوال الساقطة، وفضول القول.

٤) الرد التفصيلي على بعض الأقوال المرجوحة ومناقشة قائليها.

**ثامناً– أظهر المآخذ على المقدمة:**

١) إغفال بعض أصول التفسير، وعدم التوسع فيما ذكر منها.

٢) عدم بيان درجة كثير من الآثار المستشهد بها.

٣) القصور في معالجة بعض الموضوعات مثل إعجاز القرآن.

هذا ما قلته في تفسير ابن عطية وأستغفر الله من الزلل.

---

(١) انظر موضع النقل عنه في الصفحة: ٥٥.

(٢) انظر موضع النقل عنه في الصفحة: ٥٥.

# ٨- زاد المسير في علم التفسير

**لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ).**

## أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا الزاد العظيم هو الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عُبيد اللّه الجوزي القرشي البغدادي، والمعروف بابن الجوزي[١].

اختلف أهل العلم في تحديد العام الذي ولد فيه الإمام[٢] والذي يترجح أنه كان عام (٥١٠هـ) أو قريباً منه كما يظهر من كلام الإمام نفسه،

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٦٥- ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ١٤٠- والجوزي نسبة إلى جدهم، وقد عُرف بذلك؛ قيل: لجوزة كانت في دارهم بواسط لم يكن بها جوزة سواها، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٧٢-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧٦.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٦٦-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧٦- وذيل الطبقات الحنابلة لابن رجب: ١/ ٤٠٠-وفنون الأفنان لابن الجوزي -مقدمة المحقق: ٢٦.

فقد سُئِلَ يرحمه اللّه عن ذلك فقال: لا أتحقق مولدي.[١] ثم قال في موضع آخر: يكون تقريباً في سنة عشر[٢]. أي وخمس مئة.

والإمام ابن الجوزي منسوب لخليفة رسول اللّه ﷺ أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ﷺ فهو ينحدر من أرومة شريفة، ونسب عظيم، ظهر أثره في حياته الخاصة والعامة.

نشأ الإمام يتيماً، حيث توفي والده وهو لم يتجاوز ربيعه الثالث، وانصرفت عنه الأم في وقت هو أحوج ما يكون فيه إليهما، فتلقته العناية الإلهية، وحاشا للّه الرحيم أن يترك أحبابه، لقد سخر اللّه للصغير عمة فاضلة، نهضت وانتصبت لتحتضن اليتيم، ولتقوم على رعايته والاهتمام به، وألقى اللّه في روعها أن تهبه للعلم الشرعي، فحملته لتلقيه في حضن مربٍّ فاضل، وعالم نحرير، هو الإمام أبو الفضل بن ناصر، فتوسم فيه خيراً، وأجلسه موضع التعليم، وأولاه العناية والرعاية، بجد واهتمام، وجعله اللّه سبباً لإرشاده، فحمله مراراً إلى المشايخ، وأسمعه مسند الإمام أحمد وهو في سنٍّ لا يدري ما العلم من الصِّغَر، فكان بديلاً عن أبيه، كما كانت العمة خير بديلة عن أمه، حتى غدا بفضل اللّه أولاً، ثم برعاية العمة والأستاذ ثانياً، ثم بما غرس اللّه في نفسه من حب العلم ثالثاً، كأفضل من كان في

---

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ١٤٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٦٨.

زمانه، أدباً وسلوكاً وتحملاً وخلقاً وعلماً.

ذاق ابن الجوزي الصعاب في تلقي العلم، ومنع نفسه متع الدنيا، وألجمها من البحث عن ملذاتها، حيث وجد المتعة الحقيقية في الدرس وطلب العلم (ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو).[١] ورأى أن ذلك كان سبباً لفلاحه في العلم وتحصيله (كنت زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج إلى طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث سِيَر رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه...)[٢] ولم تدفعه حاجته إلى أن يمد يده للناس أو ينظر إلى الذي في أيديهم، فعاش عفيفاً، وطلب العلم لله ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢]

انكب ابن الجوزي على العلم، وانتقل من شيخ لآخر، ومن كتاب إلى آخر حتى طالع أكثر من عشرين ألف مجلد، وهو لا يزال في طلب العلم[٣]. وهكذا حتى انتهت إليه معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه

---

(١) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي: ٢١٣.

(٢) المصدر السابق: ٢١٣.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٣٧٥.

من سقيمه، فكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً[١]، يسير على منهج السلف ويلتزمه سلوكاً وعملاً وعبادة، ويرشد إليه أعز الناس، كتب لولده تصنيفه القيم «لفتة الكبد» حثه فيه مراراً وتكراراً على التزام هذا المنهج، والاقتداء بسيرة السلف، والالتزام بسلوكهم.

كما (كان بحراً في التفسير، علاّمة في السير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار وإكباب على الجمع والتصنيف مع التصون والتجمل، وحسن الشارة ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة، عند الخاص والعام، ما عرفت أحداً صنَّف ما صنف).[٢]

**شيوخه وتلامذته:**

تضمن (مشيخة ابن الجوزي) أسماء شيوخه وترجمة وافية لهم، كما ذكر يرحمه الله في (صيد الخاطر) جملة من أخبارهم وقال: لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٧٣.

(٢) قاله الإمام الذهبي: انظر سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٦٧.

العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه[١] .

ومن شيوخه الذين تتلمذ عليهم، وأخذ عنهم:

أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي ت(٥٥٠هـ)[٢]، وأبو الحسن علي بن عبيد اللّه الزاغوني ت (٥٢٧هـ)[٣]، وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ت(٥٤٠هـ)[٤] .

أما تلامذته فهم كثر، منهم الأئمة والعلماء، وقد أورد الذهبي نصاً فيه ذكر بعضهم، منهم: الشيخ موفق الدين ابن قدامة[٥]، وابن النجار[٦]وخلق سواهما.[٧]

---

(١) انظر: صيد الخاطر: ١٤٠.

(٢) انظر: لفتة الكبد لابن الجوزي: ٣٠-والمنتظم له: ١٠/ ١٦٢-وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ١/ ٤٠١.

(٣) انظر: المنتظم لابن الجوزي: ١٠/ ٣٢-وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ١/ ١٨٠ - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧٦.

(٤) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي: ١٤٠- وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ١/ ٢٠٤.

(٥)هو موفق الدين عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، فقيه زاهد عابد مجاهد، قيل: كان أعلم أهل الشام في زمانه، له مصنفات مشهورة منها المغني في الفقه، توفي (٦٢٠ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٢/ ١٦٥ - وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٤/ ١٣٣.

(٦) هو محمد بن محمود بن الحسن ابن النجار ، مؤرخ حافظ للحديث، رحل في طلب العلم واستمر في رحلته (٢٧) سنة، اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ، له ذيل تاريخ بغداد، توفي (٦٤٣هـ) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/ ١٤٢٨ -وشذرات الذهب=

**مؤلفاته:**

قال الحافظ ابن كثير عن الإمام ابن الجوزي أنه جمع المصنفات الكبار والصغار، ونحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلدة.[١]

وقال سبطه أبو المظفر: سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعيَّ هاتين كتبتُ ألفي مجلدة..... إلى أن قال: ومجموع تصانيفه مئتان ونيِّف وخمسون كتاباً[٢].

وقد نالت مصنفات الإمام شهرة واسعة، وتلقتها الأمة في جملتها بقبول حسن، ولا زالت تعول على كثير منها، وهي متنوعة شملت كل الفنون، فله في التفسير والحديث والفقه والوعظ واللغة والتاريخ والسير وغير ذلك، ومنها أنه صنف في التفسير أربعة تصانيف، (المغني) وهو كتاب واسع مبسوط، و(زاد المسير) وهو كتاب وسيط، (وتيسير البيان) كتاب وجيز، و(تذكرة الأريب في تفسير الغريب) مقتصر على تفسير الغريب.

وله في علوم القرآن (فنون الأفنان) وغيره.

وفي الحديث صنف الكثير، منها (جامع المسانيد بألخص الأسانيد)

---

=لابن عماد: ٥/ ٢٢٦.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٦٧.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ١٣/ ٣١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٧٠.

و(الضعفاء والمتروكين) و(الموضوعات) وغيرها.

وكتب في اللغة والتراجم والسير والتاريخ والمواعظ ومن ذلك: كتاب (صفوة الصفوة) (وصيد الخاطر) و(مناقب بغداد) وغيرها.

هذا وقد ألف الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتاباً في مصنفات ابن الجوزي أسماه (مؤلفات ابن الجوزي) طبع في بغداد ١٩٦٥م شمل جميع ما كتبه الإمام، كما اهتم فضيلة الدكتور حسن ضياء الدين عتر، بذكرمؤلفات الإمام، المطبوع منها والمخطوط وأماكن وجودها في تحقيقه لفنون الأفنان للمصنف، فجزاهما اللّه خير الجزاء.

**وفاته:**

كان آخر ما خطه يراع الإمام ابن الجوزي من النظم أبيات عظيمة غلب عليها جانب الرجاء، وهي تدل على حسن ظنه باللّه:

يا كثيرَ العفو عمن    كَثُرَ الذنبُ لديه
جاءك المذنبُ يرجو الـ    ـصفحَ عن جُرمٍ يديه
أنا ضيف وجزاءُ الـ    ـضيفِ إحسان إليه

بقي الإمام مريضاً بعدها خمسة أيام إلى أن توفي ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء عام سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة[1]، رحمه اللّه رحمة

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ٣٧٩- وطبقات المفسرين للداودي: =

واسعة، وأدخله مُدخلاً كريماً.

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

يعتبر زاد المسير في نظر كثير من أهل العلم من أجلّ التفاسير التي وصلت إلينا من حيث سلامة عقيدة المصنف، ومن حيث المنهج والترتيب الذي سار عليهما المصنف في تفسيره، فقد حاول يرحمه اللّه تجنب ما وقع فيه أسلافه من عيوب في التصنيف، فتلافى ذلك بحسن العرض للأقوال والمعاني، وهو منهج سار عليه من قبله الماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ) رحمه اللّه.

لقد حرص المصنف على أن يجعل تفسيره هذا مختصراً وافياً، حاوياً لما أثر عن رسول اللّه ﷺ، جامعاً لأقاويل علماء الصحابة ونبهاء التابعين، مشتملاً لما نقل عن السلف في بيان المعاني، ضم إلى ذلك القراءات القرآنية المشهور منها والشاذ، فجاء تفسيراً في غاية الإحكام والإتقان، وفي ذلك يقول المصنف: لا يعتقدن من رأى اختصارنا أنّا أقللنا، فإنا قد أشرنا بما

---

=١/ ٢٨٠-وينظر للمزيد في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير: ١٣/ ٢٨-وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ١/ ٣٩٩-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٦٥-وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٤/ ٣٢٩-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٧٥- وطبقات المفسرين للسيوطي: ٥٠-وصيد الخاطر لابن الجوزي: ١٤٠-٢١٣-وفنون الأفنان لابن الجوزي، مقدمة المحقق.-ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ١٤٠.

ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا، فإنا ضمنا الاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا.[(١)]

وقد تأثر ابن الجوزي في منهجه كما ذكرت بالماوردي، حتى أنه قد يصعب على القارئ التمييز بين منهجيهما، وطريقتهما في عرض الأقوال، وسرد المعاني.

أما من حيث المعاني فقد اعتمد ابن الجوزي كثيراً على شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، وعلى ابن قتيبة في كتابيه (مشكل القرآن) و(غريب القرآن) كما اعتمد على غيرهما كالزجاج والفراء وأبي عبيدة وغيرهم، وهو يذكر أنه انتقى تفسيره من أنقى التفاسير، فأخذ منه الأصح والأحسن والأصون، ونظم ذلك في عبارة مختصرة[(٢)].

وقد كان المفترض من ابن الجوزي، وهو المفسر المحدث، تلافي ما وقع فيه السابقون من إيراد بعض الأحاديث الضعيفة والمنكرة، أو الاستشهاد بالإسرائيليات التي أغنانا الله عنها بما هو أصح، غير أن المصنف وقع في ذلك، وفي مواضع عديدة، وكان ذلك من أشد ما يؤخذ على المصنف، كما يؤخذ عليه عدم الترجيح بين الأقوال في الغالب، فهو حين يذكر المفردة القرآنية، أو الآية فإنه قد يذكر لها خمسة أقوال في بعض الأحايين، دون أن

---

(١) انظر: زاد المسير: ٩/ ٣٨٠.

(٢) انظر: زاد المسير: ١/ ٧.

يبين الراجح منها، أو الذي يميل إليه على أقل تقدير، وبذلك يترك القارئ حائراً لا يعرف الراجح من المرجوح.

وقد جاءت مقدمة (زاد المسير) على وفق ما ذكر المصنف من الاختصار والإيجاز، فسودت أربع صفحات ونصف من القطع المتوسط، تعرض المصنف فيها لعدة فنون من فنون علوم القرآن دون أن يتعمق في البحث، وما ذكره هو حصيلة أقوال أهل العلم السابقين عليه.

وقد طبعت المقدمة مع التفسير طبعة واحدة فيما أعلم، ثم تم تصويرها عدة مرات بأحجام مختلفة، واعتبر الناشر كل تصوير بمثابة طبعة مستقلة، وهي طبعة المكتب الإسلامي ببيروت: ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، بعناية الأستاذ زهير الشاويش، وكانت الطبعة الرابعة مصغرة وهي التي اعتمدتها، وكانت في عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

افتتح المصنف كتابه بحمد الله، والثناء عليه، وإسداء الشكر له تعالى الذي شرف الأمة بخير نبي أرسله، جعله سراجاً منيراً، ولم يجعل له من أرباب جنسه نظيراً، وأنزل عليه الكلام الذي كان التحدي به.

ثم بين يرحمه الله أن شرف العلم من شرف المعلوم ولذلك كان علم القرآن من أشرف العلوم، وهو الأمر الذي دعاه إلى النظر في كتب التفسير التي تناولت بيان معاني كلماته فوجدها بين كبير يئس الحافظ منه، وصغير

لا يستفاد كل المقصود منه، فكان هذا المختصر اليسير الذي وسمه به (زاد المسير في علم التفسير) ورجا اللّه أن يكون قد أدى المطلوب.

ثم ذكر فصلاً في فضيلة علم التفسير، فأورد فيه ما روي من أنّ صحابة رسول اللّه ﷺ لم يكونوا يتجاوزون عشر آيات من كتاب اللّه، حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، كما بيَّن حرص الصحابة على معرفة كل ما يتصل بالقرآن من الأمور والأحوال التي تعين على فهم معانيه.

انتقل بعدها للموضوع الآخر وهو معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما، فأورد اختلاف أهل العلم في ذلك بعبارة مختصرة، ذاكراً قول الجمهور.

ثم ذكر المدة التي نزل فيها القرآن على قلب النبي ﷺ مبيناً تعدد الأقوال في ذلك.

تعرض بعدها لذكر أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل، والخلاف في ذلك مع ذكر الروايات المبينة لها، مرجحاً بينها، وجاء الختام ببيان غايته من التصنيف في التفسير، واهتمامه بمسائل علوم القرآن، فذكر أن جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود بمفرده، وأن المتابع يحتاج إلى التنقل بينها حتى يحصل مراده، وأنه بسبب ذلك أدرج في كتابه هذا جُلَّ تلك الفنون بحيث يستغني الناظر فيه عن غيره.

كما بين الخطوط الرئيسة لمنهجه، وأومأ إلى نوعية مصادره وقيمتها.

**رابعاً: منهج ابن الجوزي في مقدمته:**

أما منهج ابن الجوزي فإنه يذكر الروايات التي تتحدث عن الموضوع المطروح للبحث، مع التصريح بذكر الراوي أو القائل، وإن كان في المسألة خلاف أشار إلى ذلك وقد يرجح حينئذ بينها، وقد يكتفي بذكر الروايات دون الترجيح.[١]

**خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

نعت المصنف تفسيره بأنه تفسير وسط بالغ في اختصار ألفاظه، مرتب ترتيباً يسهل فهمه، أوضح الألفاظ المشكلة، وشرح الغريب منها. وهي كلها نعوت التزمها المصنف، فالتفسير كما ذكر من أجود التفاسير ترتيباً وتنسيقاً، وهو مختصر بعبارة موجزة، لا يتوانى المفسر من شرح غريب الألفاظ، وتوضيح المشكل، والأمثلة على ذلك كثيرة[٢].

هذا وذكر المصنف أنه أتى بما لم يأت به بعض المفسرين من إغفال لبعض المسائل والعلوم كالناسخ والمنسوخ، أو أسباب النزول، أو بيان المكي من المدني أو غير ذلك مما بيانه من مهام المفسر، ولا يستغني عنه

---

(١) انظر: زاد المسير: ١/ ٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ١/ ١١٣-١٨٣-٣٣٧-٤٣٥.

التفسير.

وقد التزم المصنف هذه الشروط أيضاً في تفسيره، فهو يبين الناسخ والمنسوخ، ويذكر الأقوال في ذلك[١]، ويتحدث عن أسباب النزول[٢]، ويبين مكية السورة أو مدنيتها فيبين إن كانت السورة بتمامها مدنية، أو بتمامها مكية، أو أن بعضاً منها مكي والآخر مدني، أو العكس[٣].

ومن شروط ابن الجوزي أنه لا يعيد تفسير الكلمات التي سبق أن فسرها إلا على وجه الإشارة، وأنه لا يترك الأقوال المعتبرة بل يذكرها، وقد يترك فرش الآيات لأحد الأمرين، إما أن يكون قد سبق، أو يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير.

وهذه الضوابط التزمها المصنف في الغالب أيضاً، كما فعل في أول سورة آل عمران حيث أغفل تفسير الآية الأولى منها مكتفياً بما قال في البقرة من تفسير الأحرف المقطعات التي في أوائل السور، وكذا تفسير ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ من الآية نفسها مكتفياً بما ذكره في تفسير آية الكرسي.[٤]

**سادساً: مصادره في المقدمة:**

---

(١) انظر: زاد المسير: ١/ ٢٧٥-٣٠٥-٣٦٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ١/ ١٣٣-٢١٨-٢٢٣.

(٣) انظر: زاد المسير: ١/ ١٩-٣٤٩-٢/ ٢٦٧.

(٤) انظر: زاد المسير: ١/ ٢٠و٣٤٩.

غالب النصوص والآثار التي استشهد بها المصنف جاءت معزوة لأصحابها، وهم في جملتهم من الصحابة والتابعين، كابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد اللّه وعكرمة والشعبي وغيرهم رضي اللّه عنهم أجمعين

أما مصادر المصنف من الكتب، فالمصدران الوحيدان اللذان وردا في مقدمة ابن الجوزي، هما صحيحا البخاري ومسلم، ذكر البخاري في موضعين، ومسلماً في موضعين قرن بينهما في أحد الموضعين، وأحال إليهما الروايات الواردة في أول ما نزل، وآخر ما نزل(١).

**سابعاً: أهم المميزات وأظهر المآخذ:**

مقدمة (زاد المسير في علم التفسير) من المقدمات المختصرة التي لم تخصص لما هدف إليه أصحاب المطولات من إثبات ما يلزم أن يكون في ذهن طالب العلم الناظر في التفسير حتى يفهمه على النحو الصحيح، فالمصنف قد أفرد لعلوم القرآن وأصول التفسير كتاباً مستقلاً، وما ذكره في هذه المقدمة تذكير بفضيلة التفسير ونزول القرآن، ولهذا الأمر لا يحسن الحكم على هذه المقدمة بالميزان الذي حُكم به على غيرها. واللّه أعلم

هذا ما عرفته عن تفسير ابن الجوزي، وأستغفر اللّه من التقصير أو

---

(١) انظر: زاد المسير: ١/ ٥-٦.

الخطأ في القول.

# ٩- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

## لأبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْحْ الخزرجي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا السفر العظيم هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح بسكون الراء والحاء المهملة الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد اللّه القرطبي.

ولد في قرطبة من بلاد الأندلس، ونشأ وترعرع في كنف أبيه ورعايته، ولم تشر المصادر التي وقفت عليها إلى سنة ولادته، غير أن أستاذي الدكتور علي بن سليمان العبيد حفظه ا لله وبارك فيه استدل من خلال نصوص وردت في ثنايا التفسير أن ولادته ربما كانت في بداية القرن السابع الهجري(١).

والذي يظهر من سيرة القرطبي رحمه اللّه أنه تلقى العلم في مقتبل العمر، فزاحم الركب، وأخذ عن جلة من العلماء، وصفوة من الأخيار

(١) انظر: تفاسير آيات الأحكام للدكتور علي بن سليمان العبيد: ١/ ٣١٣ رسالة دكتوراه كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المشاهير من أهل العلم والصلاح في وقته، من أهل قرطبة وما جاورها من منابر الإشعاع، ولازمهم حتى حصَّل ما عجز غيره عن تحصيله في القرآن والقراءات والحديث والنحو والفقه والبلاغة، وغيرها من علوم العربية، حتى كان عام ٦٢٧هـ حين قتل والده، وسقطت قرطبة في أيدي القشتاليين سنة ٦٣٣هـ قرر الرحيل، وترك مرابع الصبا، ليتوجه إلى الإسكندرية وليتم ما بدأه في دياره، فجلس إلى علمائها يتلقى العلم طالباً.

وقد عرف عن القرطبي الصلاح والتقى، والإكثار من العبادة والنوافل حتى ذكر المترجمون له بأن أوقاته كانت معمورة ما بين توجُّه وعبادة وتصنيف، وذكروا من مآثره البعد عن التكلف وما يشغل أهل الدنيا وطلابها، ومن نعوته أنه كان شيخاً صالحاً وقّافاً عند حدود اللّه، يحرص على السنة ويحارب البدعة والمبتدعين.[1]

**شيوخه وتلاميذه:**

يقول ابن خلدون: إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما ينتحلون به من المذاهب والأخلاق، تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول المَلَكات عن المباشرة والتلقين أشد

---

(١) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: ٢/ ٤١٢-والديباج المذهب لابن فرحون: ٣١٧- وشجرة النور الزكية: ٢/ ١٩٧، وتفاسير آيات الأحكام ومناهجها للدكتور علي سليمان العبيد: ١/ ٣١٣.

استحكاماً، وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها[١].

وقد تلقى القرطبي يرحمه اللّه ثقافته وعلمه من شيوخ أجلاء تأثر بهم، وتكونت شخصيته على أيديهم، وتحت أنظارهم، ومن هؤلاء: الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي[٢]، والشيخ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري[٣]، وغيرهم من شيوخ قرطبة ومصر والإسكندرية وغيرها.

والأمر الذي يدعو إلى الاستغراب في سيرة القرطبي رحمه اللّه أن لا يذكر له تلميذ واحد، سوى ما روى أن ابنه شهاب الدين أحمد قد روى عنه وبالإجازة.

وهو أمر يدعو إلى التعجب حقاً، وربما علل بعض الباحثين ذلك لانشغاله بأمر نفسه، وانصرافه إلى تلقي العلم ومجالسة العلماء، وتأليف

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٤/ ١٢٤٥، تحقيق علي عبد الواحد.

(٢) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، محدث مالكي، من كبار الأئمة في الحديث، اختصر الصحيحين، وألف المفهم في شرح صحيح مسلم، توفي (٦٥٦هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٧٠-وشذرات الذهب لابن عماد: ٥/ ٢٧٣.

(٣) هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد اللّه المنذري، حافظ حجة، برع في العربية والفقه والحديث حتى قيل: كان عديم النظير في معرفة علم الحديث، له مختصر مسلم وغيره، توفي (٦٥٦هـ)، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٦/ ١٤٣-وشذرات الذهب: ٥/ ٢٧٧.

الكتب، وإلى العبادة، إضافة إلى عدم مشاركته في أعمال القضاء والتدريس[(١)].

وهو تعليل لا يشفي الغليل، إذ كيف يترك عالم جليل دل كتابه الجامع لأحكام القرآن فضلاً عن موسوعاته الأخرى على علوٍّ كعبه في المنقول والمعقول، وسمو مكانته وتبحره في العلم، فمثله يهرع إليه طلبة العلم، ويجلسون على بابه لتلقي كلمة أو سماع أثر، بل كان الأمر يصل ببعضهم أن يعمل ما يزج به في السجن ليلتقي عالماً قد حكم عليه بالسجن فيأخذ عنه فيتحمل العذاب المضني لتلقي العلم، فكيف أغفله طلاب العلم ولم يتلقوا عنه؟!

وبالنظر إلى الفترة التي عاشها القرطبي في مصر، وما عُرف عنه يرحمه اللّه من مناهضة الرافضة والرد عليهم، وإشهار سيف الحق في وجوههم، وبيان زيفهم وانحرافهم وضلالهم[(٢)]، وكأنني وأنا أقرأ في سيرة القرطبي وشيئاً من مقدمته التي أفاض فيها التصدي للقوم ومواقفهم المخزية من القرآن الكريم، وكأنني أرى أنه منع نتيجة ذلك من التدريس ومنع عنه الطلبة فتفرغ للتأليف منعزلاً حتى أخرج لنا هذا التراث العظيم ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، فالتعليل الأقرب إذاً لعدم وجود

---

(١) انظر: تفاسير آيات الأحكام للدكتور علي بن سليمان العبيد: ١/ ٣١٣.

(٢) ينظر مقدمة التفسير للوقوف على بعض ردوده عليهم.

تلاميذ للقرطبي عائد والله أعلم إلى التسلط السياسي الذي مارسته الفئة الباغية على أهل العلم، وهو ما يسمى في عصرنا الحالي بـ(الإقامة الجبرية) فلا التدريس والتعليم مسموح به، ولا الهجرة والسياحة في الأرض مسموحة. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

**تصانيفه ومؤلفاته:**

روى غير واحد عن الإمام الذهبي قوله في القرطبي: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله.[١]. وصدق الذهبي فيما قال فإن المطَّلع على النتاج العلمي الذي خلّفه القرطبي ليشهد بقوة على هذه الحقيقة، فهي كالشمس في رابعة النهار.

**ومن مؤلفاته:**

١) الأسنى في شرح أسماء اللّه الحسنى.

٢) التذكار في أفضل الأذكار.

٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

٤) قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة.

---

(١) قاله الذهبي في تاريخ الإسلام، وانظره في نفح الطيب للمقري: ٢/ ٤١٤-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٦٩.

٥) شرح التقصي.

٦) الإعلام بما في دين النصارى وإظهار محاسن دين الإسلام.

إضافة إلى تفسيره الذي هو موضوع دراستنا هنا، وغير ذلك من التصانيف[(١)].

**وفاته:**

ولكل شروق غروب، ففي ليلة الاثنين، التاسع من شوال سنة ٦٧١هـ أفل نجم القرطبي ليلقى وجه ربه في النعيم المقيم إن شاء اللّه الغفور الرحيم، وكانت وفاته في منية ابن خصيب، مستقره من الصعيد الأدنى من ديار مصر، وهي المسمى حالياً ببلدة، المنيا [(٢)]رحمه اللّه رحمة واسعة.

---

(١) انظر: الديباج المذهب لابن فرحون: ٣١٧-وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٦٩-ونفح الطيب للمقري: ٢/ ٤١٣-وهدية العارفين: ٦/ ١٢٩.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٦٩- وشذرات الذهب: ٥/ ٣٣٥.

وينظر للمزيد في ترجمته: تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، للدكتور/ علي بن سليمان العبيد: ١/ ٣١٣، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية. والتفسير والمفسرون، لمحمد بن حسين الذهبي: ٢/ ٤٥٧- والديباج المذهب، لابن فرحون: ٣١٧- والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة-السفر الخامس-القسم الثاني: ٥٨٥- وشجرة النور الزكية، محمد مخلوف: ١٩٧-وشذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي: ٥/ ٣٣٥- وطبقات المفسرين، للداودي: ٢/ ٦٩-وطبقات المفسرين، للسيوطي: ٢٨-ومن الجامع لأحكام القرآن، د/ محمد أديب الصالح: ٨- ونفح الطيب

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

حين سئل شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه اللّه عن خير تفسير بين تفاسير ثلاثة ذُكرت له، تفسير الزمخشري والقرطبي والبغوي، كان جوابه يرحمه اللّه- أن: تفسير القرطبي خير من تفسير الزمخشري، وأنه أقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة،وأنه أبعد عن البدع.(١)

ولهذه المزية ولغيرها انتقاه العلماء وطلبة العلم، فطالما ارتووا من مورده العذب الزلال، وهو تفسير عظيم الشأن سار بذكره الركبان، وهو كما قال الذهبي: تفسير لا نظير له، فضله الأشياخ المتأخرون على أكثر ما بالأيدي من التفاسير.(٢)

والذي أراه أنه لو ادعى من اقتنى هذا التفسير الجليل من طلبة العلم أنه قد يستغني به عن غيره من التفاسير لما حقّ لأحد أن يستنكر عليه قوله، فهو تفسير جامع شامل لجميع اتجاهات التفسير، من المأثور والرأي، لا يستغني عنه مغرم باللغة والنكات البلاغية، ولا فقيه باحث عن الأحكام القرآنية، ولا مهتم بالعقائد، فالكل يجد فيه بغيته ومبتغاه، ناهيك عن شيوخ

---

من غصن أندلس الرطيب، للمقري: ١/ ٤١٣-والوافي بالوفيات، للكتبي: ٢/ ١٢٢.

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣١/ ٣٨٧.

(٢) انظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة-السفر الخامس-القسم الثاني: ٥٨٥- ونفح الطيب للمقري: ٢/ ٤١٤ نقلاً عن الذهبي في تاريخ الإسلام.

القراءات الذين يعدون هذا السفر الجليل مرجعاً هاماً في فنهم، خاصةً في توجيه القراءات القرآنية.

ولهذه المزايا ولغيرها عدَّ المترجمون للقرطبي تفسيره هذا من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، فقد أسقط يرحمه اللّه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن مع استنباط الأدلة، كما ذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ،[1] كل ذلك دون أن يخرج عن الهدف الذي رسمه وهو تفسير كتاب اللّه، وتوضيح ألفاظه، وبيان معانيه.

وقد تأثر القرطبي بسلفه ابن عطية تأثراً واضحاً، خصوصاً في تمحيص الآثار الواردة عن أهل الكتاب، وتلك التي هي محل نظر مما ابتليت به التفاسير عامة، ولهذا ذكر ابن خلدون أن القرطبي قد تأثر بابن عطية في منهجه وطريقته في هذا المنحنى[2].

هذا وقد استطاع المصنف بعبارته السهلة، وتقسيمه الدقيق للموضوعات، ومنهجه المتميز في هذا الشأن، أن يقدم للقارئ نصاً يرتاح معه، فلا يكلّ من دراسته، ولا يملّ النظر فيه، وهي الأخرى ميزة عظيمة لهذا التفسير الجليل.

أما ما يخص التعريف بالمقدمة فلا أظنني جانبت الصواب حين ادعيت

---

(١) انظر: الديباج المذهب: ٣١٧.

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون: ٣١٤ط دار المصحف القاهرة.

في مقدمة هذه الرسالة أن كثيراً من المفسرين ضمنوا مقدمات تفاسيرهم خلاصة أفكارهم، وزبدة آرائهم حول علوم القرآن، وأنهم بنوا هياكل تفاسيرهم على هذه الآراء.. ولا حين ادعيت أن من الأهمية دراسة هذه المقدمات دراسة تحليلية جادة، والغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياها.. لأنني كنت أعي وأعني ما أقول، فقد كنت على علم بكثير من هذه المقدمات، وعلى دراية بإحداها على الأقل، دراية تامة، طالما أشار إليها أساتذتنا الأفاضل، ونبه على أهميتها شيوخنا الأجلاء، أقصد بذلك مقدمة الجامع لأحكام القرآن، تلك المقدمة التي ما فتأت أرجع إليها بين الحين والحين في البحث الذي أعددته في المرحلة العلمية السابقة لهذه المرحلة.

لقد حوت مقدمة تفسير الإمام القرطبي خلاصة فكره حول كثير من علوم القرآن، عرضها بأسلوب يجمع بين الغزارة العلمية، والطراوة الأدبية، تبنى المصنف كثيراً مما نقله ممن سبقوه، وما لم يرتضه عقَّب عليه وناقش صاحبه وقدَّم أدلته ليفند حجج مخالفه، جمع فيه بين مأثور النصوص وقوة الاستنباط والتحليل.

إن هذه المقدمة تعد بحق من أوفى المقدمات التي وقفت عليها في علوم القرآن، من نشأة التفسير وحتى نهاية القرن الثامن الهجري وهي الفترة التي يتناولها هذا البحث جاءت في ست وثمانين صفحة من القطع المتوسطة، مسطرتها ٢٤/ ١٧، عدد الأسطر من ١٩ إلى ٢٢ سطراً.

وقد جاءت هذه المقدمة قليلة الأخطاء بالنظر إلى الطبعات الأخرى

التي وقفت عليها.

أما عدد طبعات المقدمة فهي بعدد طبعات التفسير نفسه، فلم تطبع منفردة، ربما لأنه تيسر لهذا التفسير أن يطبع قبل مثيلاته، فلم تكن هناك حاجة لعزله عن أصله، أو ربما لأن عزله عن أصله يخلُّ ببعض ما فيه، فقد أراد المصنف أن يربط المقدمة بالتفسير ربطاً محكماً ليكتمل العقد، ولتتحقق الغاية التي لأجلها قدم هذه المقدمة. يدل على هذا أن المؤلف كثيراً ما يحيل قارئ المقدمة إلى صلب التفسير بقوله: وسيأتي مزيد بيان في سورة كذا[1]

بل قد يترك البيان كله فيقول: وبيان ذلك في سورة كذا..[2] وكأنه يريد أن يقول: لا تغفل عن التفسير إنَّ فيه خيراً كثيراً، فهو بهذا العمل يريد أن تكون المقدمة والتفسير صنوان.

وهذا وقد طبع الكتاب عدة طبعات منها:

١) طبعة دار الكتب المصرية.

٢) طبعة دار الكتاب العربي- القاهرة ١٣٨٧هـ الطبعة الثالثة مصورة عن طبعة دار الكتب. قام بتصحيحه والتعليق عليه: أبو إسحاق إبراهيم أطيفش، وأحمد عبد العليم البردوني، ومصطفى السقا.

---

(١) انظر: مثال ذلك: ١/ ٢٠-٥٨-٨٦.

(٢) انظر: ١/ ٣٩-٤٩-٥٣-٥٩-٨٣.

٣) طبعة دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثانية.

٤) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

قدم الإمام القرطبي بين يدي تفسيره مقدمة مطولة حوت تسع عشرة مقدمة جزئية باعتبار أن كل باب ذكره يعد بمثابة مقدمة مستقلة، هذا على سبيل الإجمال والإدماج، وإلا فإن الموضوعات التي طرحها للبحث والنقاش تربو على هذا العدد بقدر الضعف.

قدم المصنف تلك المقدمات بكلمة بليغة موجزة، غير أنها كافية ضافية، تحدث فيها عن بلاغة الكتاب المبين، وعلو قدر حفظته والعاملين به، ثم بين الباعث إلى التأليف والكتابة، والأمور التي اعتزم أن يضمنها تفسيره، وختم الكلمة ببيان شرطه في كتابه، ليبدأ بالتفصيل في الأبواب التي رأى أنه يحسن لطالب التفسير والمشتغل به الإحاطة بها، وهي:

**باب: ذكر جمل من فضائل القرآن، والترغيب فيه، وفضل طالبه، وقارئه ومستمعه والعامل به:**

بدأ المصنف هذا الباب بالحديث عن أهمية الموضوعات المطروقة، وعن فضل كلام اللّه تعالى، وأشار في ثنايا حديثه إلى أن علماء كثر كتبوا فيه تآليف مستقلة، كما أومأ إلى مسألة خلق القرآن غير أنه لم يفصِّل، واكتفى ببيان مذهب أهل السنة والجماعة بإيجاز، وحسنٌ فعَل. فالخوض في مثل

هذه المسائل يكون في موضعه من التآليف المختصة، ولا حاجة من طرقه في مثل المقدمات.

وذكر المصنف فضل اللّه سبحانه وتعالى وتكرمه حيث منَّ على الأمة الإسلامية بتيسير القرآن للذكر، فجعل الناس قادرين على حمله وحفظه حين عجزت السماوات والأرض عن حمله، ولولا هذا الفضل لما استطاع الإنسان حمله، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١].

ثم ذكر في ختام هذا الباب جملة من الآثار الواردة في فضائل القرآن، ليختم الباب بقوله: والآثار في معنى هذا الباب كثيرة وفيما ذكرنا كفاية، واللّه الموفق للهداية.

## باب: كيفية التلاوة لكتاب اللّه تعالى، وما يكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك:

تعرض القرطبي لهذا الموضوع في ثماني صفحات، وذكر فيه نيفاً وعشرين حديثاً وأثراً، بدأه بالصحيح الذي رواه البخاري عن قتادة في وصف أنس ﷺ لقراءة النبي ﷺ بأنه كان يمد مداً.

وقد حلَّق المصنف في هذا الباب وسما في الذي ذكره، وأنهاه بعد أن أسبغ عليه الحلل، فما ترك مسألة بحاجة إلى نقاش إلا وقد أشبعها درساً حتى أقنع القارئ حجة.

ثم تحدث عن كيفية قراءة النبي ﷺ فأورد من الأثر الصحيح ما لا يحتاج معه إلى مزيد بحث،وعن حسن صوت من قرأ وهو يخشى الله،وشين رفع الصوت والتطريب بالقراءة والنبر،خاصة من كان حادّ النبرات رفيع الصوت منكره.مدعماً ما ذكره بالأدلة،وذاكراً من كرهوا ذلك من الأئمة.

ثم عاد مرة أخرى إلى ما ذكره أولاً من كراهية رفع الصوت والتطريب فذكر الخلاف في المسألة بين مجيز ومانع،ذاكراً أدلة ذلك والقائلين بكل قول، دون أن يبخسهم حقهم في العرض والبيان،حيث عرض الأدلة بأمانة وصدق،حتى إن القارىء حين يقرأ له وهو يورد أدلة مخالفيه يذهب به الظن إلى أن المصنف يتبنى هذا الرأي،وبمثل هذه المواقف التي يقفها القرطبي بين الفينة والفينة،كان الحق في جانب أولئك الذين ينفون التعصب المذهبي عن القرطبي،ويذكرون أنه إنما يتبع الدليل بغض النظر عن قائله ومذهبه.

فهو حين ذكر أدلة المجيزين سماهم،وذكر منهم أرباب الفصاحة وفرسان البيان،ومن شهدت لهم الأمةبالإمامة كأبي حنيفة والشافعي وابن المبارك والطبري وابن بطال[1] والقاضي المالكي ابن العربي،وغيرهم.وكل واحد ممن ذكره يكفي بنفسه أن يرفع بسهم الطائفة عالياً،فكيف بهم

---

(١) هو علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ،محدث من أهل العلم والمعرفة،شرح صحيح البخاري،توفي (٤٤٩هـ).انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٤٧ - والديباج المذهب لابن فرحون: ٣٠٢.

مجتمعين!!

أقول هذا لأدلل على قوة القرطبي في اختياراته،فهو مع الدليل،ولهذا ظهر رسوخ قدمه،وعلو كعبه حين أعلن بعد أن ذكر أدلة المجيزين،وهم من هم،أعلن أنه يرى كراهية التطريب،وأنه الأصح من الأقوال مدللاً ومعللاً لما ذهب إليه،وأن تزيين الصوت يكون بقراءة القرآن،وليس تزيين القرآن بالصوت الحسن كما يراه المخالفون،ورد على المخالفين بأدلة قوية.

كما رأى أن التغني هو تحسين الصوت بالقرآن،ليس التطريب،أو أن يكون بمعنى الاستغناء ضد الافتقار،وهو التأويل الذي ارتضاه سفيان بن عيينة(١)،ووكيع بن الجراح(٢)،وهو المروي عن سعد بن أبي وقاص.أو يكون بمعنى الاستغناء به عن سواه من الأحاديث،وهو مذهب البخاري صاحب الصحيح...

وهكذا نقل ما تأوله العلماء في معنى التغني،فذكر منها التحزن به الذي هو إظهار الحزن ضد السرور،وذكر حسن الصوت بالترجيع،أو أنه بمعنى الجهر بالقرآن.

---

(١)هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي،ثقة ثبت حافظ فقيه،تغير حفظه بأخرة، توفي (١٩٨هـ).انظر: طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٣٠٨، وميزان الاعتدال للذهبي: ٢/ ١٧٠.

(٢) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الكوفي ،إمام حافظ،كان من بحور العلم وأئمة الحفظ،توفي (١٩٧هـ)انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ١٤٠- وشذرات الذهب لابن عماد: ١/ ٣٤٩.

ثم انتقل إلى الحديث عن الترجيع،وصفته،وعلل دعوى أن النبي ﷺ رجَّع في قراءته،بأنه محمول على إشباع المد في موضعه،أو أنه حكاية عن صوته عند هزّ الراحلة.وصرح أثناء حديثه بأن المبالغة في الترجيع والترديد حرام لكون من يفعل ذلك إنما يقصد به الزجر والجوائز،كالذي يقرأ أمام الملوك والجنائز،فضلّل سعيهم،وخيب عملهم،وأنكر عليهم بشدة استحلالهم تغيير كتاب اللّه،والاجتراء عليه سبحانه لأجل غرض زائل من الدنيا،يزينه الشيطان لهم،وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهم في غيِّهم يترددون،وبكتاب اللّه يتلاعبون،وصدق الصادق المصدوق،بأن ذلك سيكون: « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها،وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين، وسيجيء قوم يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح،لا يجاوز حناجرهم،مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ».(١)

وأنهى القرطبي الباب بتعريف اللحن والترجيع والترتيل ليختمه بالأثر الوارد في نعت قراءته ﷺ بأنها كانت مفسرة حرفاً حرفاً.ولأن حفظ كتاب اللّه،وحسن الصوت قد يلقي في النفس البشرية شيئاً من الإعجاب، وحظوظ النفس،وخشية أن ينقلب ذلك إلى الرياء والعياذ باللّه فيضيع

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب: ح(٦٤١)، ٣/ ١٠٨٧)والمروزي في قيام الليل،انظر المختصر: ١١٩،وأبو عبيدفي فضائله: ح٢٣٢ص٩٩،والهيثمي في المجمع: ٧/ ١٧٩ونسبه للطبراني وقال: وفيه بقية وراو لم يسم.

الأجر،خصص يرحمه اللّه الباب الثاني للتحذير من ذلك وغيره.

## باب: تحذير أهل القرآن من الرياء وغيره:

روي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: « لا تخادع اللّه،فإنه من يخادع اللّه يخدعه اللّه،ونفسه يخدع لو يشعر » .قالوا: يا رسول اللّه، وكيف يخادع اللّه؟ قال: « تعمل بما أمرك اللّه به، وتطلب به غيره، واتقوا الرياء فإنه الشرك،وإن المرائي يدعى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بأربعة أسماء ينسب إليها: يا كافر،يا خاسر، يا غادر،يا فاجر،ضلّ عملك، وبطل أجرك،فلا خلاق لك اليوم،فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع » .

هذا باب عظيم،وخطره جسيم،وقد أحسن القرطبي رحمه اللّه عملاً حين أفرده بباب مستقل،ولم يكتفِ بما يمكن التحدث به من أمر التحذير من الرياء في صلب التفسير،كما أشار إلى ذلك.

استهل القرطبي رحمه اللّه هذا الباب الذي جاء في ثلاث صفحات،لتقرير ما ضمنه بقوله تعالى ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾[النساء: ٣٦]،وقوله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠] ليشير بذلك إلى أن من تعلم العلم وعلّمه،وقرأ القرآن وأقرأه،ليقال عالم وقارىء للقرآن قد ارتكب إثماً عظيماً،ولهذا استحق مرتكبه أن يسحب في النار على وجهه حتى يُلقى في

النار.

وأورد - رحمه اللّه - من الأحاديث والآثار ما يؤكد هذا المعنى،ويحذر القراء من الغرور والرياء الذي قد ينفد إلى النفس فيعرّض صاحبه للخطر،ويحرمه من غُرْف الجنة،ويدخله جُب الحَزَن يوم القيامة.

وانتقل بعد هذا ليقدم العلاج الذي يقي القارىء من الوقوع في المهالك،فيذكره أولاً وآخراً بتقوى اللّه بأن يتقي اللّه في نفسه،ويخلص العمل للّه،ويوجه من أصابه شيء مما يكره إلى الإسراع في التوبة والإنابة إلى اللّه،وأن يبدأ بالإخلاص في الطلب والعمل.وليؤكد أن هذا الأمر خير له،أورد من الأثر ما يؤكد أن على قارىءالقرآن وحامله أن يتحفظ أكثر من غيره لأن له من الأجر أكثر من غيره.

وختم بوعد للقارىء بمزيد بيان مما يتعلق بالموضوع في صلب التفسير.

**باب: ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به، ولا يغفل عنه:**

أكد القرطبي في هذا الباب أن أهم ما ينبغي لصاحب القرآن الأخذ به،وعدم الإغفال عنه هو الإخلاص للّه.

بدأ الباب بالتنبيه إلى ذلك، وختمه بالتأكيد على إخلاص النية للّه أولاً وآخراً،وبين البداية والختام ذكر جملة من الصفات التي يجب على حامل القرآن أن يتحلى بها،كالقراءة في الليل والنهار،في الصلاة وخارجها،وكالشكر للّه،والخوف من ذنوب النفس،والرجاء في عفو اللّه

ومراقبته جلت قدرته في أوامره ومناهيه،والاتصاف بالحلم والأناة والوقار... وغير ذلك من صفات الكمال.

ثم شرع المصنف في ذكر المسائل العلمية التي ينبغي لقارىء القرآن معرفتها كالمكي والمدني، والإعراب،واللغة،وغير ذلك من العلوم المطلوبة.

يريد بذلك التأكيد على أن العلم لا ينتفع به إن لم يصحبه خلق وأدب وإخلاص للنية، كما أن تلك النعوت الحميدة لا تنفع صاحبها إذا كان مجرداً عن العلم خاوياً.فما أقبح لحامل القرآن الذي يتلو فرائضه وحدوده وأحكامه وهو لا يفهم معنى ما يتلوه،إذ كيف يعمل بما لا يفهم معناه!!

بعدها ختم المصنف هذا المبحث حيث أرشد طالب العلم الذي يريد بعلمه المباهاة والشرف في الدنيا إلى تغيير النية لينتفع بما تعلم، (كنا نطلب العلم للدنيا،فجرنّاً إلى الآخرة).

**باب: ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه**
**والحث عليه،وثواب من قرأ القرآن معرباً:**

عشرون أثراً عن النبي ﷺ وصحابته والتابعين أوردها القرطبي في هذا الباب،الذي جاء في ثلاث صفحات،حثت كلها على تعلم الإعراب والعربية،ودلت بمجموعها على ذم اللحن وكراهيته،مما يوجب على قراء كتاب اللّه وحفظته أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه.

وقد دعَّم القرطبي ما ذكره قبل أن يختم هذا المبحث بالأمثلة التي تؤكد

المعنى المراد،وكيف أن اللحن يغير المقصود،وبين كيف أن الصحابة فهموا مراد اللّه بما أوتوا من العلم بالعربية وبأشعارها،وأن الشعر ديوان العرب لا ينبغي إغفاله.

**باب: ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله:**

علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - وهو من هو في علوّ منزلته، وعظيم قدره،يذكر عنده جابر بن عبد اللّه - رضي اللّه عنه - فيصفه بالعلم مثنياً عليه، فيقوم رجل مستغرباً يقول: جُعلتُ فداءك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟! فيقول كرم اللّه وجهه معللاً: إنه كان يعلم تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص: ٨٥].

استدل القرطبي بهذا الأثر وسبعة آثار أخرى عن الصحابة والتابعين وهي مجموع ما أورده في هذا الباب على فضل التفسير، ومكانة المفسر،وعلو منزلته وقدره.

وقد جاء هذا الباب موجزاًبخلاف المباحث السابقة،حيث اقتصر المصنف على ما لم يذكره سابقاً.

**باب: ما جاء في حامل القرآن،**
**ومن هو، وفيمن عاداه:**

سبق أن حذر المصنف قارىء القرآن من الرياء والغرور في باب خاص، وعاد ليثبت في هذا الباب أن من امتثل ذلك من القراء،وابتعد عن

الرياء حقاً استحق الفوز في الدنيا بإكرام الناس لـه،والخـوف والخشـية مـن معاداته،وفي الآخرة بالنعيم المقيم،وقد جاء هذا البـاب في أقـل مـن نصـف صفحة.

## باب: ما يلزم قارىء القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته:

كان عمدة القرطبي في هذا الباب هو الحكيم الترمذي،فقد نقل عنه ما أورده في نوادره من آداب التلاوة،وقد استغرق هذا النقـل أربـع صفحـات احتوى على أكثر من أربعين أدباً من آداب التلاوة،وما يلزم حـامل القـرآن من تعظيمه وحرمته،وبعد أن أنهى نقل مـا ذكـره صـاحب نـوادر الأصـول أتبع ذلك باستدراك ما قد فاته من تلك الآداب كاستحباب جمع الأهل عند ختم القرآن،وكراهية اتخاذ التعاويذ وغير ذلك.

ولم يكن القرطبي رحمه اللّه مجرد ناقل في ذكره لتلك الآداب،بـل تجـده يتدخل في المنقول بالتعقيب حينـاً وبالمناقشـة حينـاً آخـر، فيخـالف الحكيـم الرأي مدللاً على ما ذهب إليه بما ثبت، وهو مسلك حسن يُذكر للمصنـف فيشكر.

**وقد شمل هذا الباب ثلاثة أمور:**

**الأول:** الآداب المطلوبة قبل البدء في التلاوة،كاستحباب الاستياك قبل البدء،واتخاذ الزينة، واستقبال القبلة وغير ذلك.

**الثاني**: ما يستحب أثناء التلاوة، وما يكره،فذكر للأول القراءة المرتلة واستعمال الذهن وغير ذلك،وذكر للثانية كراهية قطع القراءة بكلام الآدميين وغير ذلك.

**الثالث**: آداب عامة لتعظيم القرآن، كتحريم توسُّد المصحف،وتحريم كتابته على الأرض وغير ذلك.

## باب: ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي، والجرأة على ذلك، ومراتب المفسرين:

القارىء لهذا الباب يلاحظ للوهلة الأولى أن المصنف اتكأ على ابن عطية رحمه اللّه فيما أورده في مقدمة تفسيره حول هذا الموضوع،وكأن لسان حاله يقول: لم يترك هذا المفسر شيئاً أريد ذكره إلا سبقني إليه،ولا شك أن نقل القرطبي عن ابن عطية على هذا النحو، واعتماد كثير من آرائه يعد بحق شهادة للأول برسوخ القدم وعلو الكعب في تلك العلوم.

جاء هذا الباب في أكثر من خمس صفحات،أشار المصنف في بدايته إلى أن الرسول ﷺ لم يفسر من القرآن إلا آي بعدد، علمه إياهن جبريل،ووقف بذلك مع جمع غفير من المفسرين الذين رأوا أن الرسول ﷺ بين ما احتاج إليه الصحابة من المعاني،وما استشكل عليهم من الألفاظ وتعذر فهمها، وأن ما سوى ذلك تركه لاجتهادهم ولغتهم وفهمهم.

وما ذهب إليه المصنف فيه إشارة وإيحاء إلى جواز التفسير بالرأي،وهو

أمر يعارض ظاهر جملة من النصوص الواردة في التحذير من القول في القرآن بمجرد الرأي، لذلك ذكر القرطبي جملة من تلك الآثار مع تأويلات ثلة من العلماء من الصحابة وغيرهم لها،وانتهى إلى أن الراجح هو أن التحذير وارد بحق من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، أو قال قولاً يوافق فيه هواه.

بعد هذا ذكر رحمه الله شيئاً من شروط التفسير بالرأي، كأن يملك الأدوات اللازمة للتفسير،وأن يكون تفسيره عن علم ونظر فيما قاله العلماء، واقتضته قوانين العربية، لا أن يتسور على كتاب اللّه برأيه بغير بصيرة ولا تدبر،فيضل بنفسه ويضل غيره.

ولأنه قد يفهم بعضهم أن التفسير كله موقوف على السماع فهماً منهم لقوله تعالى ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩] لذلك ردَّ المصنف على هذا الفهم وبين وجه الحق وعاد ليؤكد من جديد أن النهي في التفسير بالرأي محمول على وجهين:

١) أن يكون له في الشيء رأي،وإليه ميل في طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه.

وفصَّل القول في هذه المسألة تفصيلاً بين فيه جميع احتمالات الرأي والميل إليه. وحذر من هذا الأمر، كما أكد على أن ذلك من دأب الباطنية لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة،فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم،وهم يعلمون أنها غير مرادة.

٢) أن يفسّر كتاب اللّه بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن.

وصرح بأن سوى هذين الوجهين لا يتطرق النهي إليه،غير أنه يبقى مسألة في غاية الأهمية وهي:

**هل كل من ملك هذه الشروط،جاز له أن يفسر كتاب اللّه ويقول فيه برأيه؟**

ذكر المصنف تحرج بعض السلف من ذلك، وأنهم كانوا يحجمون عن القول في كتاب اللّه، ويتوقفون تعظيماً للقرآن،واحتياطاً لأنفسهم، مع أنهم كانو يملكون أدوات القول بالرأي.وذكرلهذا مقولة أبي بكر الصديق ﷺ المشهورة: أي سماء تظلني،وأي أرض تقلني،وأين أذهب، وكيف أصنع،إذا قلت في حرف من كتاب اللّه بغير ما أراد اللّه تبارك وتعالى.

وأنهى المصنف الباب بالحديث عن التفسير والمفسرين،فذكر من المفسرين في الصدر الأول ثلة، وجماعة من المشهورين من بعدهم الذين تتلمذوا على أيديهم، ومن جاء بعدهم،إلى أن ذكر من ألف في التفسير كتباً مستقلة ممن ذكرهم ابن عطية في تفسيره من المجتهدين.

**باب: تبين الكتاب بالسنة، وما جاء فيه:**

لما بين المصنف في الباب السابق أن الرسول ﷺ لم يفسر من القرآن إلا آي بعدد، وأجاز لذلك التفسير بالرأي المبني على العلم، خشي أن يعدل

البعض عن بيان رسول اللّه ﷺ فيفسر القرآن برأيه،لذا خصص هذا الباب للحديث عن وجوب طاعة رسول اللّه ﷺ واتباعه فيما أمر وبيَّن،ومن ذلك ما ورد عنه ﷺ من تفسير لبعض الكلمات والآيات القرآنية،فإن الأخذ به واعتماده واجب،كما أن العدول عنه عدول عن اتباع الحق الذي لا مراء فيه.

وقد جاء هذا الباب في أكثر من صفحتين،سرد المصنف في أوله جملة من الآيات الدالة على لزوم اتباعه ﷺ، والتحذير من مخالفته،ثم ذكر شيئاً من الآثار الواردة عن صحابة رسول اللّه ﷺ بينت التزامهم بما ورد عنه ﷺ في بيان الآيات الكريمات.

بعد هذا بين أهمية اتباع السنة،وأن مخالفتها تؤدي إلى الضلال،كما حدث للخوارج والروافض الذين تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن.

**وصرح المصنف أن بيان السنة لكتاب اللّه كان على ضربين:**

١) بيان لمجمل ما في الكتاب،كبيان الصلوات الخمس وأوقاتها... إلخ.

٢) بيان زاد به على حكم الكتاب، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها..

ثم تحدث عن مسألة احتياج القرآن إلى السنة،أو السنة إلى القرآن، وأيهما القاضية.

**باب: بيان كيفية التعلم والفقة لكتاب اللّه تعالى وسنة نبيه ﷺ وما جاء أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه:**

أشار المصنف في هذا الباب إلى مسألتين:

**الأولى:** أن الصحابة رضي اللّه عنهم تعلموا العلم والعمل معاً، فلم يكونوا ليتجاوزوا القدر الذي يحفظونه حتى يعملوا به،وجاء هذا القدر في قول بعضهم عشر آيات،وأورد من أقوال الصحابة ما يؤكد هذا المعنى.

**الثانية:** أن من فضل اللّه على الصحابة رضوان اللّه عليهم أن يسر لهم العمل بما في كتاب اللّه،وإن وجد بعضهم صعوبة في حفظ بعض ألفاظه.

ولهذا الأمر حث القرطبي في نهاية هذا الباب على ضرورة اتباع الإرشادات السليمة التي تجعل الإنسان يعمل بما في الكتاب ليتعلم العلم والعمل معاً،وجاء ختام هذا الباب بنظم رائق ورد في بيان أجلّ العلوم وأنفعها.

**باب: معنى قول النبي ﷺ: « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف،فاقرأوا ما تيسر منه » :**

نزول القرآن على سبعة أحرف مبحث عظيم،كثر في بيان مفهومه التأويلات،واشتد الخلاف حتى أفرده بعضهم بتآليف مستقلة،بل إن ابن حبان البستي ذكر في بيان معناه خمسة وثلاثين قولاً.

وقد شغل هذا المبحث عند القرطبي ثمان صفحات من مقدمته،ذكر فيها الخلاف حول معنى الأحرف السبعة،مقتصراً على إيراد خمسة من تلك الأقوال التي ذكرها البستي،مورداً دليل كل قول،ذاكراً من قال به من العلماء، ومن تبناه،ثم الرد عليهم.

ولأن كثيراً من العامة،بل حتى بعض طلبة العلم يستشكل عندهم الأمر عند ذكر المسألة،فينصرف ذهنهم إلى القراءات السبع،ولا يفرقون بينها وبين تلك القراءات المنسوبة لأئمة القراءات،لذلك أفرد المصنف فصلاً خاصاً مستقلاً لدفع هذا الإشكال،وبيان أن القراءات السبع راجع إلى حرف واحد من الأحرف السبعة،وهو الذي جمع عليه عثمان ﷺ المصحف.

كما أكد في ثنايا حديثه عدم قرآنية القراءات الشاذة،وأنها في أحسن محاملها تأويل لمن ينسب إليه القراءة.

وأفرد المصنف فصلاً مستقلاً للحديث عن الاختلاف في قراءة بعض الصحابة،وإقرار النبي ﷺ لكل واحد بأنها نزلت وفق قراءته،كالمشهور المروي عن عمر وهشام رضي اللّه عنهما أراد بذلك التأكيد على معنى هام هو ما أشار إليه ابن عطية رحمه اللّه حيث نبه إلى أن اللّه سبحانه أباح لنبيه ﷺ هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل عليه السلام على الوجه الذي فيه الإعجاز، ولم تقع الإباحة في قوله: « فاقرأوا ما تيسر منه » .بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه

اللغات جعلها من تلقاء نفسه،إذ لو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، ولكان فيه ما نزل من عند غير اللّه، وإنما الإباحة وقعت في الحروف السبعة ليوسع بها على أمته،فأقرأ مرة لأبيّ بما عارضه جبريل، ومرة لابن مسعود بما عارضه جبريل أيضاً، وهكذا، ولو كان التبديل لكل أحد لبطل معنى قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد أنهى الباب بما يزيل الريب والشك الذي قد يحصل في بعض النفوس بسبب هذا الاختلاف، حيث أورد ما روي أن بعض الصحابة رضي اللّه عنهم سألوا رسول اللّه ﷺ بأنهم يجدون في أنفسهم ما يتعاظم أحدهم أن يتكلم به. فقال ﷺ: « وقد وجدتموه؟ » قالوا: نعم. قال « ذلك صريح الإيمان » . يريد بذلك أن ما اعتراهم من الحيرة والدهشة أن منشأها نزعة من الشيطان.

### باب: ذكر جمع القرآن،وسبب كتب عثمان المصاحف وإحراقه ما سواها، وذكر من حفظ القرآن من الصحابة رضي اللّه عنهم في زمن النبي ﷺ:

ديدن أعداء الإسلام البحث عن منفذ ينفذون منه للطعن في دين اللّه،ولأنه كثر الحديث حول جمع عثمان للمصاحف، وإحراقه ما سواها،ووجود بعض الأدعية، وما ليس بقرآن في مصاحف بعضهم،فقد حسب أعداء الإسلام من الفرق الضالة، والنحل الهدامة، أن في هذا الأمر منفذاً للطعن في صحة نقل القرآن، وهي مسألة تصدى لها أعلام علماء،

قبل القرطبي وبعده، وقد نال قصب السبق والريادة في هذة المسألة الباقلاني - رحمه اللّه - وأدلى القرطبي بدلوه فيها على عجالة بقدر ما يسمح به في مثل هذه المقدمة،بياناً لأهمية الأمر، وعظيم خطورته، فذكر الأدلة المؤكدة لمذهب أهل السنة والجماعة، وسلامة كتاب اللّه من الزيادة والنقصان ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد استهل المؤلف هذا الباب بذكر الداعي إلى جمع القرآن وكتابته زمن الصديق أبي بكر ﷺ لما استحرَّ القتل بالقراء، وكيف تم تكليف زيد بن ثابت بالجمع،وما أحيط بالتكليف من إشكالات وملابسات،ثم ذكر الجمع الآخر الذي جاء على يد عثمان بن عفان ﷺ بإشارة من حذيفة بن اليمان ﷺ خوف الاختلاف والتنازع.

ولأنه استشكل على بعضهم تكليف زيد بالجمع وابن مسعود سابق عليه، تطرق القرطبي لهذا الإشكال، وأورد من الجمع ما يفيد أن الاختيار كان موفقاً، وأن تكليف زيد لا يعني البتة الحط من قيمة ابن مسعود، الذي شهد له الجميع بالأسبقية والأفضلية،وإنما هو الحفظ، فبينما حفظ زيد القرآن كله زمن النبي ﷺ، فإن ابن مسعود على الأرجح من الأقوال أنه لم يحفظه كاملاً عن ظهر غيب إلا بعد وفاته ﷺ.

بعد هذا تحدث المصنف عن عدد المصاحف التي أمر عثمان ﷺ بنسخها وإرسالها إلى الأمصار، والاختلاف الواقع في عدد تلك المصاحف، وفي كتابتها، ومصير المصاحف السابقة، ولكون عثمان ﷺ قد أمر أن تحرق

بقية المصاحف، وجد القرطبي مجالاً للحديث عن مسألة حرق المصحف، وما فيه لفظ الجلالة،أو آيات من القرآن الكريم، وخشية من أن يقع في النفس شيء من حرق المصحف، أورد المصنف من أقوال السلف ما ينفي أية تهمة عن عثمان ﷺ الذي أمر بالحرق.

وقد تصدى القرطبي في هذا الباب للفرق الهدامة، كالحشوية والحلولية، القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأن القراءة والتلاوة قديمة، حيث جعل من فعل عثمان ﷺ وإجماع الصحابة على سلامة عمله، ما يفند به مزاعم الطائفة الضالة، ويدحض حججهم، ويردهم بالدليل على أعقابهم خاسرين.

كما تصدى للرافضة، الذين رأوا أن في قول زيد بن ثابت عندما كلف بجمع المصحف: حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع غيره.ما يفيد بأن خبر الواحد يكفي في نقل الآية والحرف، فردَّ عليهم،وأورد الإجماع في ذلك،ليبطل مقصدهم في تأييد انحرافات مذهبهم في هذا الباب.

وختم الباب بذكر أسماء من جمعوا القرآن، وحفظوه على عهد رسول اللّه ﷺ.

## باب: ما جاء في ترتيب سور القرآن، وآياته، وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتعشيره، وعدد حروفه، وأجزائه، وكلماته، وآيه:

قسم القرطبي هذا الباب إلى عدة فصول، خص كل موضوع بفصل مستقل، استهله بالحديث عن ترتيب السور والآيات ليقرر بعد أن أورد الأدلة توقيف ذلك الترتيب على رسول اللّه ﷺ.

ثم ذكر مصاحف الصحابة واختلاف تلك المصاحف في الترتيب، وأورد من أقوال الأئمة ما يجب معها اتباع ترتيب المصحف الذي جاء هكذا من رب العزة، وأكد أنه لا التفات إلى تاريخ النزول ما دام أن اللّه سبحانه قد ارتضى لكتابة هذا الترتيب.

وتطرق إلى مسألة قراءة القرآن منكوساً، وهو مبحث كان موضعه آداب التلاوة لولا أن الاختلاف في ترتيب السور جعل القرطبي يذكره هنا أيضاً، كما بين أن كون ترتيبه توقيفياً لا يعني أن القراءة والحفظ على الترتيب نفسه، إذ حكم التلاوة والحفظ مختلف عن حكم الترتيب.

بعدها تطرق المصنف للمكي والمدني من السور، فعرف بهما، وذكر السور المدنية بأسمائها المشهورة، ثم أعلن أن ما عداها مكي بالطبع.

وفي الفصل الثاني خص الحديث عن شكل المصحف ونقطه، وذكر أول من أمر بذلك، والخلاف فيه.

كما خص التعشير والتحزيب بحديث مستقل، ذاكراً أول من عشَّر القرآن وحزَّبه،ومن أمر بذلك، ومن كرهه من الصحابة، ومن أجازه.

ثم انتقل للحديث عن حروف المصحف وأجزائه وأشار إلى أن في مصنف أبي عمرو الداني المسمى(البيان) تفصيل ما أجمله هنا.

وكان الفصل الأخير لكلمات القرآن وعدد آياته وحروفه، ذكر فيه العدد المدني الأول والأخير، وعد المكيين والكوفيين،معرفاً بهم، وعد البصريين والشاميين، وأنهى الباب بذكر الخلاف في عدد الكلمات والحروف.

**باب: ذكر معنى السورة، والآية، والكلمة، والحرف:**

جاء هذا الباب في ثلاث صفحات، خصها جميعها لبيان معاني مدلول الكلمات الأربع: السورة، الآية،الكلمة،الحرف. فعرف بها لغة ثم اصطلاحاً، وذكر ما يتعلق بها من اختلاف بين النحويين، وفي بيان معنى الكلمة ذكر أطول كلمة في كتاب اللّه،وأقصر كلمة، وإمكانية أن تكون الكلمة الواحدة آية مستقلة، وأنهى الباب بالحرف، والعلاقة بين الحرف والكلمة، وما يواكب هذه العلاقة من إشكالات.

**باب: هل ورد في القرآن كلمة خارجة عن لغات العرب أو لا؟**

أثبت المصنف رحمه اللّه أن الأئمة متفقون على أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العربية، وأنهم متفقون على أن في القرآن

أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب.

ثم تعرض بعد هذا إلى ما يمكن أن يكون موضوع الخلاف، وهو هل وقع في القرآن الكريم ألفاظ من غير كلام العرب - غير الأعلام - فذكر أن الخلاف أنشأ فريقين:

**الأول** وفيهم القاضي أبو بكر الباقلاني، والإمام ابن جرير الطبري،قالوا: إن القرآن عربي صريح، ليس فيه ما هو غير عربي،وما وجد من ألفاظ يشبه أنها غير عربية فإنما هي مما تواردت عليه اللغات.

**والفريق الثاني** رأوا في القرآن ألفاظ غير عربية، وهي قليلة بحيث لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً، وتعليل وجودها مخالطة العرب لغيرهم من الأقوام، حتى أصبحت تلك الألفاظ عربية بالاستعمال، وذكر المصنف شيئاً من تلك الألفاظ مع أدلة القائلين به، وردهم على المانعين.

### باب: ذكر نكت من إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها:

إعجاز القرآن موضوع في غاية من الأهمية، وهو من الأدلة على صدق ما دعى إليه رسول اللّه ﷺ،ولهذا حين وقف عليه العقلاء من القوم الذين أرسل فيهم النبي ﷺ لم يجدوا بداً من الإيمان به، ودخلوا في دين اللّه أفواجاً.

وقد خص القرطبي هذا الموضوع بحديث مستقل،فذكر المعجزة،

وعرفها، وبين شروطها التي إذا اختل واحدة منها لم تكن معجزة،كما بين أهمية هذه الشروط، ضارباً لذلك الأمثلة، من المعقول، والأدلة من المنقول.

ولكون خوارق العادات تشترك والمعجزة في بعض الوجوه، ولأنها ستظهر على يد المسيح الدجال، وهو أمر ثابت جاء في المروي عن الصادق المصدوق،لذا نبه المصنف إلى ذلك، وأزال ما قد يلتبس على البعض من أمر هذا المسيح الذي يدعي الربوبية، في حين أن أصحاب المعجزات، وهم الأنبياء عليهم السلام يدَّعون الرسالة والنبوة، وهو فرق لا يغفل عنه عاقل.

بعد هذا بيّن المصنف أنواع المعجزات، وصنفها ضربين، ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ،وما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، وتناقله جمع عن جمع يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، وهي المعجزة الباقية إلى قيام الساعة لنبينا ﷺ، في الوقت الذي انقرضت معجزة كل نبي بانقراضه، وأدخلها التبديل والتغيير، كالتوراة والإنجيل.

وذكر المصنف أن العلماء قد ذكروا وجوهاً لإعجازالقرآن وقع بها التحدي للمشركين، فكان إفحاماً لهم،عجزوا، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، أن يأتوا بشيء من مثله.

وقد اختار المصنف عشرة من وجوه الإعجاز، مما استحسنها العلماء، فكان ناقلاً أميناً لها،وأضاف إليها ما جادت به قريحته مما فتح الله به عليه، ثم تصدى لما قالته بعض الفرق الضالة،ونطقت به الألسن المضللة، في إعجاز القرآن، ففند بحمد الله أراءهم بالدليل والحجة، ورد على النظّام

الذي تولى كبر القول بالصرفة، وعلى أتباعه من القدرية، وأثناء الرد ذكر المصنف نتفاً من فصاحة القرآن، وبلاغته الذي به كان معجزاً.

وأنهى الباب بعد أن أثبت أن بلاغة الكتاب في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان،بل إنه متجاوز للإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة.ومعجزة كل رسول هي من جنس أبرع ما اشتهر به عصره، وكان العرب أصحاب فصاحة وبيان، فكان الإعجاز في البلاغة والبيان.

**باب: التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وغيره:**

حذر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، من الكذب عليه فقال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوّ مقعده من النار » ؛ الحديث، ولذا بين القرطبي أن الرسول ﷺ كان يعلم أنه سيكذب عليه، لهذا خوف أمته وحذرهم من ذلك.

فأشار في هذا الباب إلى أن أغراض الواضعين على رسول اللّه ﷺ متفاوتة، وأهدافهم متباينة، وهم أصناف أربعة:

صنف أراد بعمله إيقاع الريب في قلوب المؤمنين، وتشكيك الناس بأمر دينهم،وهؤلاء هم قوم فسدت قلوبهم،وهم الزنادقة ومن شايعهم.

وصنف وضعوا ذلك لهوى يدعون الناس إليه، كما فعلت الخوارج.

وصنف ثالث حَسُنت نواياهم وساء فعلهم حسبوا أنهم يحسنون صنعاً، كذبوا على رسول اللّه ﷺ حسبة وتقرباً إلى اللّه بزعمهم،كما فِعْلُ أبي عصمة وغيره، حين وضعوا لكل سورة فضيلة.

وصنف رابع أرادوا أن يسترزقوا،فوضعوا على رسول اللّه ﷺ أحاديث اختلقوا ألفاظها، ووضعوا لها أسانيد صحيحة حفظوها،يقفون في الأسواق والمساجد يتقوّلون على رسول اللّه ﷺ.

وقد ذكر المصنف لكل نوع أمثلة، وأنهى الباب بالتنبيه إلى الاعتصام بالسنة وبما ثبت عن رسول اللّه ﷺ ففيه الغنية عن غيره.

### باب: ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القرآن، وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن من ادعى أن في القرآن زيادة أو نقصان كان كافراً راداً لكتاب اللّه ولما جاء به رسول اللّه ﷺ.

ولأهمية هذا الباب وقف المصنف في وجه الزائغين عن الملة، الممهدين الطريق لأهل الكفر والإلحاد،ليدخلوا في القرآن ما يحلون به عُرا الإسلام،ولهذا الأمر جاء هذا الباب وهو الأخير في الترتيب مستفيضاً يزيد من همة القارىء لدراسة التفسير، ويجدد نشاطه بعد تلك الجولة في فنون علوم القرآن التي زينت بها المقدمة وهو مطمئن مسلح بكل ما يرد كيد الكائدين، من الأدلة والحجج والبراهين.

وكل ما أراد المصنف إيراده هنا جاء في ست صفحات، وقف فيها بقوة وصلابة في وجه العصبة الهالكة، القائلة بوقوع الزيادة والنقصان في كتاب اللّه، تريد به إبطال الشريعة.نقل في هذه الصفحات إجماع الأمة، من أهل السنة والجماعة على كفر من ادعى الزيادة والنقصان في كتاب اللّه، فمدعي ذلك مبطل لما أجمعت عليه الأمة من أن كتاب اللّه محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، معلومة على الاضطرار سوره وآياته، مبرأة من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته.

ومدعي ذلك مبطل لآية رسول اللّه ﷺ، فالمقدور عليه ليس بآية.

ومدعي ذلك راد لقوله تعالى ﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[الإسراء: ٨٨]

والمصنف يشير بما ذكره، وبما نقله عن ابن الأنباري، إلى طائفة الرافضة من الشيعة وممن شايعهم من الطاعنين في كتاب اللّه.

غير أن اللّه جلَّت قدرته، قد قيَّض لكتابه جماعة من أهل الفضل والعقل في كل زمان ومكان، ينفون عن كتابه قول المبطلين وتحريف الزائغين، حارسين الشريعة من مكايد أهل العداوة والكفر.

كما تعرض المصنف لما ادعاه الزائغون من وجود سقط في بعض المواضع من مصحف عثمان، وزيادة في مواضع أخرى وضعت على علم

من عثمان والصحابة، وليست من القرآن، وأن المصحف الذي بين أيدينا مشتمل على حروف مفسدة مغيرة نتيجة التصحيف،وادعى الأفاكون أن عثمان ﷺ قد أخطأ حين أسند أمر الجمع إلى زيد بن ثابت،وعلى ذلك أباحوا لأنفسهم مخالفة مصحف عثمان.

كل هذه المزاعم أورد المصنف لها أمثلة، وأحال القارىء إلى مواطن الرد التي فند فيها مثل هذه المزاعم،توخياً للاختصار،ومنعاً للتكرار، غير أنه سرد ردود أبي بكر الأنباري وهو فارس في هذا الميدان على هذه المزاعم، وإبطاله لها بالحجة والدليل.

بقي ما يَرِدُ على لسان ثلة من السلف رضي اللّه عنهم مما يشبه الزيادة، فذكرهاالمصنف أجزل اللّه له المثوبة وبين أنه لم ينقل عن أحد من أهل العلم أن الصلاة بها جائزة، ولا أن جاحدها يكون كافراً، بخلاف مصحف عثمان،فإن منكر بعضه مرتد يستتاب،وإلا ضربت عنقه.

يريد المصنف بهذا أن يقول إن ما ورد على لسان السلف مما كان من هذا القبيل هو تفسير وبيان، وهو ما يسمى عند أهل العلم بالقراءة التفسيرية، أو أنه مما نسخ لفظه وحكمه،أو لفظه دون حكمه.

وختم الباب بالتنبيه إلى أن اللّه تعالى قد تكفل بحفظ كتابه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]وفي هذا الحفظ دليل على كفر مدعي النقص أو الزيادة، كما أورد في النهاية جملة من الآيات القرآنية التي زاد فيها الأفاكون، وتقوّلوا فيها على اللّه عز وجل، فرد زعمهم،

وفند ادعاءهم، وحكم بكفرهم.

**رابعاً: منهج القرطبي في مقدمته:**

قبل أن يستعرض لنا القرطبي العلوم التي رأى أنه يحسن لطالب العلم الإحاطة بها، قدم توطئة بين فيها ما يريد التنبيه إليه كعادة المفسرين، وكان مما بينه في هذه التوطئة شرطه في الكتاب ولكون مقدمته جزءاً من كتابه فإن ما ذكره ينطبق عليها وإن كانت بصلب الكتاب ألصق.

فمن شرطه إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، وهو منهج التزمه المصنف في أغلب مقدمته، وجاء هذا الالتزام مطرداً إلا ما ندر، فالمصنف يرى أن من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.

**وللقرطبي في إضافة الأقوال إلى قائليها طريقتان:**

**الأولى**: التصريح باسم القائل، مع المصدر الذي استقى منه المعلومة، وهو كثير،ومن أمثلة ذلك: **في باب ما يلزم قارىء القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته**،قال: قال الحكيم الترمذي أبو عبد اللّه في نوادر الأصول: فمن حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهر......الخ[1]ونقل عنه ما يربو على ثلاث صفحات.

ومثال ذلك أيضاً: ما نقله عن أبي بكر الأنباري في ثنايا حديثه عن

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢٧.

جمع المصحف، قال: وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الرد..[١]،يريد بذلك كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان.

الثانية: أن يشير إلى القائل،ويصرح باسمه أو كنيته أو لقبه، دون أن يذكر المصدر،وغالباً ما يسلك هذا النهج مع أصحاب المصنفات المشهورين بمصنفاتهم كالبخاري وابن عطية وغيرهما،إذ المتبادر عند ذكر البخاري هو صحيحه، وعند ذكر ابن عطية هو تفسيره.ومن أمثلة ذلك ما نقله في باب: ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي: قال: قال ابن عطية: ومعنى الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى....[٢]

والمصنف يريد بعمله هذا أن يضع بين يدي القارىء مصدر المعلومة لمن أراد التوسع أو التأكد، كما أنه يرفع بذلك من القيمة العلمية للمعلومة،لكون مصادره في مجملها من أمهات الكتب المعتمدة.

ونادراً ما يعدل المصنف عن هذا النهج، فلا يصرح باسم القائل

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٥٨، وينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: ١/ ٥،٣٩،٥٨،٥٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣١، وينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: ١/ ٨،٥٩،٧٣.

مكتفياً بقوله: قال علماؤنا، أو: قال بعض العلماء.(١)

وكما أضاف الأقوال إلى قائليها، عزا الأحاديث والآثار إلى مخرجيها ومصنفاتها، ويستطيع المرء أن يلخص منهج القرطبي في الاستشهاد بالأحاديث والآثار في النقاط التالية:

١) أن غالب ما أورده، واستشهد به عزاه لمن خرجه أو ذكره، وما تركه دون عزو قليل نادر.(٢)

٢) قد يستقصي من خرج الرواية، ويورد السند.(٣)

٣) ينقل حكم الأئمة على الروايات في أحايين كثيرة، وما كان منها في الصحيحين اكتفى بالعزو دليلاً على صحتها.(٤)

٤) إذا ورد في سند إحدى الروايات من هو محل نظر،بين القول فيه مع ذكر أقوال الأئمة لبيان حاله.(٥)

٥) إذا ورد في الروايات لفظة غامضة، بينها، ووضح معناها،والمراد

---

(١)انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٥٥ وينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: ١/ ١٧،٢٦،٣٣،٤٦.

(٢)انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٥،٧،٩،١١،١٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٨،٢٣،٨٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٠،٣٢،٥٨.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٧،٣٦.

منها.[١]

٦) الروايات التي قد يختلف في توجيه المراد منها يوجهها،أو ينقل توجيه العلماء لها.[٢]

هذا وقد يكتفي المصنف في العزو بالبناء للمجهول، فيورد الأثر بلفظ: روي.ومثل هذا قليل نادر[٣].

وبين المصنف سبب تبنيه لمنهجه في العزو فيقول: كثيراًما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطّلع على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً، لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل من الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام.[٤]فكأن الإمام القرطبي رحمه الله أراد بمنهجه هذا تكملة النقص في بعض المؤلفات التي تهمل عزو الأحاديث، وإعانة للقارىء مقدراً حاجته إلى معرفة صحة الأثر من ضعفه.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٣،١٧،٢٨،٤٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٢،١٦،٧٨ وللمزيد من الأمثلة على ما سبق ينظر: ١/ ٣ـ٥ـ١٠ـ ١١ـ ٢٣ـ ٤٠ ٤٢ ٥٠.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٠.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣.

والمصنف رحمه الله لا يقتصر في الاستشهاد على ما يورده أو يتبناه من الآراء على الأحاديث والآثار، بل يذكر من أقوال العلماء المعتبرين في الفنون التي يتعرض لها ما يؤيد به الرأي الذي ارتضاه، أو عرضه، ويضرب لذلك من الأمثلة ما يوضح به المقال، كما أنه لا يغفل عن الاحتكام إلى اللغةوالاستشهاد بالشعر،إذا دعى الأمر لذلك.(١)

ولكون كثير مما تعرض له المصنف في مقدمته مسائل خلافية تباينت آراء العلماء فيها فقد اتخذ منهجاً واضحاً في مناقشة مثل هذه المسائل، يتمثل في الآتي:

١) ذكر المسألة المختلف فيها.

٢) تعيين أصحاب الخلاف في الغالب، وبيان وجهة كل فريق مع إيراد أدلتهم ومناقشاتهم.

٣) الترجيح بين الأقوال، والرد على المخالفين، وذكر الأدلة المرجحة.

وأشير هنا إلى أن القرطبي غالباً ما يكون موفقاً في اختياراته.(٢)

هذا وإذا رأى المصنف أن في الذي رجحه وتبناه من الرأي، إشكالاً

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٥٤و٥٦.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ١٣-١٥-٣٣.

قد يفسد على القارئ مسوغات الترجيح، أسرع بذكر الإشكال وبالتالي رده وتفنيده[١].

ومن المحمود في منهج القرطبي رحمه الله إحالة القارئ إلى مزيد بيان، ومزيد من الأدلة في ثنايا التفسير، وذلك خشية الإطالة، خاصة إذا كانت المسألة التي تطرق لها متشعبة تحتاج إلى أكثر من وقفة، وقد تكون الإحالة إلى غير التفسير مما هو من مظان المسألة[٢].

ومن منهج المصنف أيضاً أنه إذا استدل بنص من أقوال أحد العلماء، ورأى أنه لم يذكر من الأدلة ما يطمئن به القارئ، أو أنه لم يجمع أطراف المسألة، فترك ما يراه المصنف أن من الأهمية ذكره، تولى هو ذلك، فذكر من الأدلة المزيد، ومن الرأي والقول ما يجمع به أطراف المسألة.[٣]

وأخيراً.. فإن القرطبي لا يترك المسائل التي يتطرق لها حتى يشبعها درساً وتمحيصاً وتحليلاً على ما يناسب المقدمة.

**خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٦٩ وينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: ١/ ٥١، ٥٣، ٥٦، ٨١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٥٣-٦٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣٠ وينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: ١/ ٣٠، ٣١، ٤٨، ٥٧.

في التقديم الذي قدمه القرطبي بين يدي تفسيره اشترط لكتابه عدة أمور:

فاشترط أولاً أن يُضمِّن كتابه نكتاً من التفسير والنكات والإعراب والقراءات، وأن يرد في مواطن الرد على أهل الزيغ والضلالات، وأن يذكر الأحاديث والآثار الشاهدة على اختياراته في الأحكام ونزول الآيات، موضحاً ما أشكل منها بأقاويل السلف واختيارات الخلف.

وهي شروط التزمها المصنف بحق، فالقارئ في التفسير يقف على شواهد عديدة لكل جزئية من الجزئيات السابقة، فهو يذكر الإعراب والقراءات[١]، ويرد على الزيغ والضلالات كما أسماهم[٢]، ويذكر الأحاديث والآثار ويستشهد بها على المسائل[٣]، كما يذكر الأحكام المستنبطة من الآية أو الآيات، ويورد أقوال الأئمة في ذلك مبيناً رأيه في أحايين كثيرة.[٤]

ومن شرطه إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، وهو

---

(١) انظر: أمثلة ذلك: ١/ ٢١١-٣٠٠-٢/ ٣٧٧-٣/ ٣٢٧.

(٢) انظر: أمثلة ذلك: ١/ ١٩٣-٣٧٨-٤/ ٤٧-٧٣.

(٣) انظر: أمثلة ذلك: ٢/ ١٨٩-٣٩٤.

(٤) انظر: أمثلة ذلك: ١/ ١٩٨-٢٢٨-٣٠٧-٢/ ٢١٢-٣٣٣-٣٥٤.

شرط التزمه المصنف إلى حد كبير في تفسيره.[١]

كما تعهد المصنف بأن يضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، ويقصد به القصص الإسرائيلي، إلا ما لا بد منه، ولا غنى عنه، وهو شرط التزمه المصنف، فإذا ذكر القصة تعقبها ووقف من بعضها موقف الناقد يبيِّن ما عليها[٢]، وقد يذكرها دون الوقوف عليها، بل يمررها كما جاءت، وغالب ما هو من هذا الباب إنما هي تلك التي لا دليل على ردها ولا على قبولها[٣]، وقد يفوته فيذكر بعض القصص التي بطلانها ظاهر دون أن يرد عليها، وما هو من هذا القبيل قليل، واللّه أعلم[٤].

**سادساً: مصادر المؤلف في مقدمته:**

تعد المصادر التي يعتمدها المصنف في التأليف من الدلائل الهامة على مكانة ما صنفه، قبولاً ورداً، ضعفاً وقوةً، فالذي يعتمد في التصنيف على أمهات الكتب، لمن عرف بعلوّ القدر وسموّ المكانة بين أهل العلم، يكون تصنيفه في الغالب مفيداً، خاصة إذا كان المصنف من أهل العلم.

والقارئ في مقدمة القرطبي يلاحظ بوضوح كثرة دوران أسماء

---

(١) انظر: أمثلة ذلك: ١/ ٢٤٩-٣٧٧-٤٢٥-٢/ ١٥١-٢٦٦.

(٢) انظر: أمثلة ذلك: ٦/ ١٣٢-٧/ ٣٣٨.

(٣) انظر: أمثلة ذلك: ٢/ ١٢٠-٩/ ٦٨-١١/ ٢٠٠.

(٤) انظر: أمثلة ذلك: ٩/ ٣١-١٦٩-١٥/ ١٦٦.

الأعلام من العلماء، والمشهور من المصنفات، يورد المصنف أقوالهم، ويستشهد بأدلتهم، ويستأنس بآرائهم، ويعتمد الكثير منها.

وقد كثرت مصادر المقدمة حتى جاوزت الخمسين مصدراً، في فنون العلم والمعرفة، من التفاسير والمؤلفات في علوم القرآن، ومصنفات الحديث، وكتب اللغة وغيرها.

فمن **كتب التفسير وعلوم القرآن** التي أكثر النقل عنها:

**١**) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي(١).

**٢**) جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(٢).

**٣**) الرد على من خالف مصحف عثمان، لأبي بكر بن الأنباري(٣).

كما نقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني(٤)، وأبي عبيد القاسم بن سلام(٥)، وأبي عمرو الداني.(٦)

---

(١) انظر: أمثلة ذلك: ١/ ٢٤-٣٢-٣٧-٤٤-٥٤-٦٨-٧٦.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١١-١٥-٢١-٤٢-٥١-٦٨.

(٣) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٥-٨-٢٣-٣٢-٣٥-٤٠-٥٣-٥٨-٦١-٨١.

(٤) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١١-٤٣-٤٥-٥٧-٦٨-٧٤-٨٤.

(٥) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٥-٤٣-٨٤.

(٦) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٣٩-٦٤-٦٧.

ومن مصادره التي اعتمدها في **الحديث والآثار وشروحها**:

الكتب الستة، صحيح الإمام البخاري[١] وصحيح الإمام مسلم[٢]، سنن الإمام الترمذي[٣]، وسنن الإمام النسائي[٤]، وسنن الإمام ابن ماجه[٥]، وسنن الإمام أبي داود[٦].

ومن **المسانيد**: مسند الدارمي[٧]، ومسند أبي داود الطيالسي[٨].

---

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٦-١٠-١٣-٣٩-٤٨-٥٤-٥٦.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٧-١١-٢٠-٢٩-٤١-٤٨-٤٩-٥٨.

(٣) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٤-٨-١٠-١٨-٥٤.

(٤) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٨-١١.

(٥) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٨.

(٦) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١١-١٨-٣٢-٤٣.

وأبو داود هو: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، اختلف في اسم جده، إمام حافظ مقدم، لقب بشيخ السنة، ومحدث البصرة، قال الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، له السنن، توفي (٢٧٥هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٩/ ٥٥- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٢٠٣.

(٧) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٧-٨.والدارمي هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، إمام حافظ ثبت متقن، له المسند، توفي(٢٥٥هـ) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١٠/ ٢٩- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢/ ٢٢٤.

(٨) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٩-٧٩.

وقد كان جلّ اعتماده في الشروح على التمهيد لابن عبد البر[١].

وفي **اللغة** معجم الصحاح للجوهري[٢].

**ومن مصادره أيضاً** نوادر الأصول للحكيم الترمذي[٣]، والمصاحف لابن أبي داود[٤]، والجامع لابن وهبة[٥]. وغير ذلك.

ومن مصادر المصنف **التي لم يصرح فيها باسم المصدر، مكتفياً باسم المصنف** : أبو الحسن البطال [٦]، وابن حبان البستي [٧]،

---

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٥-١٨-٣٧-٤٣-٥٦-٧٨.

(٢) انظر مثال ذلك: ١/ ١٢.

والجوهري هو: إسماعيل بن حمّاد التركي الجوهري، إمام يضرب به المثل في ضبط اللغة، وفي حسن الخط، له الصحاح، توفي (٣٩٣هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٨٠-وشذرات الذهب لابن عماد: ٣/ ١٤٢.

(٣) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١٧-٢٧.

(٤) انظر مثال ذلك: ١/ ٤٥.

وابن أبي داود هو عبد الله بن أبي داود بن سليمان الأشعث، أبو بكر السجستاني، شيخ بغداد، تكلم فيه أبوه، له المصاحف، توفي (٣١٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٢٢١-وشذرات الذهب لابن عماد: ٢/ ٢٧٣.

(٥) انظر مثال ذلك: ١/ ٥٩.

(٦) انظر أمثلة ذلك: ١١- ١٥- ٥٤- ٦١.

(٧) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١٣-٤٢.

وابن حبان هو محمد بن حبان بن أحمد البستي، ثقة نبيل من حفاظ الآثار وفقهاء الدين له الثقات، توفي (٣٥٤هـ) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٣/ ٩٢٠-والوافي بالوفيات=

والخطابي[١]، وأبو بكر الخطيب البغدادي[٢] والأوزاعي[٣]، وسعيد بن منصور[٤]، وعبد الرزاق صاحب التفسير[٥] وابن الصلاح[٦] وغيرهم.

**سابعاً: أهم مزايا مقدمة القرطبي:**

١- إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث والآثار إلى مصنفاتها.

---

=للصفدي: ٢/ ٣١٧.

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١١-٣٨-٤٣-٥٩.

والخطابي هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، حافظ لغوي صاحب تصانيف، وله معالم السنن، توفي (٣٨٨هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٢١٤-وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٢٣.

(٢) انظر مثال ذلك: ١/ ٣٦.

(٣) انظر مثال ذلك: ١/ ٣٩.

والأوزاعي هو: عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، إمام في الحديث، ثقة مأمون فاضل، توفي (١٥٧هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٧/ ١٠٧-وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٦/ ١٣٨.

(٤) انظر مثال ذلك: ١/ ٣٩.

وسعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي، ثقة صاحب سنن، توفي (٢٢٩هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٥١٦-وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/ ٨٩.

(٥) انظر مثال ذلك: ١/ ٣٩.

(٦) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٧٣-٧٩.

٢- الاستقصاء والشمولية عند بحث المسائل.

٣- سلامة المنهج، مع حسن عرض الموضوعات.

٤- عرض الآراء بعبارة سهلة، والتعقيب عليها ومناقشتها.

٥- تنوع المصادر مع أهميتها.

٦- محاولة المصنف ربط بعض مسائل علوم القرآن بالواقع.

أظهر المآخذ:

١- إغفال بعض الموضوعات كقواعد الترجيح.

٢- ذكر بعض المسائل دون أدلتها.

٣- تعرضه لمسائل فرعية ليست ذات أهمية كبرى بحيث تذكر في المقدمة مثل الفصل الذي خصه في الرد على الحلولية والحشوية.

٤- التوسع في ذكر بعض الموضوعات، مثل الأبواب التي خصها لفضائل القرآن.

هذا ما عرفته عن مقدمة القرطبي، وأستغفر الله من الخطأ والزلل في القول.

# ١٠- تسهيل السبيل لعلوم التنزيل

## محمد بن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي ت (٧٤١هـ)

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي، المكنى بأبي القاسم، والمشتهر بابن جُزي بالتصغير.

ولد المصنف يوم الخميس تاسع ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة للهجرة المباركة (٦٩٣هـ)، في غرناطة مأوى العلماء وملاذهم بعد سقوط قرطبة وغيرها من عواصم العلم في الأندلس[١].

وينحدر المصنف من أسرة عربية أصيلة، فهو من قبيلة كلب اليمانية[٢]، وينتمي لأسرة علم كابراً عن كابر، وبيته من البيوتات المشهورة بالمغرب والأندلس، المعروفة بالعلم والنباهة والأصالة[٣]، تربى في حجر والده العالم، الذي كان محموداً من أهل العلم، وتلقى عنه أبجديات العلوم حتى قوي عوده، فقرأ على بعض مشايخ غرناطة، كابن الزبير وابن الكماد

---

(١) انظر نفح الطيب للمقري: ٨/ ٣٠.

(٢) نسبة إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن قضاعة.

(٣) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ٣/ ٢٠-ونفح الطيب للمقري: ١/ ١٤٢.

وغيرهما ممن عرفوا بالنباهة والصبر على التدريس والملازمة، وانتقل من شيخ إلى شيخ، حتى حاز قصب السبق في فنون عديدة، وتصدر لمهمات كثيرة.

**مكانته العلمية:**

ظهر نبوغ ابن جُزي منذ اليفاعة، حين تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده وهو في حداثة سنه، وتدرج منذ ذلك الحين مرقاة أهل العلم، واشتهر كواحد من أفاضل العلماء المعدودين، ولهذا حين ذكره الداودي قال عنه: كان يرحمه اللّه على طريقة مثلى، من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون، من عربية، وأصول، وقراءات، وحديث، وأدب، حُفَظَةً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جمَّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، صحيح الباطن، تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصله.(١)

ولمكانته أسند إليه يرحمه اللّه أمور ومهمات عديدة فاشتغل بالتدريس ردحاً من الزمن وتخرج به أناس كثيرون، يقول في مقدمته: وإن اللّه أنعم عليَّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه،

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٨٥.

وتحصيل علومه..[١]

كما أُسْنِدَ إليه مهمة الخطابة والإمامة منذ وقت مبكر، وكان من أهل الفتيا بغرناطة[٢]، هذا فضلاً عن اهتمامه البالغ بالتصنيف والتأليف.

والناظر في المصادر التي درست الأندلس وتعرضت للفترة التي عاشها ابن جزي يجد الاهتمام البالغ بشخصية ابن جزي حيث أظهرته تلك المصادر في غاية التقدير عالماً مربياً يعتز به، ومجاهداً باسلاً يعتمد عليه.

**شيوخه وتلامذته:**

تهيأ لابن جزي أمران جعلا منه طالب علم جادّ، يكثر التلقي ويتابع الشيوخ:

أما **الأول** فلكون أبيه من أهل العلم، فهو إذاً يعرف قدر العلماء ومكانتهم.

وأما **الثاني**: فلكونه كان يملك أرضاً زراعية تدرُّ عليه غَلَة وافرة، تكفيه مؤْنَة العيش، وتعينه على التفرغ التام لطلب العلم حتى سن متقدمة. هذا إضافة إلى نباهته، وما أودعه اللّه في نفسه من الشغوف بالعلم والتحصيل.

---

(١) انظر المقدمة: ١/ ٤.

(٢) انظر: نثير الجمان للداية: ١٦٥.

وقد كثر **شيوخ ابن جزي** حتى صنَّف فهرساً بأسمائهم، وأذكر منهم:

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي(١).

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الكماد.(٢) وغيرهم كثير.

والملاحظ في شيوخ ابن جزي أنهم كانوا من ذوي الهمم العالية، ومن المؤثرين في الحياة العامة، وظهر تأثر ابن جزي بهم واضحاً من خلال مشاركاته العديدة في الجهاد والانخراط في صفوف المقاتلين.

أما **تلامذة ابن جزي** فقد تخرج به أناس علماء، وخلق كثير، منهم:

محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب(٣).

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، صدر العلماء المقرئين في عصره، عرف عنه الصبر في الطلب، والصلابة في الحق، له البرهان في ترتيب سور القرآن، توفي(٧٠٨هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ١/ ١٨٨، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: ١/ ٨٩، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: ١/ ٣٣.

(٢) هو محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي المعروف بابن الكماد، فقيه مقرئ محدث، عُرف عنه الزهدوالتقشف، له الممتع في تهذيب المقنع، في القراءات، توفي (٧١٢هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ٣/ ٦٠، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ٢/ ٦٣، والديباج المذهب لابن فرحون: ٢/ ٢٧٩.

(٣) هو لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب، كاتب شاعر أديب، ذو الوزارتين، قتل خنقاً في (٧٧٦هـ) انظر: مقدمة الإحاطة في أخبار غرناطة لابن=

وأبو الحسن علي بن عبد اللّه الجذامي الشهير بالنباهي[(١)] وغيرهم.

**مؤلفاته:**

دوَّن ابن جُزيٍّ الكثير وصنَّف، وفرط المسامع وشنَّف، كما يقول لسان الدين الخطيب: ولم يزل يسلك طريق المجتهدين، فدون في الفقه دواوين، وسفر في علم اللسان عن وجه الإحسان، ورحل في علم التفسير إلى كل طية، وأركض في أغراضه كل مطية، حتى أنشأ الزمخشري وابن عطية، وله من الأدب حفظ وافر، ومذهب عن الحسن سافر[(٢)].

كما كان له-رحمه اللّه- اهتمام وإلمام جيدين بالشعر، تمثل ذلك في الرقاق والمدائح النبوية، وقد احتفظ لسان الدين الخطيب بجملة طيبة منها[(٣)].

---

=الخطيب: ١/ ٣-٧١، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: ٣/ ٤٦٩ط١، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: ٢/ ٩١.

(١) هو علي بن عبد اللّه بن الحسن الجذامي، الشهير بالنباهي، عالم من أسرة علم، كان بينه وبين ابن الخطيب ودٌّ، تحول إلى عداوة حتى أصبح من المحرضين على ابن الخطيب، له تاريخ قضاة الأندلس، توفي بعد (٧٩٢هـ)

انظر: نثير الجمان لابن الأحمر: ١٧٠ -وأزهار الرياض في أخبار عياض للمقري: ٢/ ٥.

(٢) انظر: أوصاف الناس في التاريخ والصلات لابن الخطيب: ٢٧.

(٣) انظر: الكتيبة الكامنة لابن الخطيب: ٤٦.

ومع ما أسداه العلماء من الثناء على المصنف إلا أن مصنفاته لم تنل الشهرة المطلوبة، ولا وجدت من طلبة العلم الإقبال المرتقب، عدا تفسيره الذي كان له في المغرب شأواً خاصاً ثم حين طبع وتيسر أمره اقتناه المشارقة واعتمد أهل العلم آراءه.

**ومن مؤلفات المصنف:**

١) التسهيل لعلوم التنزيل، وهو تفسيره المطبوع وهو موضوع البحث.

٢) المختصر البارع في قراءة نافع.

٣) أصول القراءة الستة غير نافع.

٤) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.

٥) الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار.

٦) القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية.

٧) فهرس ابن جزي.

٨) الأنوار السَّنية في الكلمات السُّنية.

٩) التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية.

١٠) تقريب الوصول إلى علم الأصول[١].

وفاته:

طالما تمنى ابن جزي الشهادة في سبيل اللّه والموت في ساحات الوغى، يقول الفقيه المحدث ابن الوزير أبو بكر بن ذي الوزارتين ابن الحكيم: أنشدني-ابن جزي - يوم الوقيعة من آخر شعره قوله:

قَصْدي المؤَمَّل في جَهْري وإسْرَاري ومَطْلَبي من إلهي الواحد الباري

شهادة في سبيلِ اللّهِ خالصة تمحو ذنوبي وتنجيني من النار

إن المعاصي رجس لا يطهرها إلا الصوارم في أيمان كفار

ثم قال: في هذا اليوم أرجو أن يعطيني اللّه ما سألته في هذه الأبيات.

وأعطاه اللّه مسألته واستجاب دعوته كذا أمر اللّه مع الصادقين، واستشهد يرحمه اللّه ضحوة يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة (٧٤١هـ) في ساحة الجهاد، وهو يشحذ الهمم، ويحرض المجاهدين، ويثبت بصائرهم[٢].

---

(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ٣/ ٢٠-٢٣- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٨٦.

(٢) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: ٣/ ٣١، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٨٧.

وينظر للمزيد في ترجمة: ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير، لعلي بن محمد الزبيري: ١/ ٤٣ وما بعده. - والإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب: ٣/ ٢٠-=

### ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:

احتل تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) مكانة مرموقة لدى أهل المغرب العربي عامة، واشتهر أيما شهرة. لعظيم ما ضمنه المصنف من المعاني، ولما فتح الله به عليه من البيان، غير أنه بقي مغموراً لدى المشارقة، فلم يكتب له الشهرة والانتشار التي تخرجه من ذاك الحصار الذي ضرب عليه في المغرب نتيجة الظروف التي تعرضت لها الأندلس، إضافة إلى ظهور تفاسير لأناس احتلوا مكانة علمية مرموقة في المشرق في عصره أمثال أبي حيان وابن كثير وغيرهما.

ويعد تفسير ابن جزي هذا آخر التفاسير الأندلسية التي تناولت القرآن جميعه، وهو آخر تفسير يصل إلينا من تلك الديار، وقد استطاع المصنف أن يقدمه في صورة رائعة، بعبارة قوية، وجمل رصينة، وأسلوب جمع فيه بين الإيجاز وحسن العرض دون أن يخل بالمعاني المراد بيانها، يورد الجزء أو

---

=وأوصاف الناس في التواريخ والصلات، لسان الدين ابن الخطيب: ٢٧- ودرة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي المكناسي: ٢/ ١١٧- والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني: ٣/ ٣١٥ط محمد سيد جاد الحق- والديباج المذهب لابن فرحون: ٢/ ٢٧٤- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٨٥- وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ٢/ ٨٣- ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: ٨/ ٦١ط محمد محيي الدين عبد الحميد- ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، على على هامش الديباج المذهب: ٢٣٨.

الجملة من الآية ويفسرها مستقلة. ولهذا وصفه بعضهم بأنه تفسير جملي - إن صح التعبير-.

حاول المصنف إيراد أقوال المفسرين في بيان الآية بعبارة مختصرة، مسخراً ما أوتي من العلوم والمعارف لخدمة التفسير، فجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالاجتهاد المبني على القواعد وأدوات التفسير، وإن كان الغالب جانب الرواية.

وقد أولى المصنف الجانب اللغوي اهتماماً خاصاً وقدراً كبيراً من العناية، حتى أنه خصص مقدمة لبيان معاني الكلمات والمفردات التي يكثر دورانها في القرآن الكريم، وبذلك يعد ابن جزي رائد هذا النهج والمبتدع فيه- وإن لم يحذو حذوه أحد من العلماء فيما أعلم - لقد استغنى بعمله هذا عن تكرار القول في بيان تلك المعاني اللغوية التي تضخم من حجم الكتاب.

والتفسير مليء بالنكات البلاغية والتوجيهات النحوية، فالمصنف صاحب قدم راسخة في هذا الباب، كما أنه لا يتوانى عن اللجوء إلى الشعر باعتباره ديوان العرب لبيان الألفاظ الغريبة.

هذا واهتم المصنف بأسباب النزول، غير أنه اختصر القول التزاماً بالمنهج الذي رسمه، وهو الاختصار والإيجاز، وله وقفات محمودة حيال القصص والإسرائيليات، فقد ألزم نفسه بأن لا يذكر من القصص إلا ما ورد في الحديث الصحيح، ولهذا انتقد المصنف بشدة أولئك الذين أكثروا

من ذكر الإسرائيليات، وحشدوا القصص في تفاسيرهم، ونبه إلى أنهم قد ذكروا ما لا يجوز ذكره.

وذكر المصنف الهدف من عمله. والغاية التي توخاها من تأليفه، وهي أمور أربعة: جمع كثير من العلم في كتاب صغير، مع إضافة ما جادت به القريحة من النكات والفوائد، وإيضاح المشكل من المعاني، والتحقيق في أقوال المفسرين لتمييز الصحيح من السقيم.

وللحق فإن شهرة تفسير ابن جزي لا توازي إجادته، ولا تعدل إبداعه.

وقد قدم ابن جزي لتصنيفه (التسهيل لعلوم التنزيل) خطبة ومقدمتان، أما المقدمتان فإحداهما في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة، وأما الأخرى ففي بيان المعاني التي كثر دورانها في كتاب اللّه، وأما خطبة الكتاب فلبيان المنهج والغرض من التأليف.

ثم ضمَّنَ المقدمة الأولى اثنا عشر باباً، منها أبواب لم يسبق إليها المصنف مثل هذا الموضع، كالذي جعل عنوانه: المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، وكالباب الذي خصه للحديث عن الوقف. كما أنه انفرد بين المفسرين-في حدود علمي-بمقدمته الثانية في تفسير معاني اللغات، والتي استهدف منها أموراً ثلاثة كما ذكر: تيسير تلك الكلمات والمعاني للحفظ، جعلها كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، وأخيراً الاختصار بحيث يستغنى عن ذكرها في صلب التفسير.

وهذا العمل من المصنف اجتهاد منه، غير أنني أرى أن إيراد المعاني في سياق الآية لها مدلولها الخاص، وفصل المصنف للكلمة من موقعها، وإلزامه القارئ بالعودة إلى مقدمته لمعرفة المراد من مفردة ما، فيه تشتيت للذهن وبتر للمعاني. فكان الأولى أن لا يستغني عن البيان في موضعه من الآية، ويبقى ما في المقدمة لمن أراد التوسع في معنى المفردة.

وقد نافت المقدمتان مع خطبة الكتاب على خمسين صفحة من القطع المتوسط، استطاع المصنف أن يضيف شيئاً جديداً إلى هذا الفن، وأن يعالج المسائل المطروقة برؤية جادة، ونظرة فاحصة، فالمصنف لم يكن تبعاً في الذي أورده، بل تجده معتداً بنفسه، يقدم رأيه بوضوح وثبات.

ومع ما جاء فيها من الآراء والمناقشات فإن تأثيرها لم يظهر في المتأخرين، حتى أولئك الجماعين في علوم القرآن، فأصحاب المصنفات لم يعتمدوه مرجعاً لهم، ولا تطرقوا لآراء المصنف، ولعل ذلك يعود إلى عدم شهرة الكتاب، فإن السيوطي فارس هذا الشأن لم يذكر ابن جزي في إتقانه، ولا ذكره في كتابه الذي خصه لذكر المفسرين (طبقات المفسرين)، ولهذا استدركه تلميذه الداودي، فأورد له ترجمة مختصرة في طبقاته.

وحين طبع الكتاب، وانتشر في العهد الأخير، وتناقله طلبة العلم، وجدنا اسم ابن جزي يتردد على صفحات المؤلفات المختصة في الدراسات القرآنية، كما وجدنا لآرائه صداً طيباً، سواء في علوم القرآن خاصة أو في التفسير عامة، حتى خُصَّ بدراسة مستفيضة أظهرت كثيراً من الجوانب

الشخصية والعلمية المتفوقة في حياة ابن جزي.

وقد طبعت المقدمة مع الأصل عدة طبعات نذكر منها:

١) دار الكتب الحديثة - مصر ١٩٧٣م، بتحقيق الأساتذين: محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض - وهي الطبعة التي اعتمدتها في هذه الدراسة. وهي في أربعة مجلدات.

٢) المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٥٥هـ الطبعة الأولى، وكانت هي المرة الأولى التي يطبع فيها التفسير، أربعة أجزاء في مجلد واحد.

٣) دار الكتاب العربي، لبنان ١٣٩٣هـ وهي مصورة عن سابقتها.

٤) دار الكتاب العربي، لبنان ١٤٠٣ه، أربعة أجزاء في مجلد واحد.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

أثنى المصنف على اللّه منزل الكتاب الحاوي للعلوم النافعة، والبراهين القاطعة على كونه المعجزة الباقية، وشكره تعالى على ما خصه به من الخصائص العلية، وثنى الشكر له سبحانه بإرساله خير رسول بلّغ ما أنزل إليه من ربه، حتى أقام الحجة، وأظهر الحق وفصّل الخطاب، ثم تحدث عن شرف علم القرآن، تعلُّمه وتعليمه، وشكر المسدي على ما وجهه إليه من الشغل بخدمة كتابه، حتى عرف المصنفات في بيان معانيه، واختلاف المصنفين في النهج الذي ساروا عليه، والمنحى الذي سلكوه، والمذهب الذي ارتضوه، وكلاً وعد اللّه الحسنى، وبين أنه رغب في سلوك طريقهم،

والانخراط في مساق فريقهم، ليظهر ما يريد بيانه مما حواه صدره، واستقر عليه رأيه، فشرع في هذا التفسير الذي قصد منه جمع كثير من العلم في كتاب صغير تسهيلاً وتقريباً، بعبارة مختصرة، بعد التمحيص والتدقيق، وحذف فضول القول والتطويل، وإضافة ما جادت به القريحة من الفوائد والنكت مما هو من بنات الصدر وينابيع الذكر، ثم عدم الإغفال عن إيضاح المشكلات وحلّ المقفلات ورفع الاحتمالات، وأخيراً التحقيق في الأقوال بطرح السقيم وتمييز الراجح القويم.

عقب ذلك شرع المصنف في بيان المنهج الذي سلكه في تصنيفه، وبين أنه قدم بين يدي تفسيره مقدمتين نافعتين، ليطلب من اللّه جعل عمله هذا خالصاً مبروراً، وليبدأ بأولى المقدمات التي جعلها في اثني عشر باباً.

**المقدمة الأولى:** وفيها اثنا عشر باباً.

هذا في الجملة وإلا فقد تعرض فيها لأكثر من عشرين موضوعاً، وأثبت ما يراه من القول دون أن يوغل في مناقشة الأراء أو يكثر من الأدلة.

وقد سودت المقدمة بأبوابها أكثر من عشرين صفحة، وكانت أولى الموضوعات المطروحة هو نزول القرآن.

**الباب الأول: نزول القرآن على رسول اللّه ﷺ:**

تحت هذه التسمية تعرض المصنف لأكثر من موضوع، فذكر أولاً مدة نزول الوحي على الرسول ﷺ في كلٍّ من مكة والمدينة، وسنّه ﷺ وقتئذٍ،

كما ذكر الاختلاف في أول القرآن وآخره نزولاً، فذكر الأقوال المروية في ذلك، ورجح كون صدر سورة العلق هو أول ما نزل، وسورة النصر آخر القرآن نزولاً، وتعرض لجمع القرآن فذكر قصة الجمع بعد وفات الرسول ﷺ، إلى جمع عثمان - رضي الله عنه - للمصاحف، ومصير المصاحف السابقة بعد هذا الجمع، وأكد أن ترتيب السور في المصحف العثماني إنما هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا المصاحف، واستبعد كونها توقيفية مكتفياً بقوله: وذلك - أي القول بتوقيفيتها - تردُّه الآثار الواردة في ذلك.

ثم ذكر نقط المصحف وشكله ووضع الأعشار، وأول من فعله، والأقوال في ذلك. كما تعرض لأسماء القرآن وحصرها في أربعة أسماء جاعلاً البقية صفات، وذكر أصول تلك الأسماء واشتقاقاتها،كما وضح معنى السورة والآية.

## الباب الثاني: في السورة المكية والمدنية:

ضمَّن المصنف هذا الباب خلاصة القول، وما يتعلق بالمكي والمدني، فعرَّف المكي ثم المدني، والمراد من هذا الاصطلاح، ثم ذكر أنَّ السور بهذا الاعتبار تنقسم أقساماً ثلاثة، مدنية، باتفاق، وهي اثنتان وعشرون سورة، ومختلف في مكيتها ومدنيتها، وهي ثلاث عشرة سورة وسماها، والبقية مكية باتفاق.

وأومأ إلى وقوع آيات مكية في سورة مدنية وكذا العكس، وهي قليلة مختلف فيها.

كما تعرض لذكر بعض خصائص وضوابط السور المكية والمدنية.

**الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنت القرآن:**

هذا الباب خير شاهد على ما امتاز به المصنف من حسن العرض والتقسيم المقربان للفكرة، فلكي يبين العلوم التي تضمنها القرآن، أوضح أولاً أن المقصود الأعظم بالقرآن هو دعوة الخلق إلى عبادة اللّه، وذلك من خلال أمرين:

**أولاهما: بيان العبادة التي هي العقائد والأحكام.**

**وثانيهما: البواعث الموصلة للعبادة. وهي الترغيب والترهيب.**

هذا في الجملة، أما العلوم المتضمنة على التفصيل فهي على ما بينه المصنف سبعة علوم، **علم الربوبية** المثبِت لوجود الباري والاستدلال عليه بمخلوقاته، والتعريف بصفاته والتنزيه عما لا يليق به.

**علم النبوة**، المثبِت لنبوة الأنبياء - عليهم السلام - وكتبهم ولزوم الإيمان بهم.

**علم المعاد**، بإقامة البراهين على إثبات الحشر والدار الآخرة والحساب ونحو ذلك.

**علم الأحكام** بأنواعها، من واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح، ومتعلقاتها كالتي تتعلق بالأبدان أو الأقوال أو غير ذلك.

**علم الوعد والوعيد** المذكورين مقرونين في القرآن ليتبين أحدهما بالآخر.

**علم القصص**، وهي ذِكر الأخبار السابقة للعظة والعبرة، وغيرها من الفوائد، كما ذكر حكمة تكرار القصص في القرآن، وخاصة تلك التي جرت للأنبياء عليهم السلام.

**الباب الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن:**

وهي العلوم التي يحتاجها المفسر ليقدم على التكلم في تفسير كلام اللّه، وقد أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر علماً[1] اقتصر المصنف على اثني عشر علماً.

وهي: **التفسير**، وهو العلم المقصود بذاته، **والقراءات**، **والأحكام**، والنسخ، والحديث، **والقصص**، **والتصوف**، **وأصول الدين**، **وأصول الفقه**، **واللغة**، **والنحو**، **والبيان**، وهي أدوات تعين على التفسير أو تتعلق به أو تتفرع منه.

وأوجز القول في توضيح كل فن من تلك الفنون، وبين معنى **التفسير** وأنواعه والفرق بينه وبين التأويل، والخلاف في ذلك، وصوب كون **التفسير**

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ١٢٠٩، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي: ٣/ ٩٧٩، تحقيق مصلح السامدي.

هو الشرح، **والتأويل** هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك، ويخرَّج على ظاهره.

انتقل عقب ذلك **للعلم الثاني وهو القراءات**، فبين منزلتها وأقسامها، وتعريف كل قسم، ثم ذكر أنه اعتمد في تفسيره على قراءة نافع لكونها القراءة المستعملة في الأندلس والمغرب، ولكونها قراءة أهل المدينة، وأنه يذكر من سائر القراءات ما فيه فائدة، من غير أن يلتزم هذا النهج دائماً خشية الإطالة، واكتفاءً بالمصنفات المتخصصة.

وفي **علم الأحكام** أشار إلى أن من العلماء من أوصل آيات الأحكام إلى خمسمائة آية، ثم ذكر بعض المصنفات في هذا الفن.

**وفي الفن الرابع وهو النسخ**، بين أن النسخ يختص الأحكام دون الأخبار، وأن أناساً قد صنّفوا فيه، كما أشار إلى أنه خص النسخ بحديث مستقل في مقدمته تحدث فيها عن قواعد النسخ.

**والفن الخامس هو الحديث**، ذكر ابن جزي أن المفسر يحتاج هذا الفن لأمرين وبينهما، ثم انتقل بعدها **لذكر القصص**، وأوضح أن الضروري منها ما يعتمد عليه التفسير، وما عدا ذلك زائد مستغنى عنه، كما عاب على المفسرين الذين أكثروا من ذكر القصص حتى ذكروا قصصاً لا يجوز ذكرها بأية حال.

أعقب ذلك الحديث عن فن التصوف، ومدى تعلقه بالقرآن، ثم بين أن من القوم من تكلم في التفسير فكان منهم المحسن المجيد الذي وصل بنور

البصيرة إلى دقائق المعاني، والمسيء المتوغل في الباطنية الذي حمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة، وذكر أن واحداً من القوم وهو السلمي قد جمع في تفسيره الغث والسمين من كلام القوم، فخلط بين الحق والباطل، ثم ختم الحديث بذكر بعض ما أسماه مقامات التصوف كالشكر والتوبة والتقوى...إلخ.

وما ذكره المصنف من حاجة المفسر إلى هذا الفن بعيد متكلَّف فيه، فقد أقحمه المصنف في هذا الموضع إقحاماً، فكم من عَلَمٍ كان مرجعاً في التفسير وهو أبعد الناس عن رموز الصوفية وتأويلاتهم وبدعهم، وكم من صوفي أبعد في القول ونأى بالتفسير عن أصله، وحمّل المعاني ما لا يطاق.

انتقل المصنف بعد هذا **لأصول الدين** فذكر أن تعلقه بالقرآن من طرفين، إثبات العقائد بإقامة البراهين، والرد على أصناف الكفار، والثاني تعلق الطوائف المختلفة من المسلمين بالقرآن، والاحتجاج لمذاهبها.

ثم ذكر **أصول الفقه** فبين أنه من الأدوات التي تعين على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وهي فنون كثيرة كالظاهر والمجمل والمبين والعام والخاص وغير ذلك.

وختم بعلم اللغة والنحو والبيان، وهي علوم لا غنى لمفسر عنها، ولهذا خصها بمقدمات مستقلة.

## الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها أقوالهم

ذكر من أسباب الخلاف اثني عشر سبباً، عرضها إجمالاً، وبين أن وجوه الترجيح مثل ذلك العدد، وسردها هي الأخرى إجمالاً.

## الباب السادس: في ذكر المفسرين

جعل المصنف بيان حال السلف في التفسير والتكلم في القرآن مدخلاً لهذا الباب، فذكر أولاً أن الأكثرين أجازوا تفسير القرآن، وأن ثلة توقفوا عن الكلام احتياطاً، مستدلين بالآثار الواردة والتي ظاهرها النهي عن ذلك، وذكر أثرين صح نقلهما، مع بيان تأويلهما عند المجيزين.

ثم انتقل للحديث عن طبقات المفسرين، من لدن الصحابة إلى عصره، وذكر من الصحابة من اشتهر بالتفسير كابن عباس، وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وغيرهم، ومن طبقة التابعين عدداً من الأعلام كالحسن البصري وسعيد بن جبير ومجاهد وعلقمة وغيرهم.

ثم بين أن عدولاً حملوا التفسير من بعدهم، وأن أناساً انكبُّوا على التأليف في هذا الفن كعبد الرزاق والبخاري وابن جرير الذي جمع أقوال المفسرين، وتبعهم غيرهم من المشرق ومن المغرب، وذكر عدداً من التفاسير المتأخرة وما امتاز به كل تفسير منها.

## الباب السابع: في الناسخ والمنسوخ:

عرّف ابن جزي النسخ في اللغة وفي اصطلاح الشرع، وبيّن أوجه النسخ التي وقع في القرآن، فذكر نسخ اللفظ والمعنى، واللفظ دون المعنى، والمعنى دون اللفظ، وبين أن الأخير هو الكثير، واستشهد لكل وجه بمثال، كما بين أن العلماء أدخلوا في النسخ ما ليس بنسخ كالتخصيص والتقييد والاسثناء وغيرها من الذي بينها وبين النسخ فروق ظاهرة.

وأرجأ الحديث على مثل هذه المواضع إلى حينه، وضرب مثلاً واحداً وهو نسخ مسالمة الكفار، والعفو عنهم، والصبر على آذاهم، بالأمر بقتالهم.

## الباب الثامن: في جوامع القراءة:

ذكر المصنف في هذا الباب أنواع القراءة المشهورة منها والشاذة، وشروط القراءة الصحيحة، ثم بين أن اختلاف القراء هو على نوعين، أصول وفرش، وتحدث عن كل نوع، وختم الباب ببيان القواعد التي يرجع إليها عند الاختلاف في الأصول.

## الباب التاسع: في الوقف:

وهو الباب الذي سبق أن أشرت إليه وقلت أن المصنف هو أول من خص الوقف بباب مستقل في المقدمة، ذكر المصنف في هذا الباب أنواع الوقف، التام والحسن والكاف والقبيح، وعرَّف كل نوع، وختم الباب بتنبيه

أشار فيه إلى أن الوقف بمراعاة الإعراب والمعنى جائز استقر عليه العمل، وأخذ به القراء، وأن الأوائل كانوا يراعون الوقوف على رؤوس الآي لحديث أم سلمة وهي تنعت قراءة النبي ﷺ للفاتحة آية آية، يقطع قراءته يقول: «الحمد للّه رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف» (١).

## الباب العاشر: في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان:

للفصاحة خمسة شروط، أوردها المصنف في هذا الباب بعبارة موجزة، أتبع ذلك تعريف البلاغة، ليختم الباب بتعريف البيان وأدواته، فذكر أنه وجد في القرآن اثنان وعشرون نوعاً، ذكرها وبين معناها كالمجاز والكناية والالتفات والتجديد وغير ذلك.

## الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند اللّه عز وجل:

قدم المصنف في هذا الباب عشرة أوجه تثبت إعجاز القرآن، وتقيم الدليل والبرهان على أنه من الباري جل جلاله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٦/ ٣٠٢، وأبو داود في السنن: (ح٤٠٠١-٤/ ٣٧)، والحاكم في المستدرك: ١/ ٢٣٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

## الباب الثاني عشر: في فضل القرآن:

اقتصر المصنف في هذا الباب على إيراد جملة من الأحاديث والآثار الصحيحة التي تبين فضل قارئ القرآن، وما أعده اللّه له من الأجر والرضوان، وما يلزم القارئ من الحرص على الاستذكار خشية التفصي والنسيان، كما أورد مختارات من الآثار التي تبين فضل بعض السور والآيات. وكان هذا الباب هو خاتمة المقدمة الأولى.

## المقدمة الثانية: في تفسير معاني اللغات

افتتح المصنف هذه المقدمة بقوله (نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دورها في القرآن الكريم، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف).

وذكر أنه إنما شرع في هذا الصنيع لأمور ثلاثة:

١) أنها أيسر للحفظ.

٢) ليكون الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير.

٣) الاقتصار، فيستغنى بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها.

وبين أنه رتّب الكلمات ترتيب المعجم معتمداً فاء الكلمة، دون اعتبار للحروف الزائدة، ابتدأ بالهمزة وبمفردة (آية) فـ(أتـى) فـ(أبى).. وهكـذا، يذكر بعد كل مفردة المعاني التي وردت بها، دون أن يغفل عن ذكر

اشتقاقات الكلمة عند الحاجة لبيان ذلك.

وقد أخلّ المصنف بترتيب بعض الكلمات، كما فاته بعض المفردات[١].

وقد استغرقت المقدمة نحواً من خمس وعشرين صفحة.

**رابعاً: منهج ابن جُزي في مقدمته:**

السمة البارزة لمنهج ابن جزي هي **الإيجاز والاختصار، والتنقيح وحذف فضول القول**، وهو ما صرح به في الخطبة التي قدمها بين يدي مقدماته حين قال: جعلته وجيزاً جامعاً. وحين قال: إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار وترك التطويل والتكرار[٢].

فقد لخص المصنف الأقوال ونقَّح الفصول، وحذف الحشو والفضول، وذكر اللبَّ دون القشور، بعبارة موجزة من غير إفراط ولا تفريط. وهو نهج التزمه المصنف في مقدمته كلها، فهو يُجمل الحديث في أية مسألة تطرق لها، ويورد الأقوال والآراء بعبارة موجزة، وإن ذكر دليلاً لرأي فهو يعرضه بإيجاز دون أن يعزوه لمصدر.

ومن نهجه أيضاً **عدم نسبة الأقوال إلى قائليها إلا قليلاً**، وتعليل ذلك

---

(١) انظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير: ٢/ ٦٣٥.

(٢) انظر: المقدمة: ١/ ٤-٥.

عند المصنف أن درجة الإسناد لا تصح إلا قليلاً، أو هو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم، وهو الآخر نهج التزمه المصنف في مقدمته.

وما ذكره من التعليل قاصر لا يرتقي لأن يكون حجة في ترك نسبة الأقوال لقائليها، ولا مبرراً في عدم إسناد الفضل لأهله، فإن من المعروف أن من بركة العلم إضافة الأقوال إلى قائليها كما ذكر القرطبي المفسر[(١)]، وإن للتصريح باسم القائل فوائد لا تخفى على مثل المصنف، وهو القائل: فإن صرحت باسم القائل فلأحد أمرين: إما للخروج عن عهدته، وإما لنصرته إن كان قائله ممن يقتدى بهم[(٢)]، فكان ينبغي له - يرحمه اللّه - عدم إغفال هذا الجانب.

والسمة الثالثة لنهج ابن جزي هو أنه إن ذكر شيئاً من الأقوال دون حكاية قوله عن أحد - وهو الغالب الكثير - فذاك إشارة إلى أنه يتقلده ويرتضيه، سواء من تلقاء نفسه، أو مما اختاره من كلام غيره[(٣)].

وأخيراً فإن المصنف قد تعهد بعدم إيراد الأقوال الساقطة والضعيفة تنزيهاً للكتاب عن مثلها، والتزاماً بحذف الحشو والفضول، فإن ذكر شيئاً فهو للتحذير منه والترغيب عنه.

---

(١) ينظر مقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ٣.

(٢) انظر: المقدمة: ١/ ٤.

(٣) انظر: المقدمة: ١/ ٥.

تلك هي أبرز سمات منهج ابن جزي في تفسيره بصورة عامة، وفي مقدمته بصورة خاصة.

ويحسن بي أن أشير هنا أن المصنف يُجمل في عرض الموضوعات في أحايين كثيرة ثم يعقب ذلك بالبسط والتفصيل مع التزام الإيجاز وحذف الفضول، كما أنه يذكر الأقوال - في أحايين كثيرة أيضاً - دون أدلتها، وإن ذكر الدليل اكتفى بذكر الصحابي دون من خرّجه من الأئمة، ودون عزوه لمصدر معين إلا نادراً، مكتفياً بما ألزم نفسه من الاقتصار على ذكر الصحيح دون السقيم، وهو يكتفي بسرد الأثر دون أن يعقب بشرح الغامض من المعنى أو الغريب من اللفظ(١).

وقد كان لابن جزي نهج خاص في **مقدمته الثانية** التي خصها في **تفسير معاني اللغات**، ويتلخص ذلك في الآتي:

١) الاقتصار على الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف.

٢) ترتيب الكلمات حسب حروف المعجم باعتبار الكلمة دون الحرف الزائد.

فهو يذكر المفردة ثم يذكر معانيها، فيقول: لها معنيان. أو ثلاثة معان،

---

(١) انظر المقدمة: ١/٧، ولمزيد من الأمثلة ينظر الصفحات: ١/٦-١١-١٥-١٩-٢٠-٢٤.

أو خمسة معان، وهكذا.

وإن كان في بيان اشتقاقات المفردة فائدة مرجوة بيَّنها، وقد يبيِّن ما يتعلق بالمفردة من النواحي الإعرابية[(١)]. والأمثلة كثيرة.

**خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

لم يترك ابن جزي للقارئ في تفسيره أن يحدد ملامح منهجه، فقد أفاض هو في توضيح ذلك وبينه غاية البيان، وقد سبق أن تحدثت عن منهجه في مقدمته، وهو قريب من منهجه في تفسيره، ولهذا سأكتفي هنا ببيان مدى التزام المصنف بأصول منهجه الذي وضعه لكتابه:

**وأول هذه الأصول** أنه جعل تفسيره وجيزاً جامعاً للأقوال، تاركاً التطويل والتكرار، قصد منه جمع كثير من العلم في كتاب صغير. وقد التزم المصنف هذا الأصل عدا التطويل والإطناب في بعض المواضع[(٢)]، وإلا فقد حاول ابن جزي جمع الأقوال وإيرادها بعبارة مختصرة، تاركاً التطويل الذي سلكه جماعة من المفسرين[(٣)].

وثاني هذه الأصول: أنه أضاف أموراً جديدة إلى التفسير من بنات

(١) انظر المقدمة: ١/ ٢٦.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١١٢-٣/ ٣٧٦-٣٩٩-٤/ ٣٨.

(٣) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٩٩-١٨٣-٢٠٨-٢٥٣.

فكره وينابيع ذكره، ومما أخذه من شيوخه أو التقطه من مستطرفات النوادر. وهو أمر يجده القارئ في تفسيره، وإن كان المصنف لا يصرح بذلك أثناء التفسير، بل يجد القارئ أن التفسير قد حوى جملة من النكت والنوادر والفوائد[١].

وثالثها: **إيضاح المشكلات** من الألفاظ والمعاني بعبارة حسنة ترفع الاحتمالات. وهذا مما التزمه المصنف، وهو واضح جلي للقارئ[٢].

**أما الرابع من هذه الأصول** فتحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، مع استبعاد الأقوال الساقطة إلا على سبيل التحذير منها. وهذا الأصل قد التزمه المصنف أيضاً إلى درجة كبيرة، فالمصنف له شخصيته الواضحة حيال تلك الأقوال، ومن ذلك أن له وقفات محمودة حيال القصص الإسرائيلي، فقد انتقد المصنف بشدة أولئك الذين أكثروا من ذكر الإسرائيليات، وحشدوا القصص في تفاسيرهم، ونبه إلى أنهم قد ذكروا ما لا يجوز ذكره[٣].

**سادساً: مصادر المصنف في مقدمته:**

لا يستطيع المرء أن يحدد مصدراً للمصنف طالما صرَّح بأنه لن يذكر

---

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٥٥-٧٠-٧٥-٢/ ٢٧٥-٣/ ١٢٣-٢٦٧.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١٥٨-٢/ ٦٣-٣٢٣-٣/ ١٢٤-٤/ ١٣٠-١٣٦.

(٣) ينظر: ١/ ٧٧-٢/ ١٠٣-١٦٨-٣/ ٦١-٢٦٨-٣٨٠-٤/ ٢٨٩-٣١٢.

المصدر الذي استقى منه المعلومة، كما أنه لن ينسب القول إلى قائله، ولهذا لم أقف في مقدمته على اسم عَلَمٍ نسب المصنف إليه قولاً، أو عنوان كتاب صرَّح بالعزو إليه، عدا الترمذي فقد عزا إليه حديثاً واحداً في باب الوقف، ليؤكد أن السلف كانوا يقفون على رؤوس الآي قال: ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته يقول: « الحمد للّه رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف»[1].

### سابعاً: أهم مزايا المقدمة:

يعد الإيجاز وحذف فضول القول أظهر ميزة لمقدمة ابن جزي، فقد استطاع المصنف أن يقدم المعنى الكثير في عبارات قليلة، بأسلوب سهل ممتع، لا يمل القارئ من متابعته ولا يسأم من قراءته، كما امتازت هذه المقدمة بالآتي:

١) أن المصنف اختار موضوعاته التي قدمها بين يدي تفسيره من أهم الموضوعات التي لا يستغني عنها عالم أو متعلم، واستطاع أن يقدم من خلالها فوائد جليلة، دون أن يتيه القارئ فيجعله في خضم المناقشات.

٢) حسن السبر والتقسيم، الذي أظهر إلمام المصنف بعلوم القرآن،

---

(١) انظر المقدمة: ١/ ٢٤، وقد سبق تخريج الحديث.

وقد ظهر ذلك جلياً في طرحه لعدة موضوعات تشترك في الناحية الموضوعية تحت مسمًّى واحد، فتحت مسمًّى نزول القرآن تعرض المصنف لأكثر من ثمانية موضوعات، لها جميعها ارتباط واضح بموضوع الباب.

٣) عدم الإطالة في ذكر الأقوال، والحرص على ذكر الأقوال المفيدة والوجيه، واجتناب الإطالة في ذكر الخلافيات.

٤) وضوح المنهج الذي سلكه المصنف والتزامه التام بما ألزم به نفسه في خطبة الكتاب، سواء في المنهج أو في ذكر المصادر ونسبة الأقوال.

٥) ذكره للمقدمة الثانية، تلك التي خصها لتفسير معاني اللغات، والتي عرض فيها الكلمات التي كثر دورانها في القرآن، ووردت في أكثر من موضعين. وإن كنت أرى أن موضع بسط هذا الباب ليس هنا بين يدي المفسر، بل اللازم إفراده بتأليف مستقل، كما فعل غيره من الذين صنَّفوا في الوجوه والأشباه والنظائر.

٦) قد جرت عادة المفسرين أن يذكروا في هذا الموضع - أقصد المقدمة- الفنون الهامة التي لها تعلق بالتفسير، أو تلك التي تخدم المفسر. وإن كان ما فعله المصنف قد جاء رائقاً لبعضهم حتى اعتبروه ميزة انفرد بها ابن جُزَي.

**ثامناً: أظهر المآخذ:**

١) عدم نسبة الأقوال إلى قائليها، وعدم عزو النصوص إلى مورديها،

وإغفال المصنف للمصادر التي استقى منها مادة مقدمته العلمية.

٢) الاختصار الشديد في بعض المواضع، وعدم عرض الآراء المخالفة أحياناً، وعدم الردّ على بعض الآراء الوجيهة، وقد ظهر هذا جلياً في موضوع جمع المصحف، وحكم ترتيب السور والآيات، كما ظهر الاختصار في موضوع التفسير بالرأي.

٣) إغفال المصنف لبعض الموضوعات الهامة كالأحرف السبعة، وكموضوع وجود ألفاظ غير عربية في القرآن. وغيرها، وهي موضوعات في غاية من الأهمية لطالب علم التفسير.

تلك هي أظهر المآخذ التي رأيتها على مقدمة ابن جزي، فجزا اللّه المصنف خير الجزاءِ وأجزل له الثواب، وتقبل عمله بقبول حسن.

# ١١- لباب التأويل في معاني التنزيل

## لأبي حسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي البغدادي المعروف بالخازن المتوفى سنة ٧٤١هـ

### أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا التفسير هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي[١] البغدادي الشافعي الملقب بالخازن[٢] المولود سنة (٦٧٨ هـ) ببغداد.

نشأ في بغداد مسقط رأسه، وانكبّ على الدرس والمذاكرة على أيدي ثلة من أهل العلم هناك، فتلقى عنهم العلوم الأولية، ثم علوم الحديث على يد أبي عبد الله محمد بن عبد المحسن البغدادي المعروف بالدواليبي، ثم انشغل بعد ذلك في طلب الحديث وسماعه[٣].

وتذكر الأخبار أن الخازن حين تضلع من ينابيع العلم في بغداد قصد

---

(١) الشيحي نسبة إلى شيحة قرية من قرى حلب ينسب إليها بعض الأعيان، معجم البلدان لياقوت الحموي: ٣/ ٤٣٠.

(٢) لقب بالخازن لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق، الخانقاه (دار الصوفية) انظر: منادمة الأطلال لبدران: ٢/ ٢١.

(٣) انظر شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٦/ ١٣١.

الشام موطن الأهل، فدخلها وتسلم خزانة كتب السميساطية، وجلس بين تلك المصنفات، فوضع بذلك يده على كنز من المعارف، فكانت لمهنته بعد ذلك أثر واضح على توجهه وإنتاجه، حيث جمع وحدَّث وألف، وتنوعت مصنفاته لتشمل علوماً كثيرة وإن لم تنل تلك المؤلفات من الشهرة ما ناله تفسيره الذي أقبل عليه طلبة العلم إقبالاً منقطع النظير حين انتشر في الآفاق.

وقد كان الخازن - رحمه اللّه - إلى جانب اهتمامه بالعلم صالحاً فيه خير كثير، بشوش الوجه ذا تودد وسمت حسن[1].

شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ الخازن في بداية حياته العلمية على يد واحد من علماء بغداد، المدينة التي نشأ فيها وترعرع وهو: أبو عبد اللّه محمد بن عبد المحسن البغدادي المعروف بالدواليبي ت: (٧٢٨هـ)[2] ولم تذكر الأخبار غيره من شيوخه في بغداد، ولما انتقل إلى دمشق تلقى العلم عن شيوخ السميساطية ومنهم: أبو القاسم بن المظفر، كما أخذ عن الشيخة العابدة ست الوزراء

---

(١) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٨/ ١٧١، وشذرات الذهب لابن عماد: ٦/ ١٣١.

(٢) هو محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن البغدادي، الحنبلي، أحد من انتهى إليه علو الإسناد ببغداد، عُرف عنه كثرة العبادة والتلاوة، توفي(٧٢٨هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٢٨- وشذرات الذهب لابن عماد: ٦/ ٨٨.

بنت عمر بن أسعد التنوخية ت: (٧١٦ هـ)(١).

وقد ضنت المصنفات بذكر آخرين تلقى الخازن عنهم العلم. ولا شك أنهم كثر فمصنفات الخازن تدل على تنوع اهتماماته كما تدل على تعدد شيوخه(٢).

**أما تلامذة الخازن** فلم نقف على ذكر لأحدهم في تلك المصنفات التي ترجمت للخازن، وهي ظاهرة تكررت لعدد من العلماء البارزين، وقد سبق ما ذكرناه عن القرطبي - رحمه الله - وغالب الظن أن حالة القرطبي مختلفة عن الخازن، فالأول ربما كان لمواقفه الشجاعة وتصديه للفرق الضالة، أما الخازن فإنني أرى أن مهنته ربما صرفت الناس عنه وصرفته عنهم، فالعاملون في المكتبات وبين الكتب يزداد نهمهم للعلم، ويتجدد باستمرار، ويجدون أنفسهم في شوق دائم للمزيد من المعلومات،كما يغلب على مؤلفاتهم طابع الجمع والاختصار والشرح، فلا يجدون الوقت الكافي للاختلاط بالناس وتقديم ما لديهم إذ يفضلون تقديم العلم مكتوباً، وهذا أمر ملاحظ حتى في عصرنا الحالي، هذا وإن كنا نظن أن عدداً من الذين تتلمذوا في السميساطية فترة وجود الخازن لا بد أن يكونوا قد وردوا من

---

(١) هي ست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية الحنبلية ، كانت طويلة الروح على سماع الحديث، وهي آخر من حدث بالمسند بالسماع عالياً، توفيت (٧١٦هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٢/ ١٢٩- وشذرات الذهب لابن عماد: ٦/ ٤٠.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ١٤١، و١٤/ ١٠٨، والعبر للذهبي: ٤/ ٤٤.

مورده، وتتلمذوا على يديه، على أقل تقدير أولئك الذين كانوا على اتصال مستمر بالخانقاه وخازنها، فلا بد وأنهم اكتشفوا أن الذي يتعاملون معه رجل من أهل العلم، وهو أيضاً أمر مشاهد في عصرنا الحالي وإن كان على نطاق ضيق، والله أعلم.

**مؤلفاته:**

يسرت مهنة الخازن له الاطلاع على كثير من أمهات الكتب التي حوتها خزانة السميساطية - كما ذكرت قبل قليل - ولا غرو بعد هذا أن تتعدد اهتمامات الخازن العلمية وتتنوع تآليفه، وقبل ذكر مؤلفات الخازن أود الإشارة إلى أن طابع الجمع والنقل هي السمة البارزة لمؤلفات الخازن، فلم يصرف اهتمامه إلى تقديم موضوع جديد يؤسس بنيانه بنفسه، بل اعتمد على من سبقه، على أن المنْصِف لا يجرد الخازن من آراء جديدة أو مختارة على أضعف تقدير، يجدها بين ثنايا كتبه.

**ومن مؤلفات الخازن:**

١) لباب التأويل في معاني التنزيل، وهو تفسيره الذي اشتهر باسم تفسير الخازن.

٢) شرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني.

٣) الروض والحدائق في تهذيب سيرة خير الخلائق محمد المصطفى سيد أهل الصدق والوفاء.

٣) مقبول المنقول(١) في عشرة مجلدات، جمع فيه بين مسندي الشافعي وأحمد بن حنبل والكتب الستة والموطأ وسنن الدارمي، وقد رتبه على الأبواب.

**وفاته:**

توفي رحمه الله في آخر رجب أو مستهل شعبان سنة ٧٤١ هـ بمدينة حلب[٢] موطنه الأصلي، وقيل: توفي في دمشق[٣].

**ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:**

تفسيرالخازن من التفاسير المشهورة المتداولة بين عامة المسلمين، ومن

---

(١) انظر الدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ١٧١، والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: ١٨٠ - ط - دار البشائر.

(٢) انظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٦/ ١٣١، والدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ١٧١، وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٧.

(٣) انظر معجم المؤرخين الدمشقيين لرضا كحالة: ١٤٧، ط دار الكتب الجديدة.

وينظر للمزيد في ترجمته: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير- وتاريخ التفسير للقيسي: ١٢٦ - والتفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٣١١- والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: ٣/ ١٧١- وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٦/ ١٣١- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٤٢٦- ولباب التأويل في معاني التنزيل - مقدمة المحقق. - ومعجم البلدان لياقوت: ٣/ ٤٣٠ - ومعجم المؤرخين الدمشقيين: ١٤٧ - ومنادمة الأطلال ومسامرة الخيال لبدران ٢/ ١ ٢- ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٥٣٧؛ وغيرها من المصادر التي ترجمت لأمثال المؤلف.

أعظمها انتشاراً بين طلبة العلوم الشرعية في كثير من ديار الإسلام، وهوتفسير أثري ثري بالعلوم، جليل القدر، رصين العبارة، رمي بنعوت أساءت إليه كثيراً حتى كادت تصد الناس عن الرجوع إليه فضلاً عن التعويل عليه[١]، مما ألزمني الدقة في البحث فيه والتقصي عنه، لحاجة البحث إلى إصدار حكم سليم أولاً، ثم لإشباع نهمي العلمي ثانياً، إذ كيف يتعرض تفسير مثل هذا التفسير لآراء على طرفي نقيض،فاستعنت باللّه في قراءة نماذج منه،بدأتُ بالمقدمة، ولم أكد أنتهي منها حتى اعترفت للرجل بكثير مما كنت أستبعده عنه، وأدركت أنني أمام رجل راسخ القدم في المنقول والمعقول، جيد الاطلاع والمعرفة، مكثر من الرواية تبعاً لأصليه البغوي والثعلبي، مُعنى بتقرير الأحكام وأدلتها، صاحب قلم سيّال وأسلوب بياني رائع، أضاف إلى البغوي عناصر جديدة من المعارف المتصلة بتوضيح البحث. وأدخل عنصر النقد، فنقد تلك الروايات التي أوردها البغوي في تفسيره وتركها دون أن يبين ما عليها، فكرَّ الخازن على كثير منها وأسقطها بالحجة والدليل، وهو أمر يردُّ بعض ما رُمي به الخازن -رحمه اللّه -من بعض المتأخرين حين وصفوه بأن (ما فيه من دخيل القول والكذب على سول اللّه الكثير)[٢].

وأن خيرما يقال فيه على زعم القيسي أنه مجموعة من الأكاذيب لو

---

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٣١١.

(٢) تاريخ التفسير للقيسي: ١٢٦.

جرد الإنسان ما فيه من الأكاذيب الموضــوع علــى لســان رســول اللّـه ﷺ والأقاصيص الكاذبة التى وضعها اليهود كقصة بــابل والغرانيــق وإرم ذات العماد وغيرها،لكانت فــوق نصــف الكتــاب إلى أشياء أُخـر إن لم تضــر لم تنفع[١].

فالخازن - رحمه اللّه - مع إقرارنا بأنــه أورد - بــل أكـثر - مـن نقـل الأخبار التاريخية والقصص الإسرائيلي غـير أنـه ليـس بـأول رائـد أعجبتـه خضرة الدمن، ورأى فيها حسن ما ليس بالحسن، فهو تبع لغيره، وهــو أمـر لم يسلم منه حتى ابن جرير وابن كثير ولا غيرهما من المفسرين.

واذا كان وصفه بمجموعة من الأكاذيب هو خير ما يقال فيه فمــا هــو شر ما يقال فيه يا ترى؟! ثــم مـاذا يقـال في تفاسـير الباطنيـة الـتي عطلـت مفاهيم اللغة والشرع جميعاً[٢].

بل قد يمتاز الخازن عن غيره من المفسرين كما يقرر الزرقـــاني -رحمـه اللّه -أنه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غِرٌ ولا يفتن جاهل[٣]. وهو قول لا يسلَّم له بتمامه غير أنه إلى حــد مـا مطـابق للواقـع،

---

(١) المصدر السابق: ١٢٦.

(٢) انظر ما كتبه الأستاذ محمد بهجت البيطار في مجلـة المنهـل السـعودية - المجلـد السـابع - ربيع الثاني ١٣٦٦ هـ بعنوان: أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة ما لها وما عليها.

(٣) مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٥٣٧.

فللخازن مواقف سليمة أمام كثير من الروايات كما ذكرت - قبل قليل - غير أنه يمر أحياناً على بعض تلك القصص دون أن يكرَّ عليها، ولعل من الإنصاف أن نقول:

إن الذي جعل هذه التهمة تشاع حول تفسير الخازن ليشتد أوارها عند أمثال القيسي من المتأخرين هو نتيجة لأحد ثلاثة أمور، أو هي نتيجة لها جميعاً وهي:

١) أن التفسير قد حوى حقيقة بعض الإسرائيليات التي وقف الخازن منها موقف سَلَفَيه البغوي والثعلبي.. ويُعلل له من بعض المعجبين أن السير مع الشرع في حكاية الإسرائيليات المسكوت عنه أولى، «بلّغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل. البخاري مع الفتح: ٦/ ٤٩٦. ويرى الشيخ أحمد محمد شاكر- رحمه اللّه -أن مثل هذه الإسرائيليات - وإن جاز أن يتحدث بها - فإنه لايجوز أن تُذكر في مقام التفسير للقرآن الكريم، يقول: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه لا كذبه - شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام اللّه ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لقول اللّه سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا للّه ولكتابه من ذلك.. وأن رسول اللّه ﷺ -أذن بالتحدث عنهم - أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها=

٢) أن الأسلوب البياني لدى الخازن، وسيولة قلمه، وجميل عبارته،إضافة إلى طريقته في إيراد تلك الروايات، جعله وكأنه المتميز في هذا الجانب، مع أن واحداً من المشتغلين بتفسير الخازن - وهو الدكتور/ قاسم القثردي - تتبع ما أورده الخازن من الإسرائيليات في سورتي الفاتحة والبقرة فلم يجده زاد رواية واحدة على إمام المفسرين ابن جرير الطبري(١).

أضف إلى هذا ما عند الخازن من التصوف، والقوم عادة يكثرون من المواعظ والرقائق في كتبهم أو يعرضونها بعباره مشوقة وهو الثالث من الأسباب.

بقي أن أشير إلى أن لباب التأويل تفسير أثري يصنف مع مثيلاته من كتب المأثور، وأن حجة من صنفه ضمن تفاسير الرأي(٢) ربما لاهتمام الخازن بتقرير الأحكام الفقهية.

وقد استهل الخازن تفسيره بمقدمة جاءت في أربع عشرة صفحة من

---

=بكتاب اللّه، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان، اللّهم غفراً) رحم اللّه الشيخ المحقق، وأجزل له الأجر. انظر عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: ١/ ١٥.

(١) انظر لباب التأويل بتحقيق الأستاذ قاسم القثردي: ١/ ٣٢.

(٢) كما ذهب إليه الأستاذ محمد حسين الذهبي - رحمه اللّه - في التفسير والمفسرون: ١/ ٣١٠، وقد صنفه غيره مع مدرسة الأثر، انظر: محاضرات في علوم القرآن للأستاذ العتر: ١٥١.

القطع المتوسط[١]، تضمنت ثمان موضوعات هي:

**الأول:** فضل القرآن وتلاوته وتعليمه.

**الثاني:** وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم.

**الثالث:** وعيد من أوفى القرآن فنسيه ولم يتعاهده.

**الرابع:** جمع القرآن.

**الخامس:** ترتيب القرآن.

**السادس:** نزول القرآن على سبعة أحرف.

**السابع:** الحد والمطلع.

**الثامن:** معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.

أوردها تحت ثلاثة فصول رئيسة، أسبق تلك الفصول تقديماً بيَّـنَ فيه منهجه وطريقته في التأليف.

وقارئ المقدمة بفصولها المتنوعة يجد أن الخازن قد انتخب في كل موضوع تناوله مجموعة من الآثار والروايات ليؤكد أن الدواعي إلى معرفة هذه الموضوعات والعلوم قوية،وأن الحاجة إليها ماسة لمن أراد الغوص في

---

(١) من النسخة المعتمدة في هذا البحث وهي طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢ عام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥م.

دراسة كتاب اللّه وفهمه على الوجه الصحيح.

هذا وقد اختصر الخازن فاصطلح رموزاً لمخرجي الروايات والآثار، فرمز للبخاري مثلاً بحرف (خ) ولمسلم (م) ولما اتفقا عليه (ق)، وهكذا لبقية الأئمة.يذكر الرمز قبل الرواية والأثر، وقد يؤخره وفي هذه الحالة يصرح باسمه فيقول: أخرجه الترمذي؛ مثلاً.

والخازن لا يقف من هذه الروايات موقف السارد، بل نراه يتدخل من حين لآخر كلما دعت الحاجة، فإن كان في أحد رجال السند مقال قاله، أو ضعف بيّنه ونقل حكم الأئمة عليه.

كما أنه يقف من الغوامض موقف المبين المفسر، يفسر الألفاظ الغامضة، ويبين غريب الحديث، ويشرح العبارة المستعصية ويوضحها، ولا تخلو مقدمته من فوائد انتقاها المصنف من أقوال أهل العلم، واستخلصها من ثنايا مصنفاتهم.

وقد طبعت المقدمة مع التفسير عدة طبعات نذكر منها:

١) طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٥هـ، تلتها طبعتان:

٢) طبعة المطبعة التجارية، مصر.

٣) طبعة دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ وبهامشه تفسير البغوي.

٤) المطبعة العامرة، بتركيا، الطبعة الأولى. وغيرها.

٥) طبع على الآلة الكاتبة، المقدمة وتفسير سورتي الفاتحة والبقره، بتحقيق الدكتور قاسم القثردي، رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

**ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:**

بعد أن أثنى المصنف على اللّه مُنزِّل الكتاب بما هو أهله، وحمده على تواتر نعمائه، وصلى على نبيه الأكرم الذي أرسل بالدين الحق، وأكمل اللّه به بنيان النبوة حيث أنزل عليه الكتاب المعجز الذي عجز الخلائق عن معارضته مع يسر تلاوته.

ذكر بعدها أغراض القرآن الكريم، وحث على لزوم تعلمه للعمل به، وبين أن ذلك لا يمكن إلا بتعلم علوم القرآن والتفسير، وأشار إلى أن اللّه جلت قدرته قد قيض لكتابه رجالاً موفقين، وبالحق ناطقين، ويسرهم للتصنيف في سائر علوم الدين وذكر منهم صاحب معالم التنزيل الحسن بن مسعود البغوى، الذي أعجب المصنف بتفسيره فحداه هذا الإعجاب إلى اختصار تفسيره، وإظهار محاسنه، مع إضافة ما رآه حسناً من كتب التفسير الأخرى من الفوائد والفرائد.

أتبع ذلك بيان منهجه وطريقته التي سار عليها مع تحليل المصطلحات التي كثر دورانها في متن الكتاب.

ولأنه قد يظن ظان أن عمل المصنف قد اقتصر على اختصار كتاب

سلفه ليس إلا، عمد رحمه اللّه إلى بيان جهده وعمله، والجديد الذي قدمه، وذلك حين ختم التقديم بذكر ما ينبغي أن لا يخلو منه أي كتاب سُبق مصنفه في موضوعه، في إشارة منه إلى استبعاد ذلك الظن من ذهن القارىء، والتأكيد على أن لديه ما هو جديد، وأنه قد أعمل الفكر فاستنبط ما كان معضلاً، وجمع المتفرق، وشرح الغامض وأحسن التبويب، وأسقط الحشو والتطويل، وسأل اللّه التوفيق والقبول، ثم قبل أن يشرع في التفسير قدم المقدمات الثلاثة واعتبرها فصولاً، وهي:

## الفصل الأول: في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه:

هذا باب واسع، يذكر المصنفون تحته آثاراً وروايات كثيرة، بل يفردونه بالتأليف لأهميته، غير أن الخازن لم يكن من أولئك، وكأنه رأى أن المقام ليس مقام ذلك، فذكر روايات بعدد انتقاها من بين تلك الآثار الكثيرة، وهي روايات مشهورة صحيحة تناولت فضل القرآن وفضل حامله وتعلمه وتعليمه، وتلاوته وقراءته، مع بيان الغامض من الألفاظ، وشرح الغريب منها، وتحليل العبارات وبيان المعنى المراد منها، والتعقيب على ما احتاج منها إلى تعقيب.

## الفصل الثاني: في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، ووعيد مَنْ أوفى القرآن فنسيه ولم يتعاهده:

الذي ذكره المصنف في هذا الفصل موضوعان مختلفان، يجمع بينهما الوعيد الوارد في حقهما وهوالأمر الذي ربما لأجله جمع المصنف بينهما في

حين نجد أن معظم من تناولهما قد فصل بينهما ولم يقرن،وقد نهج الخازن في عرضهما نهجه في الموضوع السابق، فاستهل الفصل بالمروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تبوأ النار لمن قال في القرآن برأيه بغير علم، وأورد عن أبي بكر الصديق ﷺ إحجامه عن تفسير كلام الله برأيه، ثم ذكر اختلاف العلماء في المراد من النهي عن القول في القرآن بالرأي، فذكر أن النهي وارد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه، وما هو تابع لهواه، بعلم،كاحتجاج الباطنية والخوارج ببعض الآيات على تصحيح بدعتهم وهم يعلمون أن المراد غير ذلك أو بغير علم، كتفسير الآية بغير ما تحتمله من الوجوه. وهما قسمان مذمومان داخلان في النهي،والوعيد الوارد هو في حقهما.

أما التأويل على المعنى الذي ورد في دعاء رسول الله ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما -: «اللّهم فَقّهه في الدين وعلمه التأويل»، فجائز.

بعد هذا انتقل المصنف إلى الحديث عن الشطر الآخر من عنوان الفصل وهو تعهد القرآن وعدم نسيانه، فأورد الآثار الواردة في الحث على تعهد كتاب الله وكثرة تلاوته وتكراره خشية نسيانه وتفلته، وفسر الألفاظ الغامضة، وشرح الغريب وبيّن الدلالة.

وختم الفصل بذكر بعض الآثار الواردة في موضوعات أخرى تتعلق بالقرآن الكريم ورد النهي عنها كما ورد النهي عن موضوعات الباب،

فأشار إلى عدم جواز السفر بالقرآن إلى ديار الكفر مخافة أن ينال بسوء، والنهي عن قراءة القرآن للكسب وكذا الجهر به.

## الفصل الثالث: في جمع القرآن، وترتيب النزول، وفي كونه نزل على سبعة أحرف:

كما يظهر لنا من العنوان فقد أدرج الخازن تحت هذا الفصل ثلاثة موضوعات في غاية من الأهمية، أطال الحديث عنها نسبياً، وإن كانت تحتاج منه إلى وقفات أطول وأعمق عند تلك النصوص المشكلة، وتحليل أدق للآثار الواردة التي كثرت الأقوال في جلّها وتباينت الاتجاهات بل بقيت إلى يومنا هذا لم نجد لأهل العلم اتفاقاً أو شبه اتفاق بخصوصها،وكلها تحتاج إلى القول الفصل.

بدأ المصنف بجمع القرآن فأورد الصحيح الثابت عن زيد بن ثابت ﷺ في تكليف خليفة رسول اللّه ﷺ بجمع القرآن من الرقاق والعُسب واللخاف وصدور الرجال، والصحيح الثابت عن أنس ﷺ في حث حذيفة بن اليمان عثمان بن عفان ﷺ على جمع الناس على مصحف واحد خشية الاختلاف في الكتاب، وبذلك أثبت المصنف ما يقرر الجمع ويجوزه.

بعدها شرع رحمه اللّه في شرح الغريب من ألفاظ الحديث،وما يتعلق به من بيان المعاني، ليبين عقب ذلك أن القرآن كان على هذا التأليف وعلى هذا الجمع زمن النبيﷺ، وأنه لم يترك أمراً جمعه حينذاك إلا لأمر هام هو خشية الاختلاف والاختلاط عند نسخ شيء من التلاوة،فإذا انقضى زمن

النسخ بدأ الجمع حيث وفق اللّه الخلفاء لذلك.

ثم إن سعي الصحابة كان لجمعه في موضع واحد لا لترتيبه، فالترتيب موقوف على رسول اللّه - ﷺ - بتوقيف من جبريل عليه السلام عن رب العزة والجلال

وتعرض لذكر نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة، ثم إنزاله مفرقا على الرسول - ﷺ - مدة الرسالة عند الحاجة، كما ذكر أن ترتيب النزول غير ترتيب المصحف والتلاوة.

ولكون ترتيب التلاوة بين أيدينا اقتصر رحمه اللّه على ذكر السور مرتبة حسب ترتيب النزول، المكي منها والمدني، مع الإشارة إلى ما اختلف فيه، هل هو مكي أم مدني، وأحال القارىء إلى تفصيل ذلك في مواضعها من الكتاب.

وهكذا أتم الخازن الحديث عن موضوعين من الموضوعات الثلاثة التي عنون لها الفصل.

ولأهمية الموضوع الثالث وهو الذي أشرت إلى اختلاف العلماء فيه إلى حد كبير، موضوع الأحرف السبعة ونزول القرآن على سبعة أوجه، حيث وصلت الأقوال فيه إلى أكثر من خمسة وثلاثين قولاً، فقد خص المصنف هذا الموضوع بحديث مستقل فقال:

فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك. وبدأ

الحديث بذكر ما اتفق عليه الشيخان من قصة عمر بن الخطاب _ ﷺ _ مع هشام بن حكيم، واختلافهما في قراءة سورة الفرقان، وما ترتب على ذلك من الاحتكام إلى رسول اللّه ﷺ وإقراره لقراءتهما.

وبعد أن شرح الألفاظ الغامضة من متن الرواية بين ما دلت عليه الواقعة من حرص الصحابة على حفظ كتاب اللّه، والاعتناء به،والذب عنه، وذكر اختلاف العلماء في الأحرف، وهل هي للحصر أم للتوسعة والتسهيل؟ وارتضى الرأي الأول ورجحه ثم بين أن الاختلاف واقع أيضاً في تحديد الأوجه السبعة، وذكر الأوجه منها في رأيه وهو سبع قراءات، دون أن يبين للقارىء أدلة معتبرة تؤيد ترجيحه، وقد كان ينبغي له بيان ذلك، خاصة إذا علمنا أن ما رجحه هو رأي مرجوح عند كثير من أهل العلم، حتى نقل عن بعضهم قوله: (هو جهل قبيح)[1]. فكان ينبغي على من تبنى مثل هذا الرأي أن يقدم أدلة معتبرة يعضد بها رأيه، ويرد على المخالفين ويفند حججهم. كما كان عليه أن يرد الأقوال الأخرى التي يراها الآخرون راجحة بأدلة دامغة، وبذلك يكون قد انتصر لاختياره، وهو ما لم يفعله عفا اللّه عنه، خلا ردود ضعيفة لا ترقى إلى مستوى أدلة المخالفين، ناهيك عن إبطالها.

وقبل أن يختم الفصل ذكر المزيد من الأدلة على نزول القرآن على

(١) نقل السيوطي في الإتقان عن الشرف المزني قوله: ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة، وهو جهل قبيح، الإتقان للسيوطي: ١/ ٥١.

سبعة أحرف، وكعادته شرح الغريب، ثم أوضح معنى الحد والمطلع، والظاهر والباطن الواردة في بعض الآثار، وكان الختام بيان معنى التفسير والتأويل، وهو الموضوع الذي درج عليه أغلب المفسرين إذ لا تكاد تجد تفسيراً إلا وبحث هذا الموضوع. ذكر معنى التفسير في اللغة وكذا معنى التأويل، والفرق بينهما ليقرر أن التفسير هو ما توقف على النقل المسموع، والتأويل ما توقف على الفهم الصحيح[1]. والله أعلم.

**رابعاً: منهج الخازن في مقدمته:**

عرض الخازن في مقدمته منهجه وطريقته في تفسيره بعبارة سهلة موجزة، كفى القارىء مؤنة البحث، وحدد معالم منهجه حين ذكر أنه لم يجعل لنفسه تصرفاً في الإضافة إلى الأصل - وهو كتاب البغوي- سوى النقل والانتخاب، مجتنباً حد التطويل والإسهاب، مجتهداً في تصحيح الآثار التي أخرجها من الكتب المعتبرة، مع حذف الأسانيد خشية الإطالة، واستبدال شرح غريب الحديث بها، بعبارة بليغة موجزة... مع الترتيب والتسهيل والتقريب.

هذا بالنسبة إلى تفسيره، ولكون المقدمة من التفسير لا شك أن المنهج فيها تبع للأصل، وأول ما يبدو لنا من منهجه في المقدمة، الفصول الثلاثة التي قدمها بين يدي تفسيره، وهي موضوعات تطرق البغوي إلى أصولها،

---

(١) حول التفسير والتأويل يراجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٥/ ٣٥.

وتحدث عنها حديثا عابراً، غير أن الخازن وضع الرحل عندها، فأجاد في العرض كما أجاد في السبر والتقسيم، وإن كان من حق هذه الموضوعات أن تفصل أكثر من تفصيله.

فما فصله البغوي أدمجه الخازن وضم بعضه إلى بعض، ورآه موضوعاً واحداً، حيث أفرد البغوي فضائل القرآن وتعليمه بفصل مستقل، وفضائل تلاوة قراءة القرآن، بفصل آخر. رآهما الخازن موضوعاً واحداً عرضهما وعنون لهما بـ(فضل القرآن وتلاوته وتعليمه).

وما أدمجه البغوي من الموضوعات رأى الخازن أن من حقها أن تفصل، ففصل بينها، وأفرد كل موضوع بعنوان مستقل، فقد ذكر البغوي فصلاً (في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم)، وأدرج تحت هذه التسمية معى التفسير والتأويل، وموضوع نزول القرآن على سبعة أحرف، وموضوع الحد والمطلع، وموضوع الظهر والبطن، إضافة إلى ما دل عليه عنوان الفصل، وهو الوعيد الوارد في حق من يقول في القرآن برأيه.

لم يفصل البغوي القول في تلك الموضوعات، بل عرج عليها مروراً ولم يقف عندها وقفة تأمل، وكان من حقها هي الأخرى أن تفصّل، وهو ما عمد الخازن- رحمه الله - الى عمله، فأضاف ما رآه مناسباً للمقام متوخياً الاختصار والدقة، فذكر فصلان:

**الأول:** في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، ووعيد من أوفى القرآن فنسيه ولم يتعاهده.

**الثاني**: في جمع القرآن وترتيب النزول وفي كونه نزل على سبعة أحرف:

ومع اعترافنا أن الخازن قد جمع في هذين الفصلين بين موضوعات كان من حقها الفصل وعرضها منفصلاً، إلا أنه كان أكثر توفيقاً من البغوي، وأجود عرضاً، وأكثر عمقاً، وأفضل ترتيباً، لقد أضاف رحمه اللّه إضافات كان من حقها الإضافة لأهميتها، كالحديث عن جمع القرآن وترتيب النزول.

وهكذا يلاحظ القارىء أن الخازن رحمه اللّه رأى أنه لا بد من إدخال عناصر جديدة لمقدمة سلفه ليكتمل العقد الذي أراده، فأدخل جملة من الفوائد التي لا يعدم الفطن الوقوف عليها، وعلى خدمتها للنص والموضوع.

وطريقة الخازن في الفصول الثلاثة من المقدمة مطردة لم تختل، يبدأ بذكر جملة من الآثار الواردة في موضوع الباب رامزاً إلى مخرج كل رواية في أوله، وقليلاً ما يؤخره فيصرح به عند الانتهاء من ذكرها[1]، ثم الصحابي الذي رواه، متبعاً ذلك ذكر زيادات في روايات أخرى تخدم الفكرة التي هو بصدد بيانها[2]، والتزاماً منه بمنهجه الذي تعهده، فإنه لا يتوانى عن شرح

---

(١) ينظر مثال تأخير مخرج الرواية: ١/ ٦.

(٢) مثاله الفصل الثالث من المقدمة: ١/ ٨- والفصل الأول: ١/ ٤.

غريب الحديث والألفاظ المبهمة والغامضة مع بيان معانيها ودلالتها في الغالب، يقول بعد ذكر الرواية: (قوله). ثم يذكر الكلمة أو الجملة التي يريد بيانها وتوضيحها[١] وقليلاً ما يصرح فيقول: شرح غريب ألفاظ الحديث وما يتعلق به[٢].

فإن كان بين العلماء خلاف في دلالة لفظة أو توجيه شيء من متن الأثر، فإن الخازن - رحمه الله - يذكر الخلاف، ويبين موقفه منه[٣]. كما أنه ينقل حكم الأئمة على بعض الروايات مع التعقيب على سندها إن كان في أحد رجالها مقال[٤].

بقي أن أشير الى أن المصنف - رحمه اللّه - يقدم لقارئه عند إيراد الأحاديث والآثار ما تسمح به قريحته من الفوائد التي يستنبطها من تلك الآثار المستشهد بها[٥].

كما أنه يذكر مصدره الذي استقى منه المعلومة[٦]، وقد يكتفي بقوله:

---

(١) ينظر في ذلك أغلب أبواب المقدمة.

(٢) ينظر المقدمة: ١/ ٨.

(٣) ينظر مثاله، المقدمة: ١/ ١٢ وما بعده.

(٤) ينظر مثاله المقدمة: ١/ ٥-٦.

(٥) ينظر مثاله المقدمة: ١/ ١٢.

(٦) ينظر مثاله المقدمة: ١/ ١٢.

قال العلماء[١].

**خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:**

سبق القول بأن الخازن قد وضع أسس منهجه، وما ألزم به نفسه في مقدمته، ويتخلص ذلك في النقاط التالية:

١) أنه حوى خلاصة منقول البغوي ونكته وأصوله. وهو أمر التزمه المصنف، فهو يورد ما للبغوي ثم إن رأى أن يضيف شيئاً أضاف، ولم أقف على آية وللبغوي فيه كلام إلا وقد نقله الخازن سواءً بنصه أو بمعناه[٢].

٢) إضافة فوائد وفرائد نقلها الخازن ولخصها من كتب أخرى. والتزم ذلك المصنف كثيراً[٣].

٣) اجتناب التطويل والإسهاب وهذا الأمر لم يلتزمه الخازن، فهو وإن حاول الاختصار في الغالب[٤]، إلا أنه وقع في الإطالة، وأسهب في القول في مواضع عديدة[٥].

---

(١) ينظر مثاله المقدمة: ١/ ٦-١٢.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٤٥-٣٢٤-٣٨٠ وغير ذلك من المواضع الكثيرة في تفسيره.

(٣) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٨٤-٤٨٥-٦٢٢.

(٤) انظر أمثلة الاختصار: ١/ ١٩٥ -٣٦٧- ٣٥٣ - ٣٩٢.

(٥) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٣٩٥- ٣٩٨ - ٤٠٢-٤٠٣ -٥٨٩.

٤) حذف أسانيد الأحاديث والآثار التي استشهد بها البغوي وعزوها إلى مخرجيها، وبيان اسم ناقلها، والتعويض عن حذف الأسانيد بشرح غريب الحديث. وقد التزم المصنف هذه الشروط، فحذف الأسانيد واكتفى بذكر الراوي والإشاره إلى من خرج الرواية[١]،كما شرح الغريب[٢].

٥) حسن الترتيب، مع التسهيل والتقريب. وهذا الأمر أيضاً ملاحظ في تفسير الخازن، فترتيبه أفضل من ترتيب البغوي في كثير من المواطن[٣].

**سادساً: مصادر المؤلف في مقدمته:**

المصادر التي صرح الخازن بها في مقدمته، وعزا ما نقله إليها هي مصادره في السنة والأثر، وهي تلك المصادر التي ذكر بعضاً منها في تقديمه حين عرض منهجه، عدا ذلك من المصادر لم يذكرها المصنف في المقدمة اللّهم باستثناء مصدر لغوي واحد هو الخصائص لابن جني[٤].

والذي يستعرض المقدمة يجد أن المصنف لم يترك أثراً أورده إلا وعزاه

---

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ١٧٣ -٢٦٦-٢٩١ -٣٣٨- ٤٨٥-٥٢٥.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٢٩- ٥٢٢.

(٣) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٤٧٩-٥٣٣-٥٣٩-٥٦٧.

(٤) ينظر مثاله في المقدمة: ١/ ٩.

إلى مخرجه، معللاً ذلك بقوله: ليهون على الطالب طلبه[١].

هذا بالنسبة للروايات أما النقول الأخرى كشرح غريب الحديث، وبيان المعاني والاختلافات في توجيه بعض الروايات فإن المصنف قلما يذكر مصدره.

**ومن أهم مصادر الخازن في مقدمته:**

١) صحيحا البخاري ومسلم، ينقل عنهما مفرداً كما يجمعهما رامزاً لهما بـ(ق) رمز الاتفاق على رواية الأثر، وهو كثير[٢].

٢) سنن الترمذي، وقد أكثر المصنف النقل عنه[٣] كما اعتمد حكمه على الروايات، وقد يقرن الترمذي بأبي داود[٤].

٣) سنن أبي داود[٥].

ومن مصادره البغوي فيما يرويه بسنده[٦]، وابن عبد البر[٧]، وأبي عبيد[٨]،والقاضي

---

(١) ينظر المقدمة: ١/ ٣.

(٢) ينظر أمثلته في المقدمة: ١/ ٤- ٥-٦-٧-٨-٩-١ ١-١٣.

(٣) ينظر أمثلته في المقدمة: ١/ ٤-٥-٧.

(٤) ينظر أمثلته في المقدمة: ١/ ٦-٧.

(٥) ينظر أمثلته في المقدمة: ١/ ٦-٧.

(٦) انظر المقدمة: ١/ ١٣.

عياض[1].

**سابعاً: أهم مزايا مقدمة الخازن:**

١- التزام المصنف بالمنهج الذي ذكره إلى درجة كبيرة.

٢- حسن السبر والتقسيم للأنواع، والمسائل التي تعرض لها.

٣- عزو الآثار إلى مخرجيها، وبيان حكم الأئمة عليها.

٤- الاختصار في ذكر الأدلة، والاقتصار على الصحيح الثابت منها في الغالب.

٥- التفصيل في المسائل التي أجملها البغوي وهي مهمة كالأحرف السبعة.

**ثامناً: أظهر المآخذ:**

١- إدراج المصنف بعض الموضوعات في الفصل الثاني، والعنوان لا يشمله، كحديثه عن الكسب بالقرآن أو السفر به إلى بلاد الكفر.

٢- رغم أن المصنف قد فصل في بعض الموضوعات إلا أنها جاءت

---

(٧) انظر المقدمة: ١/ ٩.

(٨) انظر المقدمة: ١/ ١ - ١٢.

(١) لعله من كتابه: الإكمال بشرح مسلم، فالمصنف نقل قول القاضي في بيان معنى حديث رواه مسلم «ضرب في صدري ففضت عرقاً» انظر المقدمة: ١/ ١٣.

دون تحقيق المراد، كالأحرف السبعة، لقد كان من حق هذا الموضوع المشكل أن يعالج معالجة موضوعية جادة، ما دام المصنف لم يرتض حديث سلفه ورأى أنه قد قصر في هذا الجانب، فكان المأمول منه الإلمام والشمول في المعالجة، وهو ما لم نجده.

٣- عدم ذكر كثير من الموضوعات الهامة والتي تذكر عادة في المقدمات كتلك التي تخدم المفسر والقارئ.

هذا ما عرفته عن مقدمة الخازن ودونته، أرجو اللّه أن أكون مصيباً في القول، وأسأله المغفرة من الخطأ.

# المحتويات